آداب الإسلام



الجزء الأول

تأليف

د. عبدالله بن عبده العواضي

غافق للدراسات والنشر

GAFEQ for studies and publishing

آداب الإسلام

الجزء الأول

العنوان: آدَابُ الْإِسْلَام – الجزء الأول

تأليف: د. عبد الله عبد الله بن عبده العواضي.

الصفحات: (333 صفحة).

قياس القطع: 17× 24.

الطَّبْعة: الأولى ، 1444هـ- 2023م.

النَّاشِر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

إخراج فني والكتروني: هشام بن حسين الأهدل

777 966 145 الأهدل 775 924 328

آدابُ الإسلام

الجُزْءُ الأوَّل

تأليف

د. عَبْدُاللهِ بْنُ عَبْدُه العَوَاضِي

غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من أكرم الأنام[1]، وأنعم علينا بنعمة الإسلام، وبيّن لنا به الحلال والحرام، وأودع فيه أسباب انشراح الصدور، وصلاح جميع الأمور.

فأسعدُ الناس من استقام على تشريعاته، وعمل بما فيه في جميع حركاته وسكناته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع لنا الآداب الحسنة وجعلها من العبادات، وحثّ على التحلي بها وصيّرها من أجلِّ الطاعات والقربات.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الذي كان منبع الآداب ومَعينها، والمثل الأعلى في الاتصاف بها والاستقامة على سبيلها، أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه، وعلّمه فأحسن تعليمه، فأضحى قدوة الأمة في خُلقه السامي الكريم، وأدبه الجم العظيم.

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

---

(1) **الْأَنَام**: جَمِيع مَا على الأَرْض من الْخلق.

أما بعد:

فإن التحلي بصالح الآداب زينةٌ لأهلها في كل محفل، وسيرة حسنة تتناقلها الألسن بالثناء في كل مجمع، ورُوح تحيي ميت الأخلاق في كل مجتمع، ونور متألق يضيء للنفوس دروب الخير والفضيلة حتى تسلكها وتستمر عليها؛ لتصل عبر قنواتها المستقيمة إلى سعادة الدارين.

وقد ألفينا من محاسن ديننا الحنيف عنايته الكبيرة بشأن الآداب؛ دعوة إلى قويمها، وتحذيراً من معوجها، وتتميمًا لناقصها، وتقييداً لمرسَلِها، وبيانًا لآثارها الحسنة في العاجل والآجل.

وقد كان من توفيق الله تعالى -وله الحمد- أن ألتقي ثلة طيبة من الأخيار كلَّ شهر لأُلقي عليهم أدبًا من آداب الإسلام لنعرفه نظريًا بمعلوماته، وندعو أنفسنا للعمل به في جوانب حياتنا المختلفة بعد ذلك، وقد كان أول لقاء في: 27/ 8/ 1443هـ، 30/ 3/ 2022م.

وقد جعلت خطة سيري في بحث كل أدب: أن أقدم له بمقدمة، ثم أذكر -في الغالب-: التعريف بالأدب، وأسباب العناية به، وصوراً منه -وهي لب الموضوع-، وطرق الوصول إليه، وثمراته، وآثار تركه، و نماذج مشرقة فيه.

وقد اجتمع من تلك الآداب عشرة كاملة، فأشار بعض الفضلاء بأن تخرج في جزء أول ليعم النفع بها. وتلك الآداب العشرة هي:

1- الأدب مع الله عز وجل

2- الأدب مع القرآن الكريم

3- الأدب مع رسول الله ﷺ

4- الأدب مع الإسلام

5- الأَدب مع النفْس

6- الأدب مع الوالدين

7- الأدب مع الزوج

8- الأدب مع الأولاد

9- الأدب مع الأقارب

10- الأدب مع الجيران

فأسأل مولاي الكريم أن يجعلها من العمل الصالح النافع المذخور، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده العواضي

9/ 1444هـ، 1/ 3/ 2023م.

تمهيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأدب.

المبحث الثاني: أهمية الأدب.

المبحث الثالث: عناية العلماء والحكماء بالأدب.

المبحث الرابع: كيف يكتسب الأدب.

المبحث الأول: تعريف الأدب

لغة:

أَصل الأَدْبِ: الدُّعاءُ، وَمِنْهُ قِيلَ للصَّنِيع يُدْعَى إِلَيْهِ النـاسُ: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ. وسُمِّيَ أَدَبًا لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى المَحامِدِ، ويَنْهاهم عَنِ المقَابِحِ[1].

اصطلاحًا:

الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل[2].

وقيل هو: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ[3].

وقيل: حقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل[4].

وقيل: الأدب: حسن الأحوال في القيام والقعود، وحسن الأخلاق، واجتماع الخصال الحميدة[5].

---

(1) لسان العرب (1/ 206).

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 9).

(3) التعريفات (ص: 15).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 361).

(5) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 127).

وقيل: الأدب: استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً.

وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق. وقيل: الوقوف مع المستحسنات. **وقيل**: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك[1].

وقيل: اجتماع خصال الخير في العبد، ومنه المأدبة. وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس.

وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل. وهو شعبة من الأدب العام. والله أعلم[2].

وكلها تعريفات تؤدي إلى مقصد واحد وهو: الاتصاف بمكارم الأخلاق الباطنة والظاهرة واللازمة والمتعدية وترك سفسافها.

---

(1) فتح الباري لابن حجر (10/ 400).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 355).

المبحث الثاني: أهمية الأدب

للأدب أهمية كبيرة؛ لما له من أثر في النفس ومن يتصل بها من الأقارب والأباعد من الناس، وهذه الأهمية يمكن إبرازها بشكل عام، وأما الخاص فتبقى أهمية كل نوع من أنواع الأدب في ذلك النوع بحسبه.

لكن مما يدل على أهمية الأدب عمومًا:

1- أن الأدب يصلح النفس، ويقوِّم عوجها، ويساعد على علاج أخلاقها الجبلية غير المستقيمة، ويكسبها أخلاقًا كريمة.

2- الأدب يجمِّل سلوك الإنسان بحيث يكون مستقيم السيرة، نقي السريرة، لطيف المعشر، حلو المجالسة، محبّب الصحبة، خفيف الظل، غير ثقيل الروح، يألف ويؤلف.

3- الأدب يحمل صاحبه على أن يجعل نفسه في مواضع الحمد والفضيلة.

4- الأدب مما اتفقت الشرائع، والفطر السليمة، والعقول الراجحة على استحسانه والأخذ به.

5- الأدب حارس يقظ يرقب سير الإنسان فإذا مال عن الغايات المحمودة عدل سيره. وغير ذلك.

المبحث الثالث:
عناية العلماء والحكماء بالأدب

لقد اعتنى علماؤنا وحكماؤنا بآداب الإسلام عناية كبيرة، وقد كان من مظاهر ذلك:

أولاً: تأليف كتب ورسائل ومباحث تتحدث عن الأدب على سبيل العموم، أو تختص ببعض أنواعه.

كما أن هذه المصنفات الأدبية منها ما يعتمد النصوص الأثرية عن رسول الله وعن الصحابة والتابعين في سوق الآداب، ومنها ما يجمع مع ذلك الحكم والأشعار والأقوال.

فمن تلك الأسفار:

1 – الأدب المفرد، للبخاري.

2 – الآداب، للبيهقي.

3 – أدب الدنيا والدين ، للماوردي.

4 – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي.

5 – التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي.

6- آداب النفوس، للمحاسبي.

7- فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة، لابن عقيل الحنبلي.

8- آداب العلماء والمتعلمين، للحسين بن المنصور بالله القاسم.

9- آداب الفتوى والمستفتي والمفتي، للنووي.

10- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لمجموعة من الباحثين.

ثانيًا: نظم منظومات في الآداب عمومًا أو خصوصًا.

فمن ذلك:

1- منظومة الآداب، للمرداوي.

2- آداب الأكل، للأقفهسي.

3- تائية أبي إسحاق الإلبيري.

ثالثًا: إدراج الحديث عن الأدب تحت كتاب أو باب ضمن مصنفات الحديث والأحكام والوظائف والأخلاق وغير ذلك.

1- فقد جعل عدد من المحدثين في مصنفاتهم الحديثية الكلام عن الآداب تحت عنوان: كتاب الأدب؛ كما فعل البخاري وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

2- ذكر الفقهاء آدابًا في المصنفات الفقهية، مثل: آداب قضاء الحاجة

وآداب الوضوء في كتاب الطهارة، وآداب الطعام والشراب في كتاب الأطعمة والأشربة، وآداب القاضي والقضاء في كتاب القضاء، وغير ذلك.

رابعًا: الأقوال الخالدة في الدعوة إلى الأدب.

فقد أثر عن بعض العلماء والحكماء والأدباء أقوال مشرقة في فضل الأدب والحاجة إليه؛ وذلك أنه لما عرف أهل العلم فضل الأدب وأثره حثوا على لزومه، ومعرفة فضله بعبارات جاءت منهم، فمن ذلك:

1- **قال ابن المبارك:** "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم".

2- **وقال:** "طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدِّبون".

3- **وقال:** "قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول: إنه معرفة النفس ورعوناتها، وتجنب تلك الرعونات".

4- **وسئل الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أنفع الأدب؟ فقال: "التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك"[1].

5- **وقِيلَ لابن المبارك:** "مَا خير مَا أعطي الرجل؟ قَالَ: غريزة عقل، قِيلَ: فإن لم يكن؟ قَالَ: أدب حسن. قِيلَ: فإن لم يكن؟ قَالَ: أخ صالح يستشيره. قِيلَ: فإن لم يكن؟ قَالَ: صمت طويل. قِيلَ: فإن لم يكن؟ قَالَ: موت

(1) مدارج السالكين (2/ 357).

عاجل"[1].

6-**وقال ابن القيم:** "وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره.

فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب"[2].

7-**وقال أيضًا:** "والأدب هو الدين كله"[3].

8- **وقال الماوردي:** "وقال أزدشير بن بابك: من فضيلة الأدب: أنه ممدوح بكل لسان، ومتزين به في كل مكان، وباق ذكره على أيام الزمان.. **وقال ابن المقفع:** ما نحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب الذي هو لقاح عقولنا؛ فإن الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مستودعها. **وحكى الأصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أعرابيًا قال لابنه: يا بني، العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته، عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.

(1) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 17).

(2) مدارج السالكين (2/ 368).

(3) مدارج السالكين (2/ 363).

وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت. وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر. وقيل: الأدب أحد المنصبين.

وقال بعض البلغاء: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب؛ لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله.

وقال بعض الأدباء: ذكِّ قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب، واتخذ الأدب غنما، والحرص عليه حظا، يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب، ويؤمل نفعك، ويرجى عدلك.

وقال بعض العلماء: الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة.

وقال بعض الفصحاء: الأدب يستر قبيح النسب.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءُ فِيهِ:

فَمَا خَلَقَ اللهُ مِثْلَ الْعُقُولِ ... وَلَا اكْتَسَبَ النَّاسُ مِثْلَ الْأَدَبْ
وَمَا كَرَمُ الْمَرْءِ إِلَّا التُّقَى ... وَلَا حَسَبُ الْمَرْءِ إِلَّا النَّسَبْ
وَفِي الْعِلْمِ زَيْنٌ لِأَهْلِ الْحِجَا ... وَآفَةُ ذِي الْحِلْمِ طَيْشُ الْغَضَبْ

وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنْ يَكُ الْعَقْلُ مَوْلُودًا فَلَسْتُ أَرَى ... ذَا الْعَقْلِ مُسْتَغْنِيًا عَنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا ... بِالتُّرْبِ تَظْهَرُ مِنْهُ زَهْرَةُ الْعُشَبِ

وَكُــلُّ مَــنْ أَخْطَأَتْــهُ فِــي مَوَالِــدِهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ حَاكَى الْبُهْمَ فِي الْحَسَبِ"[1]

9-**وقال الجاحظ**: "قال مصعب بن الزبير: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال؛ فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً" .... **وقال الزهري**: «الأدب ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم». **وقال**: «إذا سمعت أدبًا فاكتبه ولو في حائط»، **وقال منصور بن المهدي** للمأمون: «أيحسن بنا طلب العلم والأدب» ؟ **قال**: «والله لأن أموت طالبًا للأدب خير لي أن أعيش قانعًا بالجهل». **قال**: «فإلى متى يحسن بي ذلك» ؟ **قال**: «ما حسنت الحياة بك»"[2].

(1) أدب الدنيا والدين (ص:231).

(2) المحاسن والأضداد (ص:23).

المبحث الرابع: كيف يكتسب الأدب

لاكتساب الأدب طرق توصل إليه، منها:

1–صلاح الفطرة والمَربَى والبيئة والطبع المورث.

2–تنشئة الأبوين الصالحة.

3– الجلساء الخيرون من الأقارب والجيران والأصدقاء.

4–نجاح المحضن التعليمي النظامي والخيري في تأدية رسالته الإيمانية والأخلاقية.

5–قيام المسجد بدوره في ترسيخ هذا المطلب في نفوس الناس عبر برامجه الدعوية والتوعوية.

6–قراءة سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والنظرة المتأملة في كتب الشمائل المحمدية.

7–القراءة في سير الصالحين من أهل الأدب.

8–صلاح الإعلام والتوجيه العام في المجتمع.

9- مجاهدة النفس على التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

10-الدعاء.

فقد كان من دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي**)[1].

(1) رواه ابن حبان(959)، والبيهقي(8183)، والطبراني في الدعاء(404) بإسناد صحيح.

الأدب مع اللّه عز وجل

إن الله سبحانه هو الرب ونحن المربوبون، الخالق ونحن المخلوقون، الرازق، ونحن المرزوقون، المنعِم ونحن المنعَم عليهم، القوي ونحن الضعفاء، القادر ونحن العاجزون، الكامل ونحن الناقصون، يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا ولا نحيط به علما.

له غاية الكمال ونهايته؛ فهو ذو الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله ومقدوراته، ليس به نقص ولا عيب، ولا شين ولا ريب، سبحانه الذي تنزه عن نقصان الخلال، وتفرد بغاية الكمال.

وهو ذو الجلال والعظمة؛ فلا عظيم أعظم من الله، ولا يستحق أحد أن يعظّم كما يعظم الله تعالى.

وهو ذو القدرة التامة، والقوة الكاملة؛ فلا ضعفَ ولا عجز يعتري قوة الله تعالى وقدرته.

وهو الذي خلق فأبدع خلقه، وبرأ كل شيء وصوّره، فهو الخالق الخلاق البارئ المصور، بديع السماوات والأرض. فمن تأمل في خلقه عرف إبداع صنعه، وجميل فعله، وحسن تكوينه.

فسبحانه جل جلاله الذي له الحق الأعظم على خلقه؛ لكماله وجلاله،

وجماله وحسن فعاله، وعظيم نواله على عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[النحل:53].

تعالى مليكُ الناسِ جلَّ جلالُهُ ... وقُدِّسَ عن نقصٍ وعزَّ له القهْرُ
رحيمٌ كريمٌ مُنعِمٌ متفضِّلٌ ... قديرٌ عزيزٌ ليس يُعجِزُه أَمْرُ
له من صفاتِ المدْحِ كلُّ نعوتِهِ ... فسبحانَهُ ربي له الحمدُ والشُّكرُ

فلذا كان الأدب معه ألزم وأهم وأعظم من الأدب مع غيره.

وسنتحدث عن الأدب مع الله فيما يأتي:

أولاً: أسباب الحديث عن الأدب مع الله تعالى:

يدعو للحديث عن الأدب مع الله تعالى أسباب، منها:

1- أن الأدب مع الله تعالى عنوان العبودية، ومرتبة علية ينبغي الوصول إليها.

2- حتى نعبد الله كما يحب ويرضى.

3- وجود صور من التقصير في جانب الأدب مع الله تعالى.

فجاء هذا الحديث عن ذلك لتلافي ذلك القصور.

4- ما في الأدب مع الله تعالى من الثمرات الحسنة العاجلة والآجلة.

5- ما في سوء الأدب مع الله سبحانه من العواقب الوخيمة والآثار السيئة.

ثانيًا: تعريف الأدب مع الله:

الأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا[1].

أو بمعنى آخر: فعل أوامره ونواهيه مع حبه وتعظيمه وكمال الحياء منه.

رابعًا: صور الأدب مع الله تعالى:

للأدب مع الله صور كثيرة، منها:

1 - صيانة معاملته سبحانه وتعالى أن تشاب بنقيصة.

2 - صيانة القلب أن يلتفت إلى غيره.

3 - صيانة الإرادة أن تتعلق بما يمقت العبد عليه[2].

4 -شكر نعمه، والاعتراف بفضله وإحسانه. فالجاحد لآلائه لا أدب له.

5 -دعاؤه والالتجاء إليه.

فالمعرض عنه لا أدب له إن أعرض كليًا، أو ضعيف الأدب إن لجأ إليه ودعاه نادرا.

6 -التوكل عليه وحده.

فمن توكل على غيره ذهب أدبه؛ لأنه شك في قدرته أو تناسى وجوب

---

(1) مدارج السالكين (2/ 365).

(2) مدارج السالكين (2/ 356).

تفويض كل الأمور إليه.

7- مراقبته تعالى في السر والعلن.

فليس من الأدب مع الله أن يطيع المرء ربه في العلانية خوفًا أو حياء من الناس فإذا غاب عنهم عصاه.

فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: (**لأَعْلَمنَّ أقوامًا مِنْ أمَّتي يأتونَ يومَ القِيامَةِ بأعْمالٍ أمثالِ جبالِ تِهامَةَ بَيْضاءَ، فيجعَلُها الله هَباءً مَنْثوراً**). قال ثَوْبانُ: يا رسولَ الله، صِفْهُم لنا، جَلِّهم لنا؛ لا نكونُ منهم ونحن لا نَعْلَمُ. قال: (**أمَا إنَّهم إخْوانكم، ومِنْ جِلْدَتِكم، ويأخذون مِن الليْلِ كما تأخذونَ، ولكنَّهم قومٌ إذا خَلَوْا بمحارِمِ الله انْتَهكُوها**)[1].

8- ترك المجاهرة بالمعصية.

فإن المجاهر في مقام المعتدي والمتحدي والمتهاون بعقوبة الله.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**)[2].

---

(1) رواه ابن ماجه(4245)، وهو صحيح.

(2) رواه البخاري(6069).

9-ستر العورة في الخلوة حياء من الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن هذا أمر النبي ﷺ الرجل أن يستر عورته، وإن كان خاليًا لا يراه أحد؛ أدبًا مع الله، على حسب القرب منه، وتعظيمه وإجلاله، وشدة الحياء منه، ومعرفة وقاره"[1].

10-قول: "إن شاء الله" عند إرادة الفعل في المستقبل[2].

قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[الكهف:23].

فـ"التقييد بالمشيئة في قوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ ليس للتردد، بل هو لتعليم المؤمنين رعاية الأدب مع الله تعالى كما في قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾"[3].

11- أن لا يضاف إليه ما يُستهجن لفظه وإن كان كل شيء بتقديره وخلقه.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص:41]. "في هذا الإسناد مراعاة الأدب مع الله تعالى؛ فإنه أسند المرض والضرر الذي أصابه إلى الشيطان أدبا، وإن كان الخير والشر بيد الله تعالى لحكمة يعلمها"[4].

---

(1) مدارج السالكين (2/ 360).

(2) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (7/ 266)، أيسر التفاسير للجزائري (3/ 251).

(3) التفسير الوسيط لطنطاوي (6/ 246).

(4) التفسير المنير للزحيلي (16/ 6).

قال ابن عاشور: "والمس: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله؛ إذ جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف"(1).

وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾[الجن:10].

فقد" تضمنت الآية أمرين:... الثاني: أنهم حذفوا الفاعل على جهة الأدب مع الله في نسبة الشر إليه؛ مع أن الكل من فعله وخَلْقه جل وعلا"(2).

وقال تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾[الكهف:79].

ففي الآية: "استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ؛ فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأما الخير فأضافه إلى الله تعالى؛ لقوله: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾ كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ وقالت الجن: ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾ مع أن الكل بقضاء الله وقدره"(3).

"ولعل إسناد الأول الى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى؛ لأن

(1) التحرير والتنوير (17/ 126).

(2) تفسير ابن عرفة (4/ 305).

(3) تفسير السعدي (ص:485).

المراد أن ثمة عيبًا فتأدب بأن نسب الإعابة الى نفسه"[1].

وقال ابن حجر: "وفيه حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه؛ لقول الخضر عن السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وعن الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ ومثل هذا قوله ﷺ: (والخير بيدك، والشر ليس إليك)"[2].

وقال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾**[النجم:31].

فـ"عند ما يسند الفعل إلى الله تعالى ينبغي العدول عن إسناد الإساءة إليه كما في قوله: **﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾**؛ فإن صحة المقابلة في هذا النظم أن يقال: **﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾** بالإساءة حتى تصحّ مقابلته بقوله: **﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾** لكن منع من ذلك التزام الأدب مع الله سبحانه في إسناد فعل الإساءة إليه"[3].

12–البعد عن قول ما لا يليق بالله تعالى.

فبنو إسرائيل لما قالوا لموسى عليه السلام: **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[المائدة:24]؛ فقد أساءوا الأدب مع الله، فلما " تمردوا على موسى

(1) إعراب القرآن وبيانه (6/ 17).

(2) فتح الباري لابن حجر (8/ 422).

(3) إعراب القرآن وبيانه (9/ 45).

وسمع منهم ما سمع من كلمة الكفر وسوء الأدب مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون قال ذلك، وهذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاء إلى الله والشكوى إليه، ورقة القلب التي تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة"[1]؛ فلذلك قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:25].

وكما قالوا لموسى كذلك: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾[البقرة:55].

13-ترك تمني زوال النِّعم عن العباد.

قال بعض الحكماء: (الحاسدُ يضرُّ نفسه ثلاث مضرات:.. الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى؛ فإنَّ حقيقة الحسد: كراهية إنعام الله على غيره، واعتراض على الله في فعله..."[2].

وقال الشاعر:

الأقل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدبْ

أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عنه بأن زادني ... وسدّ عليك وجوه الطلب[3]

---

(1) البحر المحيط في التفسير (4/ 221).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 517).

(3) غرر الخصائص الواضحة (ص:603).

14-الاستماع والإنصات عند تلاوة القرآن.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204].

فقد " جمع بين الاستماع والإنصات، لأنهما معا أعون على الفهم والتدبر وأَتمُّ في الانتفاع، وأَرجى لرحمة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عما فيه من الأَدب مع الله، واحترام كلامه جلّ شأْنه"(1).

15-أن لا يقدِّم الإنسان على قول الله قولًا ولا على حكمه حكما.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:1].

والمعنى: أن" مقتضى ايمانكم مراعاة الأدب مع الله ورسوله، فعليكم أن لا تُقَدِّمُوا ولا تتقدموا في أمر من الأمور، وحكم من الأحكام"(2).

وهذا "حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي"(3).

16-الرضا بأقدار الله من غير اعتراض.

لأن في الاعتراض اتهامًا لله تعالى بالظلم أو الجهل أو عدم الحكمة، فتقدير

---

(1) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (3/ 1575).

(2) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (2/ 340).

(3) تفسير السعدي (ص:799).

الله كله خير؛ فلذلك فأدنى" مراتب الأدب مع الله سبحانه: أن يتهم الإنسان تقديره الذاتي للمصلحة أمام تقدير الله، أما حقيقة الأدب فهي ألا يكون له تقدير إلا ما قدر الله، وألا يكون له مع تقدير الله، إلا الطاعة والقبول والاستسلام، مع الرضى والثقة والاطمئنان"[1].

17-الحلف بالله تعالى وترك الحلف بغيره.

قال ابن الأمير: "ومن إساءة الأدب مع الله تعالى: الحلف برأس السلطان ورأس الأب ونحو ذلك، وأبنا وجه التحريم أو الكراهة في ما سلف أنه تعظيم لا ينبغي أن يكون إلا لله"[2].

18-الأدب معه في الطهارة.

قال ابن القيم: "ستر العورة من الأدب. والوضوء وغسل الجنابة من الأدب. والتطهر من الخبث من الأدب. حتى يقف بين يدي الله طاهرًا... ومن الأدب مع الله: أن لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث أبي أيوب وسلمان وأبي هريرة، وغيرهم. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. والصحيح: أن هذا الأدب يعم الفضاء والبنيان"[3].

---

(1) في ظلال القرآن (2/ 835).

(2) التنوير شرح الجامع الصغير (10/ 367).

(3) مدارج السالكين (2/ 363).

19-الأدب معه في الصلاة.

قال ابن القيم: "ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة. وهو أخذ الزينة. فقال تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[الأعراف: 31]، فعلق الأمر بأخذ الزينة، لا بستر العورة؛ إيذانًا بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه، وأجملها في الصلاة، وكان لبعض السلف حُلة بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة، ويقول: ربي أحق من تجملت له في صلاتي، ومعلوم: أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، لاسيما إذا وقف بين يديه فأحسن ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرًا وباطنًا. ومن الأدب: نهي النبي ﷺ المصلي: (أن يرفع بصره إلى السماء). فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: هذا من كمال أدب الصلاة: أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقًا، خافضًا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق.

قال: والجهمية - لما لم يفقهوا هذا الأدب، ولا عرفوه - ظنوا أن هذا دليل أن الله ليس فوق سمواته على عرشه. كما أخبر به عن نفسه. واتفقت عليه رسله وجميع أهل السنة.

قال: وهذا من جهلهم، بل هذا دليل لمن عقل عن الرسول ﷺ على

نقيض قولهم؛ إذ من الأدب مع الملوك: أن الواقف بين أيديهم يطرق إلى الأرض، ولا يرفع بصره إليهم، فما الظن بملك الملوك سبحانه؟.

وسمعته يقول - في نهيه ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود -: إن القرآن هو أشرف الكلام. وهو كلام الله، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد، فمن الأدب مع كلام الله: أن لا يقرأ في هاتين الحالتين، ويكون حال القيام والانتصاب أولى به... ومن الأدب مع الله في الوقوف بين يديه في الصلاة: وضع اليمنى على اليسرى حال قيام القراءة، ففي الموطأ لمالك عن سهل بن سعد أنه من السنة، وكان الناس يؤمرون به.

ولا ريب أنه من أدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء، فعظيم العظماء أحق به.

ومنها: السكون في الصلاة. وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[المعارج: 23] . **قال عبد الله بن المبارك** عن ابن لهيعة: حدثني يزيد بن أبي حبيب: أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[المعارج: 23] أهم الذين يصلون دائمًا؟ قال: لا. ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه، ولا عن شماله ولا خلفه.

قلت: هما أمران. الدوام عليها. والمداومة عليها. فهذا الدوام. والمداومة في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[المعارج:34]، وفسر الدوام بسكون الأطراف والطمأنينة.

وأدبه في استماع القراءة: أن يلقي السمع وهو شهيد.

وأدبه في الركوع: أن يستوي، ويعظم الله تعالى، حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه، ويتضاءل ويتصاغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء"[1].

رابعًا: طرق لزوم الأدب مع الله تعالى:

إن لزوم الأدب مع الله تعالى غاية عظيمة، ينبغي للمسلم أن يسعى للوصول إليها، ولذلك أسباب، منها:

1- سلامة النفس وتهيؤها لاستقبال الحق.

فإنها هي الأرض الخصبة التي يمكن لنبات الأدب أن ينبت فيها.

2- معرفة الله بأسمائه وصفاته، وإدراك آثارها في الخلق.

3- معرفة الله بدينه وشرعه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته. ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملاً وحالاً"[2].

4- علم العبد بأن الله معه في كل أحواله يراقبه ويسجل عليه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ

(1) مدارج السالكين (2/ 363-364).

(2) مدارج السالكين (2/ 364).

مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:7].

5-قراءة القرآن بتدبر وفهم.

خامسًا: ثمرات الأدب مع الله عز وجل:

1-الإقبال على الطاعة وترك المعصية.

وعلى قدر الأدب يكون الإقبال والانقياد.

2-بلوغ درجة الإحسان.

فمن كمل أدبه مع الله عبد الله كأنه يراه.

قال رسول الله ﷺ: (الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)(1).

3-صلاح الباطن والظاهر. 4-حسن الخاتمة.

5-نيل رضوان الله وجنته.

سادسًا: نماذج مشرقة للأدب مع الله سبحانه:

ذكر ابن القيم نماذج حسنة يقتدى بها في الأدب مع الله، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(1) رواه البخاري (50)، ومسلم(9).

"وتأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به؟

قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[المائدة: 116] ولم يقل: لم أقله. وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب. ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره. فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾[المائدة: 116] ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه، فقال: ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: 116] ثم أثنى على ربه. ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها. فقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: 116] ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمره ربه به – وهو محض التوحيد – فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة: 117] ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد وفاته لا اطلاع له عليهم، وأن الله عز وجل وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم. فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[المائدة: 117]، ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة وأعم فقال: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: 117] ثم قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[المائدة: 118] وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام. أي: شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدًا لغيرك. فإذا عذبتهم – مع كونهم عبيدك – فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له – لم تعذبهم؛ لأن قربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، فلماذا يعذب أرحم الراحمين، وأجود الأجودين،

وأعظم المحسنين إحساناً عبيده؟ لولا فرط عتوهم، وإباؤهم عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب.

وقد تقدم قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: 116] أي: هم عبادك وأنت أعلم بسرهم وعلانيتهم، فإذا عذبتهم عذبتهم على علم منك بما تعذبهم عليه، فهم عبادك وأنت أعلم بما جنوه واكتسبوه، فليس في هذا استعطاف لهم، كما يظنه الجهال، ولا تفويض إلى محض المشيئة والملك المجرد عن الحكمة، كما تظنه القدرية، وإنما هو إقرار واعتراف وثناء عليه سبحانه بحكمته وعدله، وكمال علمه بحالهم، واستحقاقهم للعذاب.

ثم قال: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: 118] ولم يقل: الغفور الرحيم.

وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى؛ فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم، فلو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم، فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم، فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأن

العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه، والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب.

وفي بعض الآثار حملة العرش أربعة: اثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. لك الحمد على حلمك بعد علمك. واثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. ولهذا يقترن كل من هاتين الصفتين بالأخرى كقوله: ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾[النساء: 12] وقوله: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾[النساء: 149] . وكذلك قول إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[الشعراء:78-80]. ولم يقل: وإذا أمرضني؛ حفظاً للأدب مع الله... وألطف من هذا قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[القصص: 24] ولم يقل: أطعمني. وقول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الأعراف: 23] ولم يقل: رب قدرت علي وقضيت علي.

وقول أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأنبياء:83] . ولم يقل: فعافني واشفني... ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"[(1)].

---

(1) مدارج السالكين (2/ 358-360).

الأدب مع القرآن الكريم

القرآن العظيم كتاب الله الخالد، ودستوره الباقي، ونوره الساري، ودليله الهادي، وبيانه الواضح، أحسنُ الحديث حديثُه، وأجمل القول قوله، من استهدى به هُدي، ومن استشفى به شُفي، تتفانى الدهور وهو ذلك المسطور على خلوده، غير قابل للتبديل والتحريف؛ لأن الله قد حجبه بالسلامة والحفظ عن كل ما يغيره عما أنزل عليه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

إن القرآن ألفاظ بليغة، ومعانٍ بديعة، فألفاظه:" إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكُرُ الدنيا فمنها عمادُها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وصِرامها[1]، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعَد من حمى القلوب. ومعانٍ بينا هي عذوبةٌ تُرويك من ماء البيان، ورقّةٌ تستروح منها نسيم الجِنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان. وبينا هي ترفُّ[2] بندى الحياة على زهرة الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني

(1) **الصرام**: جنى الثَّمر وَأَوَان نضج الثَّمر.

(2) **ترف**: تتحرك.

العبرة معنى العبير، وتهب عليها بأنفس الرحمة فتَنِمّ[1] بسرٍّ هذا العالم الصغير. ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان، وتمثِّل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان؛ إذ هي بعد ذلك إطباق السحاب وقد انهارت قَواعده، والتمعَت ناره، وقصفت في الجو رواعده، وإذ هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها، واستأذنت في صدمة الفزع ربها، فكادت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، وإنَّما هي عند ذلك زجرة واحدة فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة"[2].

إن للقرآن العظيم نصيبًا من الأدب المفروض علينا؛ لهذا سنتحدث عنه في الآتي:

أولاً: أسباب وجوب الأدب مع القرآن الكريم:

1-أن الأدب معه أدب مع الله تعالى؛ لكونه:

أ-كلامه الذي خاطبنا به، فمن الأدب مع ربنا العظيم: الأدب مع كلامه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾[التوبة:6].

---

(1) تنم: تظهر.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص:23).

ب-لأنه صفة من صفاته تعالى، والأدب مع الله لا يكون إلا بالأدب مع ذاته وصفاته وأفعاله.

ج-لأن الله تعالى أمرنا بالأدب مع كتابه، وكذلك رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما سيتضح في الصور.

2-أن القرآن دستورنا الذي بالتمسك به والأدب معه سعادتنا في الدنيا والآخرة.

3-أنه منبع الهداية والراحة والطمأنينة، فمن الشكر لهذه النعم الأدب مع مصدرها.

4-أن الأدب معه يجلب لنا خير العاجلة والآجلة.

5- أن سوء الأدب مع القرآن ينافي الإيمان به، ويقود إلى شقاء الدنيا والآخرة.

ثانيًا: صور الأدب مع القرآن الكريم:

يمكن تقسيم هذه الصور إلى قسمين:

القسم الأول: صور عامة للأدب مع القرآن:

1-الإيمان به إيمانًا جازمًا لا يخالطه شك ولا تكذيب.

ويشمل ذلك الإيمان:

أ- التصديق بكونه كلام الله وحده.

ب- وأنه نزل على رسوله محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ج- وأن كل ما جاء فيه حق وصدق.

د- وأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هـ- وأنه الحكم العدل بين المسلمين في قضاياهم الدينية، ولا يقدم عليه غيره.

قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[التغابن:8].

والنور هنا: هُو القرآنُ؛ فإنَّه بإعجازِهِ بيِّنٌ بنفسِهِ مبيِّنٌ لغيرِهِ كما أنَّ النورَ كذلكَ، وهو بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه، كما أنه يهتدى به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:41-42].

يعني: هذا القرآن كثير النفع عديم النظير، أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه، ولا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه[2].

---

(1) ينظر:تفسير أبي السعود(8/ 257)،تفسير البيضاوي(5/ 218)،تفسير الرازي (30/ 554).

(2) ينظر: تفسير البيضاوي (5/ 73)، تفسير الطبري (21/ 480).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:59].

"وظاهر قوله: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ يتناول أمور الدين والدنيا، ولكنه لما قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ تبين به أن الشيء المتنازع فيه يختص بأمور الدين دون أمور الدنيا، والرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه العزيز، والرد إلى الرسول: هو الرد إلى سنته المطهرة بعد موته، وأما في حياته فالرد إليه: سؤالُه"(1).

وعن عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)(2).

قال النووي: " وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه، والدعاء إليه، وإلى ما ذكرناه من نصيحته"(3).

---

(1) فتح القدير للشوكاني (1/ 556).

(2) رواه مسلم (55).

(3) شرح النووي على مسلم (2/ 38).

وقال ابن رجب: "والنصيحةُ لكتابه: الإيمانُ به وتعظيمُه وتنزيهُه، وتلاوتُه حَقَّ تلاوته، والوقوفُ مع أوامره ونواهيه، وتفهُّم علومه وأمثاله، وتدبرُ آياته، والدعاءُ إليه، وذبُّ تحريف الغالين، وطعنِ الملحدين عنه"[1].

2-تعظيمه وإجلاله وتبجيله وتوقيره واستشعار هيبته.

قال تعالى: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[الدخان:1-4].

قال الرازي: "اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته.

الثاني: بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه.

الثالث: بيان تعظيمه بحسب شرف منزلته.

أما بيان تعظيمه بحسب ذاته فمن ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه تعالى أقسم به، وذلك يدل على شرفه.

وثانيها: أنه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة، وقد ذكرنا أن القسم بالشيء على حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف.

---

(1) جامع العلوم والحكم (1/ 233).

وثالثها: أنه تعالى وصفه بكونه مبينًا وذلك يدل أيضًا على شرفه في ذاته.

وأما النوع الثاني: وهو بيان شرفه لأجل شرف الوقت الذي أنزل فيه فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وهذا تنبيه على أن نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه وجلالته"[1].

3- تقديسه وتنزيهه عما لا يليق به، ويكون ذلك في الصور الآتية:

أ- تنزيهه عن الجحود، ولو حرفًا أو كلمة أو آية واحدة منه.

قال النووي: "أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الاطلاق، وتنزيهه وصيانته. وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه، أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك؛ فهو كافر"[2].

وقال ابن قدامة: "ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن من جحد آية أو كلمة متفقًا عليها، أو حرفًا متفقًا عليه؛ أنه كافر. **وقال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كفر بحرف منه فقد كفر به"[3].

ب- تنزيهه عن الشك في سلامة وصوله إلينا كما أنزل على رسول الله ﷺ؛ فإن الله قد ضمن حفظه وبقاءه على ذلك حتى يرفع من الصدور والسطور في آخر الزمان، فلا يجوز بعد هذا الشكُّ بحصول تغيير فيه؛ لأن ذلك ليس من

(1) تفسير الرازي (27/ 654).

(2) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:164).

(3) المناظرة في القرآن (ص:33).

الأدب مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9].

قال القاضي عياض: "وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعته الدفتان من أول (الحمد لله رب العالمين - إلى آخر - قل أعوذ برب الناس)؛ أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا؛ أنه كافر"[1].

ج-تنزيهه عن السخرية والاستهزاءِ به أو بآية من آياته.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:65-66].

والاستهزاء به إنما هو صفة المشركين المكذبين له، قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[النجم:59-62].

قال الشوكاني: "لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية به، وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره؛ أمر عباده

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 304).

المؤمنين بالسجود لله والعبادة له"[1].

د-تنزيهه عن اعتقاد كونه مخلوقًا.

لأن مغزى هذا القول نفي صفة من صفات الله وهي صفة الكلام، وتعطيل الله عن صفة من الصفات الثابتة له ليس من الأدب معه.

هـ-تنزيهه عن الاقتباس الممنوع.

والاقتباس هو: تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن، لا على أنه منه بألا يقال فيه: قال الله تعالى ونحوه.

والقول الوسط في الاقتباس أنه ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود.

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود.

والثاني: ما كان في القول والرسائل والقصص.

والثالث: على ضربين: أحدهما: ما نسبه الله إلى نفسه- ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه- كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية عماله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[الغاشية:25-26].

والآخر: تضمين آية في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك، كقوله:

أوحى إلى عشّاقِهِ طرفُهُ ... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون
وَرِدْفُهُ يَنْطِقُ مِنْ خَلْفِهِ ... لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُون[2].

---

(1) فتح القدير للشوكاني (5/ 142).

(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 386).

ز-تنزيهه عن المزاح به والتندر بآياته.

فالقرآن ليس مجالاً للمزاح والإضحاك، ولا في مضمونه ما يدعو إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[الطارق:13-14].
أي: " إن هذا القرآن قول فصل جد، لا هزل فيه، ولا باطل يأتيه"(1).

ومن المزح المرفوض: تندر بعضهم أثناء الطعام بقوله: هات لنا قصة يوسف. أو عند حلاقة بعضهم للحيته وقوله أو قول غيره له: (وجوه يومئذ ناعمة)!. هذا ليس من الأدب مع آيات القرآن.

ح-تنزيهه عن دخول الخلاء به، ووضعه في الأماكن غير الطاهرة، أو قراءته فيها.

فكلام الله أرفع من أن يكون الخلاء ظرفًا يحتويه، أو المكان غير الطاهر موضعًا يوضع فيه.

فمن أراد دخول الخلاء فليضع المصحف إن كان معه في مكان طاهر، وليس من التصرف الحكيم أن يضعه على حافة جدار دورة المياه.

قال تقي الدين السبكي: "من تعظيم القرآن: أن يكون القارئ والمكان الذي هو فيه على أكمل الأحوال؛ أدبًا مع القرآن، وإجلالاً لكلام الرب سبحانه وتعالى، وإكرامًا للملائكة؛ فإنهم يستمعونه، كما جاء في الحديث: لما قرأ أسيد

(1) البحر المحيط في التفسير (10/ 449).

بن حضير ورأى مثل الظُلة، وأخبر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (**تلك السكينة تنزلت للقرآن**). والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم من النجاسات والأقذار والروائح الكريهة، فمن هذا تكره القراءة لمن أكل ثومًا، أو بصلاً، حتى يزيل رائحته، ولمن هو على قضاء الحاجة؛ لما فيه من الفحش، وفي المكان المتخذ لذلك، والكراهة في هذه الأحوال لا شك فيها "(1).

ط-تنزيهه عن قراءته على غير طهارة.

فـ" لا يجوز للمحدث مس المصحف كله أو بعضه عند فقهاء المذاهب الأربعة؛ لقوله تعالى: ﴿**لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[الواقعة:79]، ولقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر**). واتفقوا على جواز تلاوته لمن كان محدثًا حدثًا أصغر بغير لمس، واستثنى بعضهم من المنع مسه في حالات خاصة؛ كما إذا كان بحائل أو عود طاهرين أو في وعائه وَعِلاَقَتِهِ، أو لمعلم ومتعلم لغرض التعليم، أو كان حمله في حال الحدث غير مقصود؛ كأن كان في صندوق ضمن الأمتعة، ويكون القصد حمل الأمتعة وفي داخلها قرآن"(2).

قال ابن قدامة: "ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني: طاهرًا من الحدثين جميعًا. **روي** هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس، والشعبي والقاسم بن

---

(1) قضاء الأرب في أسئلة حلب (ص:381).

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (17/ 127).

محمد، وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي"[1].

وقال تقي الدين السبكي: "ومن جملة تعظيم القرآن: أن يكون القارئ على طهارة؛ فالجنب تحرم عليه القراءة"[2].

ي-تنزيهه عن تعليقه تميمةً؛ لأن ذلك يؤدي إلى امتهان القرآن، بدخول الخلاء بتلك التميمة، أو حملها على جنابة أو حيض، أو تعريض ما فيها من الآيات؛ لعدم التنزيه من النجاسات والعبث كما إذا كانت معلقة على الأطفال.

ك-تنزيهه عن كتابة بعض آياته في أماكن غير لائقة، فقد قال بعض العلماء: "(و) حرم (كتبه) أي: القرآن (بحيث يهان)، كعلى بساط أو حصير يداس أو يجلس عليه (ويتجه: قتله) ، أي: قتل كاتب القرآن على محل مبتذل (إن قصد امتهانه بذلك) الكَتْب؛ قياسًا على كتبه بالنجس أو عليه؛ إذ لا فرق بينهما، ولأن فعله ذلك يدل على استخفافه بالقرآن وعدم مبالاته به، وهو متجه"[3].

قال القاضي عياض: "واعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفًا منه، أو آية أو كذب به، أو بشيء منه أو بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك؛ فهو كافر عند أهل العلم بإجماع"[4].

---

(1) المغني لابن قدامة (1/ 108).

(2) قضاء الأرب في أسئلة حلب (ص:382).

(3) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (1/ 156).

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 646).

وقال النووي: "أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة- والعياذ بالله تعالى- صار الملقِي كافرًا. قالوا: ويحرم توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قُدم به عليه؛ لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى... وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي"(1).

4-كثرة تلاوته، وطول الملازمة لقراءته.

فإن ذلك برهان الحب والتعظيم، وطريق إلى كثرة الأجر والتكريم؛ ولهذا كان الصالحون ولازالوا يحرصون على ختمه، ولهم في ذلك أخبار؛ فمنهم من يختمه في ثلاث، ومنهم من يختمه في يومين، ومنهم من له كل يوم ختمة، أما في رمضان فلهم فيه عجائب.

5-تدبره وتفهمه، وحضور الذهن والقلب عند قراءته.

لأن هذا غاية من غايات إنزاله، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:29].

وفي حال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع القرآن ما يدل على عظيم تدبره، وأثره الكبير عليه، حتى شاب شعره من عظيم ما فهمه من زواجره.

(1) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:190).

قَالَ رسول الله ﷺ: (شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾)[(1)].

"**ومعنى الحديث**: أن اهتمامي بما في هذه السور من أهوال يوم القيامة، وأحوالها والوقائع النازلة بالأمم استعجل شيبي قبل أوانه"[(2)].

6- العمل به.

فإن القرآن كتاب عمل يدعو إلى حسنه، وينهى عن قبيحه، فليس من الأدب مع القرآن أن يمر المسلم بأوامره دون أن يعملها، ونواهيه من غير أن يجتنبها.

فنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -وهو قدوتنا- كان القرآن ممتثلاً في حياته؛ فعن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»[(3)].

قال النووي: "معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته"[(4)].

---

(1) رواه الترمذي (3297)، وابن أبي شيبة (30268)، والطبراني في الكبير(5804). **وقال الهيثمي**: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7/ 37).

(2) كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح (4/ 431).

(3) رواه مسلم (746).

(4) شرح النووي على مسلم (6/ 26).

وقال القاضي عياض: "يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه؛ أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله، ومعاطاته ومحاوراته؛ فهو عنصر المعارف الحقيقية، وروضة الآداب الدينية والدنيوية"(1).

7-الاستشفاء به والتداوي بآياته لشفاء البدن والروح.

ف" القرآن شفاء لكل داء، فمن نزلت به شدة حسية أو معنوية، دنيوية أو دينية، ففزع إليه بالتلاوة أو الصلاة به؛ رأى فَرَجًا قريبا"(2).

قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[الإسراء:82].

8-تحكيمه والتحاكم إليه، وعدم تقديم رأي أو عُرف أو قانون عليه.

قال تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا**﴾[الأنعام:114].

فمن ترك تلاوته، وتدبره، والعمل به، والاستشفاء بآياته، والتحاكم إليه؛ فقد هجره.

قال ابن القيم: "هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمانِ به والإصغاء إليه.

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 29).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 264).

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصِّل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان:30]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض"(1).

9- الدفاع عنه ضد الطاعنين، والمشككين فيه، والمعتدين عليه، والملحدين في آياته.

باللسان والبنان، وبالسنان إن لزم الأمر وتحققت المصلحة بذلك.

ولهذا صنف علماء وكتّاب مؤلفات كثيرة في القديم والحديث في الدفاع عن القرآن ورفع رايته.

قال الشيخ أبو شهبة: "ولا شك أن الدفاع عن القرآن- الذي هو أصل الإسلام- من أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية، ولا سيما علماءها وأهل الرأي فيها، وإنه لشرف عظيم، وفضل كبير أن يكون المسلم منافحًا عن هذا

---

(1) الفوائد لابن القيم (ص:82).

الكتاب الجليل"[1].

وقال الشيخ الزرقاني: "الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متحمسين في الدفاع عن القرآن، مستبسلين في المحافظة على التنزيل، متيقظين لكل من يحدث فيه حدثًا، ولو كان عن طريق الأداء واختلاف اللهجات، مبالغين في هذه اليقظة حتى ليأخذون في هذا الباب بالظِّنة، وينافحون عن القرآن بكل عناية وهمّة. وحسبك استدلالاً على ذلك ما فعل عمر بصاحبه هشام بن حكيم، على حين أن هشامًا كان في واقع الأمر على صواب فيما يقرأ"[2].

وما أكثر السهام الموجهة اليوم نحو كتاب الله من قبل أعدائه الصرحاء، أو المتشبهين بهم من الجهلاء أو العملاء، فصار الدفاع عن القرآن من أوجب الوجبات، كل على حسب حاله وأهليته.

10-ترك الخوض في تفسير آياته بغير علم.

لأن القول في ذلك قول على الله بدون علم، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:33].

عَنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، قَالَ: "أَيّة أَرْضٍ تُقِلُّني، أَوْ أية سَمَاءٍ تُظِلُّني، أَوْ أَيْنَ أَذْهَبُ، وَكَيْفَ

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص:27).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 151).

أَصْنَعُ إِذَا أَنَا قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ مَا أراد الله بها؟"(1).

وقال النووي: "ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه... وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه، فمن كان أهلاً للتفسير جامعًا للأدوات حتى التي يعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد فسره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله، وأما من كان ليس من أهله؛ لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله"(2).

11-ترك الجدال به من غير علم، أو بدافع الانتصار للرأي بالتعسف في الاستدلال بالآيات.

قال النووي: "يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق؛ فمن ذلك: أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالاً ضعيفًا موافقة مذهبه، فيحملها على مذهبه، ويناظر على ذلك مع ظهورها في خلاف ما يقول. وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور"(3).

(1) التفسير من سنن سعيد بن منصور (1/ 168).
(2) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:165-166).
(3) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:168).

12 - الخشوع والبكاء عند تلاوته، والإنصات عند سماعه.

قال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء:107-109].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204].

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(اقرأ علي القرآن)** قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك؟ وعليك أنزل؟ قال: **(إني أشتهي أن أسمعه من غيري)**، فقرأت النساء حتى إذا بلغت: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾**[النساء:41]. رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل[1].

13 - إكرام أهل القرآن؛ من طلاب وحفّاظ ومعلمين، ومقرئين ومفسرين ونحوهم.

لأن من إكرام القرآن إكرام أهله.

عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي**

---

(1) رواه البخاري (5055)، ومسلم (800).

السلطان المقسط)[1]

" (وحامل القرآن) أي: وإكرام حافظه، وسماه حاملاً له لما يحمل من مشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة.. أي: وإكرام قارئه وحافظه ومفسره (غير الغالي) أي: في القرآن. والغلو: التشديد ومجاوزة الحد، يعني: غير المتجاوز الحد في العمل به، وتتبع ما خفي منه، واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه (والجافي عنه) أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه. وقيل: الغلو: المبالغة في التجويد أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى. والجفاء: أن يتركه بعد ما علمه لا سيما إذا كان نسيه فإنه عُد من الكبائر"[2].

وقد كان النبي ﷺ يكرم أهل القرآن، ولذلك شواهد كثيرة، فمنها:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**)، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)[3].

14-سلوك أسلوب اللطف في أخذ المصحف ووضعه، والهدوء في فتحه وغلقه، واختيار المكان اللائق بقداسته لإيداعه فيه، والحفاظ على دفتيه وأوراقه

---

(1) رواه أبو داود (4843)، والبخاري في الأدب المفرد(357)، وإسناده حسن.

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم (13/ 132).

(3) رواه البخاري (1343).

من التمزيق والاتساخ، ووصوله إلى أيدي الأطفال الصغار.

15-إحسان التخلص من المصاحف الممزقة، أو الأوراق التي فيها آيات، وذلك بدفنها في مكان طاهر لا يمتهن، أو بإحراقها حتى لا يبقى فيها حرف ثم دفنها في مكان طاهر.

وقد استُدل على هذا بإحراق كعب بن مالك لرسالة ملك غسان وقد كان فيها ذكر اسم الله، وهي: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نَواسِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ - حِينَ قَرَأْتهَا-: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ، فَتَيَمَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهِ"[1].

واستدل كذلك بفعل الصحابة بالمصاحف بعد توحيدها، قال القاضي عياض: " وقوله: (فتيممت بها التنور فسجرتها): ... وفيه جواز حرق ما فيه اسم الله تعالى لعلة توجب ذلك. وقد أحرق عثمان والصحابة المصاحف بعد أن غسلوا منها ما قدروا عليه"[2].

القسم الثاني: صور خاصة للأدب مع القرآن:

وآداب هذا القسم يُعنى بهذا حفاظ القرآن والمعتنون به، ومعلموه وطلابهم، فهم مشتركون في آداب القسم الأول، وينفردون بآداب هذا القسم، فمن ذلك:

(1) رواه البخاري (4141)، ومسلم (2769).

(2) إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 280).

1 –أن يعرفوا قدر نعمة الله عليهم بالقرآن؛ ليشكروا الله عليها ويعملوا بموجبها في تعظيم القرآن والعمل به.

ومما يدل على عظيم النعمة عليهم: قول النبي ﷺ: **(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)**[1].

وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران)**[2].

وفي رواية للبخاري: (وهو حافظ له).

2 –أن يتصف صاحب القرآن بصفات أهله التي ذكرها بعض أعلام القرآن:

كقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وبكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سِكِّيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلاً، ولا صخّابًا، ولا صيّاحًا، ولا حديدا"[3].

وقال الفضيل بن عياض: "حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي

---

(1) رواه البخاري (5027).

(2) رواه البخاري (4937)، ومسلم (798).

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 130).

لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء، فمن دونهم، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه"[1].

3-على حافظ القرآن أن يتعاهده خشية النسيان؛ فإن القرآن شديد التفلت.

عن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (**تعاهدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا من الإبل في عُقُلِهَا**)[2].

وقال النبي ﷺ: (..**ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران**)[3].

4-ترك قول: نسيت سورة كذا وكذا، ولكن ليقل: نُسيّت.

عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (**واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النَّعم**)[4].

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (**بئسما للرجل أن يقول: نسيت سورة كيت وكيت، أو نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّي**)[5].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: أن الكلمة إذا كانت تحتمل

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 92).

(2) رواه البخاري (5033)، ومسلم (791).

(3) رواه البخاري (4937).

(4) رواه البخاري (5032)، ومسلم(790).

(5) رواه البخاري (5039)، ومسلم (790).

معنيين: أحدهما، يتضمن سوء أدب، فالأولى أن يعدل الإنسان عنها إلى كلمة لا تحتمل إلا معنى واحدًا خارجًا عما يحذر؛ فإن قوله: (بئسما لأحدهم أن يقول: نسيت) فإن (نسيت) تكون بمعنى تركت. ولا ينبغي لأحد أن يقول: تركت آية كذا وكذا، فإذا قال: (نُسّيت آية كذا وكذا) خلص قوله من الاحتمال"[1].

5-إرادة وجه الله بحفظ القرآن وتلاوته، لا إرادة حظ الدنيا من مال أو وظيفة أو جاه أو ثناء.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ فَقَالَ: (**الْحَمْدُ للهِ، كِتَابُ اللهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ، وَفِيكُمْ الْأَسْوَدُ، اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ، تَعَلَّمُوهُ، وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ عز وجل، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يَتَعَلَّمُهُ نَاسٌ يُقَوِّمُونَهُ كَمَا يُقَوَّمُ السَّهْمُ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**)[2].

فقوله: (فكل حسن) أي: فكل واحدة من قراءتكم حسنة مرجوة للثوب إذا آثرتم الآجلة على العاجلة، ولا عليكم أن لا تقيموا ألسنتكم إقامة القِدح -وهو السهم قبل أن يُراش[3]- (وسيجيء أقوام يقيمونه) أي: يصلحون ألفاظه

---

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (2/ 65).

(2) رواه أحمد (14855)، وأبو داود (830)، وهو صحيح.

(3) راش السهم: ركب عَلَيْهِ الريش.

وكلماته ويتكلفون في مراعاة مخارجه وصفاته (كما يقام القدح) أي: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة. قال الطيبي: وفي الحديث رفع الحرج وبناء الأمر على المساهلة في الظاهر، وتحري الحسبة والإخلاص في العمل، والتفكر في معاني القرآن، والغوص في عجائب أمره (يتعجلونه) أي: ثوابه في الدنيا (ولا يتأجلونه) بطلب الأجر في العقبى، بل يؤثرون العاجلة على الآجلة، ويتأكلون ولا يتوكلون[1].

6-تعليم المعلِّم طلابَه في حلْقة القرآن تركَ الضحك والمزاح والعبث، ولزومَ سلوك الإجلال للقرآن حال القراءة والاستماع.

قال النووي: "ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين فمن ذلك: اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلامًا يضطر إليه"[2].

7-اعتقاد أنه لا يوجد في القرآن شيء زائد من جملة أو كلمة أو حرف.

فإن جاء حرف أو كلمة أو جملة هي في كلام المعربين من قبيل الزائد فيستعمل اللفظ اللائق بالقرآن كالتوكيد والصلة.

قال الزواوي:

وَلْتَجْتَنِبْ يَا صَاحِ أَنْ تَقُولَ فِي ... حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ زَائِدٌ تَفِي

(1) عون المعبود وحاشية ابن القيم (3/ 42).

(2) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:92).

إِذْ تَسْبِقُ الْأَذْهَانُ لِلْإِهْمَالِ ... وَهْوَ عَلَى الْقُرْآنِ ذُو اسْتِحَالِ
وَإِنَّمَا الزَّائِدُ مَا دَلَّ عَلَى ... مُجَرَّدِ التَّوْكِيدِ لَا مَا أُهْمِلَا[1].

قال بعض المعربين: "«بمؤمنين» ذهب النحاة لتسمية هذه الباء التي يمكن حذفها مع بقاء المعنى صحيحاً حرف جر زائد، ولكننا نذهب هنا لتسميتها حرف توكيد؛ أدباً مع القرآن الكريم، ولكون فائدتها البلاغية هي توكيد الخبر"[2].

ثالثًا: طرق الوصول إلى كمال الأدب مع القرآن الكريم:

الأدب مع القرآن الكريم غاية سامية ينبغي الحرص عليها، والبحث عن طرق الوصول إليها، فمن تلك الطرق الموصلة:

1 –تعلم العلم الشرعي.

فهذا العلم هو الذي يكشف لصاحبه عظمة القرآن، ويدعوه إلى الأدب الجم معه، ويبين له حكم قلة الأدب وعاقبة من أساء الأدب معه في الدنيا والآخرة.

يقول أحمد بن عصفور في فضل العلم وأهله قصيدة طويلة، ومنها قوله:

فَوَاللهِ لَوْلَا الْعِلْمُ مِمَّا اتَّضَحَ الْهُدَى ... وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمُ[3].

---

(1) شرح نظم قواعد الإعراب (19/ 18).
(2) الجدول في إعراب القرآن (1/ 47).
(3) جامع بيان العلم وفضله (1/ 220).

2 -حفظ القرآن حفظًا متقنًا وكثرة مراجعته، وتدبره وتفهمه.

فإن ذلك يولِّد في النفس حبه والتعلق به، والحب يدعو إلى التعظيم والتكريم.

3 -الحرص على قراءة تفسيره، والنظر في أسرار إعجازه، والاطلاع على كتب هداياته، ودراسة علومه وما يعين على فهمه وإدراك عظمته.

4 -ترك تتبع أصحاب الشبهات والشهوات: قراءة أو استماعًا أو مجالسة؛ لأنهم يكسرون جسور المقدس في النفوس، ويُعملون معاولهم في نقب جدران تعظيم الحرمات.

فيجب الإعراض عنهم في الفضائيات والإذاعات ووسائل التواصل الاجتماعي والأندية ومجالس اللقاءات، فمجالستهم داء، والبعد عنهم شفاء.

5 -الدعاء المستمر.

ومن أحسنه: قول النبي ﷺ: **(اللهم إني عبدك... أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي)**[1].

قوله: (رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي) فقد جعل القرآن ربيعًا له؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه. وكما أن الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالي، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك

(1) رواه أحمد(3712)، وابن حبان(972)، والحاكم (1877)، والطبراني في الكبير(10352)، وصححه الألباني.

القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم.

والربيع: المطر الذي يحيي الأرض، فقد شبه القرآن به؛ لحياة القلوب به، وكذلك شبهه الله بالمطر وجمع بين الماء الذي تحصل به الحياة والنور الذي تحصل به الإضاءة والإشراق.

ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسري منه إلى القلب؛ لأنه قد حصل لما هو أوسع منه، ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسري الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح؛ سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها، ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن؛ فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد؛ فإنها تعود بذهاب ذلك[1].

رابعًا: ثمرات الأدب مع القرآن الكريم:

الأدب مع القرآن العظيم يهدي صاحبه ثمرات حسنة كثيرة: في حياته الشخصية، وحياته الأسرية والمجتمعية، وفي عيشه الدنيوي وعيشه الأخروي، ولا نستطيع استقصاء تلك الثمرات، ولكن نشير إلى بعضها:

1- الهداية إلى خير الطرق المنجية، والسبل المطمئنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

(1) ينظر: شرح المشكاة للطيبي (6/ 1910)، الفوائد لابن القيم (ص:26).

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:9].

"وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة...."[1].

2-نيل المنزلة الرفيعة عند الله تعالى وعند الناس.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن لله أهلين من الناس**) قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: (**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**)[2].

قوله: "(هم أهل القرآن) أي: حفظته العاملون به (أهل الله) بتقدير أنهم أهل الله أي: أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به"[3].

و"سُئِل أبو بَكْر الوَرَّاق عن معناه فقال: أَهلُ القُرآن: مَنْ يَحُوطُه القُرآنُ ولا يُسلِمُه إلى الشَّيطان، ولا يُسلَك به غَيرُ طريقِ الرَّحمن، هل رَأيتُم أحدًا أَسلَمَ أهلَه إلى أعدائِه، فانْظُر أَأَسْلَمَك القُرآنُ إلى عَمَل الشَّيطان، أم إلى عِبادَةِ

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 17). وينظر بقية كلام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الآية.

(2) رواه أحمد(12292) وابن ماجه(215)، والحاكم (2046) وصححه وقال: "وقد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها".

(3) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1/ 93).

الرَّحمن، فإن أَسلمَك إلى عَمَل الشيطان فَلَستَ من أَهلِ القُرآن، وإن أَسلمَك إلى عبادة الرَّحمن، فأنْتَ من أهلِ القُرآن"[(1)].

وعن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: (**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**)[(2)].

3- السلامة من عواقب سوء الأدب مع القرآن، كما سيأتي.

4- صلاح النفس واستقامتها، وصلاح علاقة المتأدب مع القرآن مع غيره.

فإن هذه النتيجة ثمرة القراءة والتدبر والعمل، فمن صلح حاله مع القرآن صلح حاله مع غيره.

5- الشفاعة يوم القيامة وسمو الدرجات في الجنة.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**)[(3)].

(1) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (1/ 114).

(2) رواه مسلم(817).

(3) رواه أحمد(6626)، والحاكم(2036) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا؛ فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها)**[1].

وفي رواية ابن ماجه[2]: **(يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه).**

" وصاحب القرآن هو: الملازم له بالهمة والعناية، ويكون ذلك تارة بالحفظ والتلاوة، وتارة بالتدبر له والعمل به"[3].

خامسًا: آثار سوء الأدب مع القرآن الكريم:

لسوء الأدب مع القرآن آثار سيئة وعواقب وخيمة كثيرة، وتختلف في دركات السوء اختلافها في حجم الفعل أو القول المخالف للأدب مع القرآن، ولكن من ذلك على سبيل الإيجاز:

1- الردة عن الإسلام.

وهذا في حق من ارتكب مع القرآن ما يكفر به.

فـ"من اعتقد قدم العالم....كان كافرا، وكذا من جحد جواز بعثة الرسل، ...أو جحد آية من القرآن مجمعًا عليها، أو زاد في القرآن كلمة واعتقد أنها

(1) رواه أحمد(6799)، وأبو داود(1464)، وابن ماجه(3780)، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7/ 162).

(2) (3780).

(3) شرح المشكاة للطيبي (5/ 1654).

منه"[1].

2- الشقاء في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[طه:124-126].

قال ابن القيم: "والصحيح: أنه ذكره الذي أنزله على رسوله وهو كتابه"[2].

3- العقوبة الدنيوية العاجلة.

قال الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[الملك:30]: "وعن بعض الشطار[3] أنه تليت عنده فقال: تجيء به الفؤوس والمعاول. فذهب ماء عينيه. نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته"[4].

وذكر الصفدي في ترجمة الناشئ الشاعر المتكلم المعروف بابن شرشير فقال: "قيل: إن سبب موته كان عجباً، وهو: أنه كان في جماعةٍ على شرابٍ، فجرى ذكر القرآن وعجيب نظمه، فقال ابن شرشير: كم تقولون؟! لو شئت...!

---

(1) روضة الطالبين وعمدة المفتين (10/ 64).

(2) مدارج السالكين (2/ 480).

(3) **الشطار**: جمع شاطر وهو الْخَبِيث الْفَاجِر.

(4) تفسير الزمخشري (4/ 583).

وتكلم بكلامٍ عظيمٍ فأنكروا عليه ذلك، فقال: إيتوني بقرطاسٍ ومحبرةٍ، فأحضر له ذلك، فقام ودخل بيتاً فانتظروه، فلما طال انتظاره قاموا ودخلوا إليه فإذا القرطاس مبسوطاً، وإذا الناشئ فوقه ممتداً، فحركوه فإذا هو ميت!"[1].

سادساً: نماذج مشرقة للأدب مع القرآن الكريم:

1-أدب الجن مع القرآن:

"كان أدب الجن عظيماً حين سماعهم القرآن، فينبغي التأسي بهم؛ فإنهم لما حضروا القرآن واستماعه، أو حضروا النبي ﷺ، قال بعضهم لبعض: اسكتوا لاستماع القرآن، فلما فرغ النبي ﷺ من تلاوة القرآن، انصرفوا قاصدين مَن وراءهم من قومهم من الجنّ، منذرين لهم مخالفة القرآن، ومحذّرين إياهم بأس الله إن لم يؤمنوا"[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الأحقاف:29-32].

(1) الوافي بالوفيات (5/ 482).

(2) التفسير المنير للزحيلي (26/ 65).

قال ابن كثير: "وهذا أدب منهم"(1).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ قال: (**ما لي أراكم سكوتًا؟ لَلجنُّ كانوا أحسن منكم ردًا، ما قرأت عليهم من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**[الرحمن:13]**إلا قالوا: ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد**)(2).

2-أدب أبي طلحة الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن أبا طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية: **﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[التوبة: 42] فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهزوني، فجهزوه وركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير"(3).

(1) تفسير ابن كثير (7/ 279).

(2) رواه الترمذي(3291)، والبيهقي في الشعب (4103)، والحاكم(3766) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(3) رواه البيهقي، السنن الكبرى (17801)، والحاكم(2503)، وابن حبان(7184)، وأبو يعلى(3413)، **وقال الحاكم:** "صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه"، **ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي:** رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع =

3 -أدب الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"كان الفضيل بن عياض شاطراً[1] يقطع الطريق بين أَبْيُورْدَ، وَسَرْخَسَ، وكان سبب توبته: أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليًا يتلو: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**﴾[الحديد:16]. قال: فلما سمعها قال: بلى -يا رب- قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة وإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ههنا يخافونني! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام"[2].

الفوائد(9/ 281).

(1) **يعني**: قاطعًا للطريق.

(2) شعب الإيمان، البيهقي (5/ 468).

الأدب مع رسول الله ﷺ

"رسول الله محمد ﷺ هو سيد ولد آدم وأشرفهم، وأجلهم وأعظمهم، وخيرهم وأفضلهم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وصاحب المقام المحمود يوم الدين، وذو الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة في الجنة، وصاحب الشفاعات المتعددة يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول من يجوز الصراط، وأول من يستفتح باب الجنة، وهو دليلنا إلى الله، وضياؤنا الذي رأينا به الحق الذي يهدينا إلى الصراط المستقيم"[1].

محمد، لفظ ما أحلاه، ومعنى ما أسماه، وعلم ما أعلاه، وضياء ما أبهاه، وطود في المكارم ما أرساه، ونجم في السماء ما أظهره وما أسناه، ومنهل من المحامد ما أوسعه وما أزكاه، ونهر في عذوبة الخُلق ما أطهره وما أنقاه، وجمال في المظهر والمخبر والمشهد والمغيب، فسبحان من خلقه وسوّاه، وكمّله وأوفاه.

محمد، سَنيٌّ الخصال بلا ريب، متصل الفضائل، محمود في الأرض والسماء، مرفوع الآخرة والأولى"[2].

(1) النور السائر من خطب المنابر: المجموعة الخامسة(322).

(2) النور السائر من خطب المنابر: المجموعة السابعة(29).

هذا النبي الكريم أوجب الله تعالى الأدب علينا معه بما يستحقه.

وسنتحدث عن هذا الأدب في النقاط الآتية:

أولاً: أسباب وجوب الأدب مع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

هناك أسباب تدعو إلى لزوم الأدب مع نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمنها:

1 –أن الله تعالى أمرنا بذلك في آيات عديدة من القرآن الكريم، ونهانا عما يخالف ذلك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحجرات:1–5].

قال ابن عاشور –متحدثًا عن سورة الحجرات–: "تتعلق أغراضها بحوادث جدت متقاربة كانت سببًا لنزول ما فيها من أحكام وآداب، وأولها: تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبيء ﷺ في معاملته وخطابه وندائه، دعا إلى تعليمهم إياها ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء

الأعراب لما نادوا الرسول ﷺ من بيوته"[1].

وقال السعدي: "نزلت هذه الآيات الكريمة في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله ﷺ فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد يا محمد، [أي: اخرج إلينا]، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته: استعمال الأدب"[2].

2- أن الله تعالى منّ علينا برسالته التي ترشدنا إلى سعادة الدنيا والآخرة، فما من خير نعمله، وما من شر نجتنبه، وما من ثمرة حسنة تنتج عن ذلك إلا كان لرسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فضل الدلالة إليه، والحث على التقرب إلى الله به. فمن شكر هذه المنة: أن نلزم الأدب معه.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[آل عمران:164].

وفي الصحيحين[3] قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**يا معشر الأنصار، ألم**

(1) التحرير والتنوير (26/ 213).

(2) تفسير السعدي (ص:799).

(3) صحيح البخاري (4330)، صحيح مسلم(1061).

أجدكم ضُلَّالًا، فهداكم الله بي؟ وعالة، فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين، فجمعكم الله بي؟) ويقولون: الله ورسوله أمنّ، فقال: **(ألا تجيبوني؟)** فقالوا: الله ورسوله أمنُّ.

3-أن القيام بهذا الأدب واجب شرعي يثاب المسلم على فعله، ويعاقب على تركه أو التقصير فيه، وهذا الواجب الشرعي له فروع كثيرة ستتضح في الصور.

4-ما وهبه الله تعالى من أسباب الكمال البشري في خَلقه وخُلقه.

فـ"لا نكاد نعرف أحدًا كمّله الله بكل فضيلة، ونزهه عن كل رذيلة، مثل ما عرفنا ذلك لرسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه. وليس العجب من اجتماع هذه الصفات فيه، وإنما العجب حقًا أنها فيه على سواء، فلا صفة تطغى على أخرى حتى تكاد تطمسها، ولا خلق يربو على آخر حتى يكاد يخفي معالمه، وإنما هي صفات وزنت بميزان عادل لا يعول، وأخلاق حسبت بحسبان دقيق لا يضل، هداية في حكمة، وعلم في فقه، ورحمة في غير ضعف، وعدل في غير عنف، وحزم في حلم، وصرامة في رحمة، وغضب لله في غير جور ولا بطش، وكرم في غير إسراف، ودقة في غير فسولة[1]؛ ورأفة في غير تفريط، وعقل كبير في سعة قلب، وجد في غير هزل، ومزح في غير باطل، وفصاحة في بلاغة، وكلم

---

(1) **يقال**: فسل الرجل فسالة وفسولة جبن ورذل. وأفسل الفسيلة انتزعها من أمهَا أَو قلعهَا من الأَرْض وغرسها فِي مَكَان آخر. المعجم الوسيط (2/ 689).

جوامع في حكم نوابغ، ورجولة في مروءة، وفحولة في عفة. وهكذا لا يمكن لمنصف أن يجد في أخلاقه مغمزا، أو في سلوكه مطعنا، وهذا المعنى لا نجده في بشر أيًا كان"[1].

فلهذا فإن الأخلاق الكريمة والعقول الراجحة تأمر صاحبها أن يلزم الأدب مع شخص محمد ﷺ؛ لأن من قرأ سيرته واطلع على أحواله لا يجد مطعنًا يدعوه إلى سوء الأدب معه.

ثانيًا: تعريف الأدب مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

الأدب مع رسول الله ﷺ يعني: مسارعة القلوب إلى توقيره وتعظيمه ومحبته من غير غلو ولا جفاء، ومسارعة الجوارح إلى اتباعه والعمل بسنته والثناء عليه، وغير ذلك.

ثالثًا: صور الأدب مع رسول الله ﷺ:

يمكن تقسيم هذه الصور إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صور الأدب مع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حياته وبعد مماته:

وهذا القسم له صور كثيرة، منها:

1-الإيمان برسالته إيمانًا جازمًا لا يخالطه شك ولا كذب.

(1) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (2/ 601).

وهـذا أسـاس الآداب مـع نبينـا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصـلها، ومـا سـواه مـن الآداب فمتفرع عنه.

وقد أمر الله به في آيات عدة، وقرنه بالإيمان به وبكتابه وتوعد من تركه:

قـال تعـالى: ﴿فَـآمِنُوا بِـاللهِ وَرَسُـولِهِ وَالنُّـورِ الَّـذِي أَنزَلْنَـا وَاللهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِيرٌ﴾[التغابن:8].

وقال: ﴿فـآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِـهِ وَاتَّبِعُـوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:158].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح:13].

2 –القيام التام بطاعته، وعدم مخالفة أمره.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[النور:56].

وقال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:54].

"قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته، والتسليم لما جاء به"(1).

وقال الواحدي: "وذكر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة في فرض طاعة الرسول هذه الآية، وقال: إن كل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه، كالحج والصلاة والزكاة، لولا بيان رسول الله ﷺ ما كنَّا نعرف كيف نأتيها، ولا يمكننا أداء

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 17).

شيء من العبادات، وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة، كانت طاعته على الحقيقة طاعةً الله. هذا معنى كلام الشافعي"[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ أنه قال: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا أن تصيبهم فتنة أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[2].

3 –اتباعه فيما جاء به قدراً وصفة بدون زيادة أو تغيير.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:158].

وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:31].

قال أبو حيان: "رتب تعالى على محبتهم له اتباع رسوله محبته لهم؛ وذلك

(1) التفسير البسيط (6/ 618).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 82).

أن الطريق الموصل إلى رضاه تعالى إنما هو مستفاد من نبيه؛ فإنه هو المبين عن الله؛ إذ لا يهتدي العقل إلى معرفة أحكام الله في العبادات، ولا في غيرها، بل رسوله ﷺ هو الموضح لذلك، فكان اتباعه فيما أتى به احتماء لمن يحب أن يعمل بطاعة الله تعالى"[1].

وقال ابن رجب: "فجعل علامة الصدق في محبته اتباع رسوله، فدل على أن المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة"[2].

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "اِتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ"[3].

وقال القاضي عياض: "فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه:

1- وأولها: الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه. وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾..."[4].

4- أن لا يتقدم بين يديه بأمر أو نهي أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ

---

(1) البحر المحيط في التفسير (3/ 103).

(2) تفسير ابن رجب الحنبلي (2/ 55).

(3) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص:56).

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 56).

اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:1].

قال ابن القيم: "ومن الأدب مع الرسول ﷺ: أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: 1] وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ. فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم"(1).

وقال الشنقيطي: "وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولاً أوليًا تشريع ما لم يأذن به الله، وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله؛ لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله"(2).

5- الانقياد لأمره والتسليم الكامل لحكمه.

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:65].

"فأقسم بِنَفسِهِ على أَنه نفى إِيمَان من لم يجمع أَمريْن: تحكيمه فِيمَا شجر بَينهم، ثمَّ أَن لَا يجد فِي نَفسه حرجًا، وَهَذَا يُوجب أَنه لَيْسَ فِي أمره وَنَهْيه مَا يُوجب الْحَرج لمن امتثل ذَلِك؛ فَإِن حكمه لَا بُد فِيهِ من أَمر وَنهي، وَإِن كَانَ فِيهِ

(1) مدارج السالكين (2/ 367).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (7/ 401).

إِبَاحَة أَيْضًا، فَلَو كَانَ الْمَأْمُور بِهِ والمنهي عَنهُ مضرَّة للْعَبد ومفسدة وألمًا بِلَا لَذَّة راجحة؛ لم يكن العَبْد ملومًا على وجود الْحَرج فِيمَا هُوَ مضرَّة لَهُ ومفسدة"[1].

"فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس؛ فمن تركها كان من أهل الوعيد لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب؛ فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به، وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها؛ فهو معرض للوعيد.

ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما حكم ويسلموا تسليما"[2].

قال ابن القيم: "فنفى الإيمان حتى يوجد تحكيمه وحده، وهو تحكيمه في حال حياته وتحكيم سنته فقط بعد وفاته"[3].

وقال أيضًا: "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسمًا مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفى عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح

---

(1) جامع الرسائل (2/ 379).

(2) مجموع الفتاوى (7/ 37).

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 174).

صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول. ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضًا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض، فهنا قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج والرضا والتسليم والانقياد؛ إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه، ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه، والتسليم أخص من انتفاء الحرج؛ فالحرج مانع والتسليم أمر وجودي، ولا يلزم من انتفاء حصوله بمجرد انتفائه؛ إذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغًا من الرضى به والتسليم له"[1].

6-حبه محبة أعظم من حب النفس والمال والوالد والولد والناس أجمعين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:24].

قال القاضي عياض: "فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى

(1) التبيان في أقسام القرآن (ص:430).

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[(1)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[(2)].

وعن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**) فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (**الآن يا عمر**)[(3)].

قال ابن القيم: "محبة الرسول - بل تقديمه في الحب على الأنفس والآباء والأبناء - لا يتم الإيمان إلا بها؛ إذ محبته من محبة الله"[(4)].

ومن حبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: حب القرآن الذي أنزل عليه، قال القاضي عياض: "ومنها: أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ وهدى به واهتدى وتخلق به، حتى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كان خلقه القرآن)، وحبه للقرآن: تلاوته والعمل

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 43).
(2) رواه البخاري (15)، ومسلم(44).
(3) رواه البخاري (6632).
(4) الجواب الكافي (ص:189).

به وتفهمه، ويحب سنته ويقف عند حدودها، قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله: حب القرآن، وعلامة حب القرآن: حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ: حب السنة، وعلامة حب السنة: حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة: بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا: أن لا يدخر منها إلا زادًا وبلغة إلى الآخرة، وقال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن؛ فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله"[1].

7-توقيره وتعظيمه وإجلاله بما هو مشروع في حقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح:8-9].

قال الطبري: "ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[2].

وقال ابن تيمية: "والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[3].

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 28).

(2) تفسير الطبري (22/ 208).

(3) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص:422).

وقال ابن الجوزي: "أي: تعظّموه وتبجّلوه. واختار كثير من القرَّاء الوقف هاهنا؛ لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده"[1].

وقال القاضي عياض: "فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره.. وألزم إكرامه وتعظيمه"[2].

8-الاستجابة له من غير تردد ولا عصيان.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[الأنفال:24].

"فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي بما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان. فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد ذلك. وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه؛ فإن أبدانهم قبور لقلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم"[3].

وقد تضمنت: "هذه الآية أموراً: أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا،

---

(1) زاد المسير في علم التفسير (4/ 129).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 79).

(3) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 22).

وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإنْ كان ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول(1).

عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: "ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: 24]...."(2).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب، فقال رسول الله ﷺ: **(يا أبي)** وهو يصلي، فالتفت أبي ولم يجبه، وصلى أبي فخفف، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **(وعليك السلام، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك؟)** فقال: يا رسول الله إني كنت في الصلاة، قال: **(أفلم تجد فيما أوحي إلي أن ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: 24]؟)** قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله(3).

9- الاقتداء بهديه في الأقوال والأفعال.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:21].

---

(1) الفوائد لابن القيم (ص:88).

(2) رواه البخاري (4474).

(3) رواه الترمذي(2875)، وابن خزيمة(861)، وهو صحيح.

"الأسوة في الرسول: الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل"[1].

وقال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ"[2].

10-الصلاة والسلام عليه كلما ذُكر. والإكثار من ذلك في غيره. وأن لا يكتفى بالصلاة فحسب بل يجمع بين الصلاة والتسليم كما ذكر القرآن.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:56].

قال ابن كثير: "والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعا"[3]

قال النووي: "ينكر على مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كونه اقتصر على الصلاة على رسول الله ﷺ دون التسليم، وقد أمرنا الله تعالى بهما جميعًا فقال تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فكان ينبغي أن يقول: وصلى الله وسلم على

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 22).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 350).

(3) تفسير ابن كثير (6/ 405).

محمد. فإن قيل: فقد جاءت الصلاة عليه ﷺ غير مقرونة بالتسليم؛ وذلك في آخر التشهد في الصلوات؟ فالجواب: أن السلام تقدم قبل الصلاة في كلمات التشهد، وهو قوله: (سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)؛ ولهذا قالت الصحابة رضى الله عنهم: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك، فكيف نصلى عليك؟... الحديث. وقد نص العلماء رضى الله عنهم على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه ﷺ من غير تسليم، والله أعلم"[1].

وقال ابن كثير: "قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾"[2].

11- ترك إيذائه في صحابته وزوجاته وآل بيته.

فإن من الأدب مع الرجل أن تراعى حرمته في أهله ومن يحب، وزوجاتُ رسول الله وآله الطيبون وصحابته الأكرمون ممن يحب.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم، ولا نصيفه)**[3].

وعن زيد بن أرقم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(وأهل بيتي أذكركم**

(1) شرح النووي على مسلم (1/ 44).
(2) تفسير ابن كثير (6/ 423).
(3) رواه البخاري(3673)، ومسلم(2541).

الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

قال الإمام النسائي: "إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار"[2].

القسم الثاني: صور الأدب مع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حال حياته:

وهذا القسم له صور، منها:

1 –حسن خطابه وندائه.

فمن الأدب الذي أدب الله به المؤمنين السابقين مع نبيه حال حياته: أنه نهاهم أن يخاطبوا رسول الله بكلمة " راعنا" التي كان يقولها اليهود قاصدين بها سبَّه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة:104].

"فنهي المسلمون عنها حسمًا لمادة التشبه باليهود، وتشبه اليهود بهم، وجعل ذلك ذريعة إلى الاستهزاء به، ولما يحتمله لفظها من قلة الأدب في مخاطبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"[3].

قال ابن كثير: "نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقامهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما

---

(1) رواه مسلم(2408).

(2) تهذيب الكمال (1/ 339).

(3) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص:241).

يقصدونه من التنقيص، عليهم لعائن الله، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا، ويورّون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ(1) وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:46].

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم، والسام هو الموت؛ ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ (وعليكم)، وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا"(2).

ومن الأدب معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن لا ينادى باسمه المجرد، بل يشرّف بندائه بـ يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[النور:63].

و"**المعنى**: لا تجعلوا دعاءكم إلى الرسول إذا دعوتموه كدعاء بعضكم بعضًا، فلا تقولوا له: يا محمد، مصرحين باسمه، ولا ترفعوا أصواتكم عنده كما يفعل بعضكم مع بعض، بل قولوا له: يا نبي الله، يا رسول الله، مع خفض الصوت احترامًا له ﷺ"(3).

---

(1) **قال ابن جزي**: "فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها؛ لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضًا عن تلك: لكان خيرًا لهم؛ فإن هذه ليس فيها سوء أدب". تفسير ابن جزي (1/ 195).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 256).

(3) أضواء البيان (5/ 557).

"فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته"[1].

2- استئذانه للانصراف من مجمع جمع الرسول والمسلمين كمجمع الغزو أو المشورة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:62].

"وهذا أيضًا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك، أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته وإن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين"[2].

3- الابتعاد عن كل سبب يؤدي إلى التثقيل عليه، أو يوصل إلى إيذائه.

فقد أدب الله الصحابة بأن لا يثقلوا عليه بأن لا يدخلوا بيوته لتناول طعام إلا بإذنه، فإذا دعوا إلى ذلك فعليهم أن لا يطيلوا البقاء حال كراهية رسول الله لذلك.

---

(1) تفسير ابن كثير (6/ 82).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 81).

4- أن لا يتزوج أحد إحدى نسائه من بعده، وأن لا يؤذيه أحد فيهن؛ لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى عن هذين الأدبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾[الأحزاب:53].

5- أن لا يُرفع صوت فوق صوته ولا يُقدم رأي على رأيه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:1-2].

روى البخاري(1) عن عبد الله بن الزبير أنه قال": قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلى، أو إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما "، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا

(1) صحيح البخاري(4367).

﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: 1] حتى انقضت الآية.

وفي رواية للبخاري[1]: "عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخيِّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** [الحجرات: 2] إلى قوله: **﴿عظيم﴾** [الحجرات: 3]، قال ابن أبي مليكة، قال ابن الزبير، فكان عمر بعد، ولم يذكر ذلك عن أبيه- يعني: أبا بكر- إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السِّرار[2]، لم يُسمعه حتى يَستفهمه".

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل"[3].

وعن أنس بن مالك، أنه قال لما نزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾**[الحجرات: 2] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ

(1) صحيح البخاري(4845).

(2) **السِّرَارُ**: الْمُسَارَرَةُ: أَيْ: كَصَاحِبِ السِّرَار، أَوْ كمِثْل المُسَارَرَة لِخَفْض صَوْته. النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 360).

(3) رواه البيهقي في الشعب(1430)، والبزار(56)، وابن أبي شيبة(34435)، والحاكم(4449) **وقال**: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

سعد بن معاذ، فقال: (**يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟**) قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**بل هو من أهل الجنة**)(1).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات:4-5].

"أي: لو انتظروا خروجك، ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم؛ لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ، ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل"(2).

القسم الثالث: صور الأدب مع رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد مماته:

هناك صور من الأدب التي يلتزم بها المسلم مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن لحق رسول الله بالرفيق الأعلى، مع مشاركته في صور الأدب معه في القسم الأول. فمن ذلك:

---

(1) رواه مسلم(119).

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن (13/ 135).

1 -عدم رفع الصوت عند حديثه وفي مسجده وعند قبره:

عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما؛ ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟"[1].

قال ابن رجب: "إنما فرق عمر بين أهل المدينة وغيرها في هذا؛ لأن أهل المدينة لا يخفى عليهم حرمة مسجد رسول الله ﷺ وتعظيمه، بخلاف من لم يكن من أهلها؛ فإنه قد يخفى عليه مثل هذا القدر من احترام المسجد، فعفى عنه بجهله"[2].

قال القاضي عياض: "واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته.. وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته، قال أبو إبراهيم التجيبي: واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به"[3].

---

(1) رواه البخاري(470).

(2) فتح الباري لابن رجب (3/ 395).

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 91).

قال أبو حميد: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية. ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ الآية، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾الآية. وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا. فاستكان لها أبو جعفر[1].

وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ خشع، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت وقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله"[2].

2 – تلقي خبره بالقبول وترك معارضته برأي أو قياس أو معقول.

قال ابن القيم: "فرأس الأدب معه: كمال التسليم له، والانقياد لأمره. وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل، يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان. كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل، والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل.

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 92).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 95).

وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه: تأويلاً، وحملاً فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

ولقد خاطبت يومًا بعض أكابر هؤلاء فقلت له: سألتك بالله لو قُدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه، أكان فرضًا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟

فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيء نسخ؟

فوضع إصبعه على فيه، وبقي باهتا متحيرًا، وما نطق بكلمة"[1].

3 -إحياء شريعته في كل جوانب الحياة، والعمل بوصاياه التي وصى بها الأمة، وترك الابتداع في دينه، والدفاع عنه ضد الطاعنين فيه وفي سنته.

وهذا هو الدليل الصادق على محبته وطاعته وتعظيمه.

---

(1) مدارج السالكين (2/ 365).

فمن وصاياه: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

1 - **(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ عبدًا حبشيًا مُجَدَّعًا)**[1].

2 -**(أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ)**[2].

3 -**(احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي، أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)**[3].

قال القاضي عياض: "والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه. قال أبو سليمان: وقال أبو بكر: وموازرته: ونصرته وحمايته حيًا وميتًا، وإحياء سنته بالطلب، والذب عنها ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة"[4].

وقال ابن تيمية: "وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان؛ فإن هذه طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان"[5].

---

(1) رواه أبو داود(4607)، وابن ماجه(43)، وابن حبان(5)، وهو صحيح.

(2) رواه البخاري(3799).

(3) رواه الترمذي(2165)، وابن ماجه(2363)، وهو صحيح.

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 73).

(5) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 124).

رابعًا: طرق الوصول إلى لزوم الأدب مع النبي ﷺ:

من أراد أن يبلغ درجة عليا في الأدب مع النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فليسلك هذه الطرق:

1-معرفة عظمة قدره، وكمال خِلاله، وعلو شأنه في الدنيا والآخرة.

فإن الجهل أو قلة المعرفة بالمرء قد تؤدي إلى مخالفة مطالب الأدب معه، والعلمُ بعظيم المنزلة وسمو القدر يدعو إلى لزوم التأدب والإجلال.
ولتحصيل هذه المعرفة وسائل، منها:

أ-معرفة حديث القرآن الكثير عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ب-الاطلاع الواسع على أقواله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأفعاله.

ج-القراءة المتأنية في شمائله العذبة وسيرته العطرة، خصوصًا القراءة في كتب السيرة التي تعنى بالجانب التحليلي والفوائدي.

2-التأمل في أدب الصحابة الكرام معه، وستأتي نماذج مشرقة من ذلك.

3-النظر في الخير الذي أجراه الله تعالى على يديه لأمته في الدنيا والآخرة، وكمال حرصه عليها وشفقته بها.

فإن ذلك يدعو إلى شكره، ومن شكره: لزوم الأدب معه.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي**

ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:164].

وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:128].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: 118]، فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي)، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟. فأتاه جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال- وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك)[1].

4- الاشتغال بسنته قراءة ودراسة وتدريسًا وامتثالاً ونشراً.

ولهذا نجد المحدثين من أكثر الأمة أدبًا مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وستأتي أمثلة على ما نقول.

5- معرفة الثمرات المترتبة على الأدب معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والآثارِ السيئة الناتجة عن سوء الأدب معه. كما سنذكر.

(1) رواه مسلم (202).

خامسًا: ثمرات الأدب مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

للأدب مع النبي ﷺ ثمرات عديدة في الدنيا والآخرة، بل كل مظهر من مظاهر الأدب معه له ثمرات تخصه، مع الثمرات العامة لكل تلك المظاهر.
فمن الثمرات:

1 -الدخول في زمرة المؤمنين الذين يهديهم ربهم بإيمانهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

فلا إيمان إلا بالأدب مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد الأدب مع الله تعالى، كما لا طاعة لله إلا بطاعة رسوله.

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء:80].

2 - تحصيل التقوى ونيل الأجر العظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الحجرات:3].

3 -ذوق حلاوة الإيمان، الذي يضفي على الحياة السعادة والطمأنينة.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**)[1].

---

(1) رواه البخاري(21)، ومسلم(43).

4- الحصول على تمام الهداية.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:54]. وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:158].

5- مرافقة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الجنة وإن تفاوتت الدرجات.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: (**وماذا أعددت لها**). قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال: (**أنت مع من أحببت**). قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي ﷺ: (**أنت مع من أحببت**) قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[1].

سادسًا: آثار سوء الأدب مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

هناك آثار سيئة لسوء الأدب مع النبي ﷺ منها ما يصل إلى حد الكفر ومنها ما هو دون ذلك. فمن ذلك:

1- الخروج عن الإسلام إلى الكفر.

فالمسلم الذي يطعن في النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في شخصه، أو ما جاء به، أو

---

(1) رواه البخاري(3688)، ومسلم(2639).

يستهزئ به أو يسبه أو يشتمه؛ فإنه يخرج بذلك عن ملة الإسلام ويستحق القتل ردة.

"**قال ابن المنذر**: "أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل"... وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبيًا من أنبياء الله عز وجل؛ أنه كافر بذلك وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله". قال الخطابي: "لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله"، وقال محمد بن سحنون: "أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر"[1].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[الحجرات:2].

" فإذا ثبت أن رفع الصوت فوق صوت النبي والجهر له بالقول يخاف منه أن يكفر صاحبه وهو لا يشعر ويحبط عمله بذلك وأنه مظنة لذلك، وسبب فيه؛ فمن المعلوم أن ذلك لما ينبغي له من التعزير والتوقير والتشريف والتعظيم والإكرام والإجلال، ولما أن رفع الصوت قد يشتمل على أذى له أو استخفاف

(1) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص:4).

به وإن لم يقصد الرافع ذلك، فإذا كان الأذى والاستخفاف الذي يحصل في سوء الأدب من غير قصد صاحبه يكون كفرًا فالأذى والاستخفاف المقصود المتعمد كفر بطريق الأولى"[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[التوبة:65-66].

2-استحقاق اللعن في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[الأحزاب:57].

3-الإصابة بالفتنة.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63].

" ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ فيها ثلاثة تأويلات: أحدها: كفر، قاله السدي. الثاني: عقوبة، قاله ابن كامل. الثالث: بلية تُظْهِرُ ما في قلوبهم من النفاق، حكاه ابن عيسى"[2].

---

(1) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص:55).

(2) تفسير الماوردي (4/ 129).

4- عدم الشرب من حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم القيامة.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: (**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم**)[1].

قيل: "هُمُ الْمُرْتَدُّونَ، وقيل: الْمُبْتَدِعُون مطلقًا"[2].

5- الضلال وقلة الأجر وحرمان بركات الهدي النبوي.

سابعًا: نماذج مشرقة من أدب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

1- **قال** عروة بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والله إنْ رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له"[3].

2- **وقال** عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه؛ إجلالاً له، ولو

(1) رواه البخاري (6583)، ومسلم(2290).

(2) فيض الباري على صحيح البخاري (4/ 403).

(3) رواه البخاري(2731).

سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه"(1).

3- وعن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ لأعرابي جاهل: سله عمن قضى نحبه من هو - وكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه - فسأله الأعرابي"(2).

4- وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما نزل علي رسول الله ﷺ، قلت: بأبي أنت وأمي إني أكره أن أكون فوقك، وتكون أسفل مني، فقال رسول الله ﷺ: (**إني أرفق بي أن أكون في السفلى لما يغشانا من الناس**) قال: فلقد رأيت جرة لنا انكسرت فأهريق ماؤها، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء؛ فرقًا أن يصل إلى رسول الله ﷺ شيء يؤذيه(3).

5- وفي قصة سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حكم في بني قريظة وفيها: "فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ؟ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم"(4).

---

(1) رواه مسلم (121).

(2) رواه الترمذي(3203)، وهو حسن صحيح.

(3) رواه الحاكم(5939)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

(4) بهجة المحافل وبغية الأماثل (1/ 274).

ثامنًا: نماذج مشرقة من أدب المحدثين مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

أهل الحديث من أعظم الناس أدبًا مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسأكتفي بنموذج واحد عن أحد أئمتهم في مواقف متعددة له؛ حتى يعلم أن ذلك كان خلقًا دائمًا لا فعلاً عارضًا منه.

وهو إمام دار الهجرة: أبو عبد الله مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

1- **قال** ابن أبي أويس: "كان مالك إذا جلس للحديث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة.

ثم حدث فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا. وكان يكره أن، يحدث في طريق قائمًا ومستعجلاً. وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"(1).

2- **وقال** مطرف: "كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل: خرج إليهم وأفتاهم وإن قالوا: الحديث قال لهم: اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جدداً وتعمم، وتلقى له المنصة، فيخرج إليهم وعليه الخشوع، ويوضع عود فلا يزال يتبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ(2).

ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث(3).

---

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (2/ 15).

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (1/ 109).

(3) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (3/ 221).

3 -**وقال** يحيى بن عبد الله بن بكير:" كان مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا عرض له الموطأ تهيأ ولبس عمامته ثم أطرق ولا يتنحنح، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة؛ إعظامًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم"(1).

4 -**وقال** عبد الله بن المبارك:" كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاء العقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله، لقد رأيت منك عجبًا! قال: نعم، أنا صبرت؛ إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم"(2).

ولعل الإمام مالكًا استفاد هذا الإجلال لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولحديثه من بعض مشايخه:

فقد سئل مالك: "متى سمعت من أيوب السختياني؟ قال: حج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه إذا جاء ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتبت عنه"(3).

وقال مصعب بن عبد الله: "كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه.

فقيل له يومًا في ذلك.

---

(1) كشف المغطا في فضل الموطا (ص:34).

(2) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص:394).

(3) التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح (1/ 386).

فقال: لو رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر -وكان سيد القراء- لا نكاد نسأله على حديث إلا بكى حتى نرحمه، ولقد أتى جعفر بن محمد -وكان كثير المزاح والتبسم- فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضر واصفر"[1].

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (2/ 51).

الأدب مع الإسلام

الإسلام هو نور أرسله الله على ألسنة رسله ليكشف للناس في متاهات الحياة الداجية سبيلَ النجاة من شقاء الدنيا والآخرة، فمن اتبع ذلك النور حتى يصل إلى ربه فقد سعد سعادة لا شقاء بعدها، ومن أعرض عنه عاش في ظلمات الشقاء العاجلة والآجلة، وكان له من الضلال في أودية الظلام والعناء بقدر إعراضه عن ذلك النور السائر.

والإسلام هو الدين المرضي عند الله، والطريق الموصل إلى رضوانه وألوان نعيمه، فعليه يثيب الناس أو يعاقبهم، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران:85]، يعني: "من يطلب دينًا غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل"(1).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ**﴾[آل عمران:19]، "يعني: إن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام، وأن كل دين سواه غير مقبول عنده؛ لأن

(1) تفسير الطبري (5/ 555).

الدين الصحيح: ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه"[1].

قال ابن القيم: "وقد دل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران: 19] على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: 72] وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[البقرة:128] ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:132]. وقال موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:84]"[2].

وعلى منوال الرسل جاء نبينا محمد ﷺ بالإسلام، ولكن مع تحريف كل دين سواه وبطلانه؛ غدا الإسلام بعد البعثة المحمدية لا يطلق إلا على الإسلام الخاص الذي أتى به نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:3].

قال ابن القيم: "وَتَأمل كَيفَ وصف الدّين الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُم بالكمال، وَالنعْمَة الَّتِي أسبغها عَلَيْهِم بالتمام؛ إِيذَانًا فِي الدّين بِأَنَّهُ لَا نقص فِيهِ وَلَا عيب

(1) تفسير الخازن (1/ 266).

(2) مدارج السالكين (3/ 441).

وَلَا خلل، وَلَا شَيْء خَارِجًا عَن الْحِكْمَة بِوَجْه، بل هُوَ الْكَامِل فِي حسنه وجلالته. وَوصف النِّعْمَة بالتمام؛ إِيذَانًا بدوامها واتصالها، وَأَنه لَا يسلبهم إِيَّاهَا بعد إِذْ أعطاهموها، بل يُتمها لَهُم بالدوام فِي هَذِه الدَّار وَفِي دَار الْقَرار. وَتَأمل حسن اقتران التَّمام بِالنعْمَةِ وَحسن اقتران الْكَمَال بِالدّينِ، وَإِضَافَة الدّين اليهم؛ إِذْ هم القائمون بِهِ المقيمون لَهُ، وأضاف النِّعْمَة إليه؛ إِذْ هُوَ وَليهَا ومسديها، والمنعم بهَا عَلَيْهِم، فَهِيَ نعْمَته حَقًا وهم قابلوها، وأتى فِي الْكَمَال بِاللَّامِ المؤذنة بالاختصاص، وَأَنه شَيْء خصوا بِهِ دون الامم، وَفِي إتْمَام النِّعْمَة بـ (على) المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة فجَاء (أتممت) فِي مُقَابلَة (أكملت) وَ(عَلَيْكُم) فِي مُقَابلَة (لكم) و(نعمتي) فِي مُقَابلَة (دينكُمْ)، وأكد ذَلِك وزاده تقريرًا وكمالاً وإتمامًا للنعمة بقوله: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾، وَكَانَ بعض السّلف الصَّالح يَقُول: يا له من دين لَو أن لَهُ رجَالًا"[1].

وسنتحدث عن الأدب مع الإسلام في العناوين الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع الإسلام:

الأدب مع الإسلام هو: اعتقاد صحته وكماله، وصلاحِه لكل زمان ومكان وأمة، والعمل بما جاء به من غير رد ولا كراهية وانتقاء حسب الأهواء.

ثانيًا: أسباب وجوب الأدب مع الإسلام:

---

(1) مفتاح دار السعادة (1/ 302).

يجب على كل مسلم أن يتأدب مع دينه الإسلام؛ لأسباب، منها:

1 -أنه دين المسلم الحق الذي يتعبد لله تعالى به.

والدين عند كل متدين به محل تعظيم واحترام وإكرام؛ لهذا نجد كل صاحب دين متدين يغار على دينه، ويتعصب له؛ لأنه يراه شيئًا كبيراً لا يجوز التعرض له بأدنى إهانة؛ لأن إهانته إهانة لمعتنقيه، وإذا كان سماويًا فالإهانة له إهانة لمشرِّعه.

2 -الأدب معه أدب مع مَن سنّه وشرعه.

فمن الأدب مع الله: الأدب مع دينه الإسلام الذي تعبد عباده به، ومن الأدب مع رسول الله محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: الأدب مع الإسلام الذي أُرسل به وبلّغه للأمة.

3 -لأن الأدب معه يجني المسلم به خيرات الدنيا والآخرة.

4 -الأدب معه دعوة لغير المسلمين للدخول فيه، ودعوة كذلك إلى احترام المسلمين ومراعاة حقهم في التدين.

فإن البعيدين عن الإسلام إذا رأوا المسلمين على أدب جم مع دينهم دعاهم ذلك إلى الدخول فيه، ومتى رأوا مسلمًا متأدبًا بآداب دينه احترموه، وراعوا حقوقه.

فقد يوجد من المسلمين من يعملون في شركات أو وظائف لدى غير المسلمين، فإذا رآهم مديروها على آداب الإسلام أذنوا لهم في ممارسة شعائر الإسلام أثناء الدوام،

بل وعدُّوهم من أحسن الموظفين عندهم؛ لأن تمسكهم بالإسلام سيدعوهم إلى إتقان العمل والأمانة فيه، وحسن المعاملة مع شركاء العمل.

ثالثًا: صور من الأدب مع الإسلام:

هناك صور كثيرة من الأدب مع دين الإسلام، منها الباطنة، ومنها الظاهرة، فمن ذلك:

1-اعتقاد صحة الإسلام، وسلامة ما جاء فيه من العقائد والتشريعات والقيم.

فدين الإسلام دين معصوم من الخطأ والزلل، والقصور والخلل؛ لأنه آتٍ من عند الله تعالى، وليس من عند البشر ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[النساء:82]، وشرائعه وقيمه صالحة للقبول التام لدى النفس البشرية حين تحتكم إلى العقل وصفاء الفطرة؛ لهذا نجد عدداً من الناس أسلموا تأثراً ببعض شعائر الإسلام:

يقول بيجي رودريك -وكان نصرانيًا فأسلم-: "لقد تأثرت أعظم التأثر بمبدأ الأخوة في الإسلام الذي يشمل كافة بني البشر بصرف النظر عن اللون أو العنصر أو المعتقد. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يحقق هذا المبدأ العظيم في الواقع العملي، فالناس جميعًا متساوون، ومبدأ الأخوة مقدم على كل اعتبار آخر"[1].

---

(1) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل (ص:182).

وتقول ماري أوليفر -نصرانية أسلمت-:"إن أهم الجوانب في الإسلام التي أثـرت في نفسي هي بساطة تعاليمه، وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحياها المسلمون المتمسكون بتعاليم الإسلام، كما أن الإسلام لا يعتبر أحدًا خاطئًا منذ ولادته، والإسلام هو دين السلام؛ فهو يدعو إلى إشاعة السلام والانسجام بين المسلمين، وليس ذلك فحسب، بل يضع المسؤولية على عاتق المسلمين لإقامة السلام في العالم كله"[1].

ويقول هربرت جورج:" إن الإسلام دين المنطق والعقل، لم يجعل وساطة بين الله والإنسان، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة. استوقفني كثيرًا نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام، إن التوحيد يجعلني عبدًا لله وحده لست عبدًا لأي إنسان، التوحيد في الإسلام يجرّد الإنسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده"[2].

2-اليقين بأنه الدين الباقي الخالد، الذي لا ينسخه أي دين.

إن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ باقٍ في هذه الدنيا لا ينسخ، خالد لا يفنى، حي لا يموت بمكر الماكرين به، وتخلِّي أهله عنه. فوعد الله ببقاء هذا الدين لا يتبدل، وعناصر الخلود عنه لا تذهب، فهو دين الحياة حتى تفنى الحياة

(1) قالوا عن الإسلام (ص:153).

(2) قالوا عن الإسلام (ص:147).

والأحياء، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:32-33].

3-الجزم بأنه كامل لا يحتاج إلى زيادة، تام لا يفتقر إلى توفية.

فالابتداع فيه عن معرفة ليس من الأدب معه.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:3].

قال ابن عاشور: "يدل قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ على أن هذا الدين دين أبدي؛ لأن الشيء المختار المدخر لا يكون إلا أنفس ما أظهر من الأديان، والأنفس لا يبطله شيء؛ إذ ليس بعده غاية"(1).

عن طارق بن شهاب، قال: (جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا نزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: 3]، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه؛ نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم جمعة)(2).

قال مالك بن أنس: "ومن أحدث في هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفها فقد

---

(1) التحرير والتنوير (6/ 108).

(2) رواه البخاري (45)، ومسلم (3017).

زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[المائدة: 3] فما لم يكن يومئذ دينا، لا يكون اليوم دينا"(1).

4-عدم الشك في كون الإسلام ناسخًا لكل الأديان.

فكل دين سماوي بعد دين الإسلام الذي جاء به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو منسوخ به. كما أن القرآن ناسخ للكتب السابقة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)(2).

قال النووي: "فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح، والله أعلم.

وقوله ﷺ: (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة) أي: من هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته. وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهًا على من سواهما؛ وذلك لأن اليهود النصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى، والله أعلم"(3).

---

(1) الاعتصام للشاطبي (2/ 535).

(2) رواه مسلم (153).

(3) شرح النووي على مسلم (2/ 188).

5 –اعتقاد أن المسلمين ليسوا سواء مع غيرهم من الكافرين.

فالمسلمون في الدين على الحق، والكافرون على الباطل على اختلاف مللهم.

فلا يجوز أن يقال: إن الكفار أفضل من المسلمين، أو إذا حصل عند بعض المسلمين قصور داخل إطار الإسلام فلا يجوز أن يقال: إن الكافر أحسن من هذا المسلم. بهذا الإطلاق.

قال تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾[القلم:35]، وقال: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [الحشر:20].

فإذا انتفت المساواة بين المسلمين والكافرين في جزاء الآخرة، انتفت كذلك في الدنيا في المنزلة والحقوق والواجبات.

6 –اعتقاد صلاحيته لكل زمان ومكان وأمة، وصحته لمواكبة تطور الحياة وعدم معارضته له.

فهو دين لحياة مستمرة في كل مراحل الحياة الزمنية؛ لأن عوامل الحياة والاستمرار فيه لا تقبل الموت، ولا التبوتق في ظروف زمانية أو مكانية خاصة، فهو دين عابر للزمان والمكان، وتجدُّدُ الحياة وتطورها لا يزيده إلا وهجًا وإشراقًا. وهو دين قابل للعمل به في كل حين، وفي كل مكان، وفي أي جانب من جوانب الحياة المختلفة، وليس ذلك بغريب عنه؛ فهو يملك وسائل تحقيق

مصالح الفطرة السليمة في العاجل والآجل، ودفع كل ضر عنها في الدنيا والآخرة؛ ولهذا أقبل على اعتناقه عدد كبير ممن يعيشون الحياة المتطورة في عالمنا اليوم، بل بعضهم من أعمدة التطور في مجالات مختلفة في العصر الحاضر.

تقول الصحفية روز ماريا الإنجليزية التي أسلمت عام(1977هـ) :"لقد أردت أن أكون مسلمة بعد أن اقتنعت تمامًا بالدين الإسلامي. وأحب أن أضيف هنا أنه في ممارسة تعاليم الدين الإسلامي يكتشف الإنسان طبيعته البشرية وشخصيته الإنسانية الحقيقية، ويعرف ذاته. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي قدم لي الإجابات المقنعة على أسئلتي الحائرة"[1].

وتقول فاطمة سي لامير الألمانية :"لقد جاءني الإسلام كما يأتي النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فأدفأ روحي وسربلني بثوب من تعاليمه القشيبة. فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها، وما أعظم منطقها!

لا أستطيع أن أسجل مدى فرحتي بهذا الدين الذي أخذ ينفرج أمام نظري، فقد أحسست أن هذا هو الدين الذي كنت أنتظره، وأنه الدين الذي آمنت به. لقد كان إعلان دخولي في الإسلام ترجمة ظاهرة لصوت ضميري. فهل يمكن أن يكون هناك أي شيء أعظم حجة من العقيدة الإسلامية"[2].

(1) قالوا عن الإسلام (ص:253).

(2) قالوا عن الإسلام (ص:232).

ويقول فيلويزوهو ضابط بحرية بريطاني، شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية ".. أصبحت مسلمًا؛ لأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد نظريًا وعمليًا ومن كافة الوجوه. وسرعان ما تتبدد الشكوك والشبهات دفعة واحدة عندما تجيش نفسي بشعور قوي يتملكها وهو أن الإسلام هو الصراط المستقيم"[1].

7-اعتقاد أنه دين ودولة، جامع لكل أنظمة صلاح الدين والدنيا.

فهو نظام روحي شامل، ونظام سياسي عادل، ونظام اجتماعي كامل، ونظام اقتصادي ماثل، وغير ذلك.

وهو بهذا يعطي ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، وما لشعب قيصر لشعب قيصر.

فهذا الدين العظيم" دين ودولة، عقيدة وشريعة، مصحف وسيف، جسد وروح، عقل وعاطفة، إيمان ونظام، دنيا وآخرة[2].

و"لا يوجد في الإسلام فصل بين السلطتين الدينية والدنيوية كما هو مستقر في المفهوم الكنسي"[3].

---

(1) قالوا عن الإسلام (ص:210).

(2) خطب الشيخ محمد الغزالي (2/ 2).

(3) المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية (2/ 17).

8-الالتزام به ظاهراً وباطنا.

من أعظم صور الأدب مع الإسلام: أن يتحلى المسلم بتعاليمه باطنًا وظاهراً، فكأنه يقول للناس: هذا هو الإسلام في اعتقادي ويقيني، وهذا هو الإسلام في أقوالي، وهذا هو الإسلام في معاملتي.
وهذا التمسك الشامل سيحبب الإسلام إلى الناس البعيدين عنه.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[البقرة:208].

والمعنى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في الظاهر، ادخلوا في الإسلام كَافَّةً ظاهراً وباطنًا، أو في المسلمين، يأمرهم بالتمسك بشرائع الإسلام كلها"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**)[2]. "وقد فسر حسن الإسلام هنا بالإسلام ظاهرًا وباطنا"[3].

"أي: صار إسلامه حسنًا باعتقاده وإخلاصه، ودخوله فيه بالباطن والظاهر"[4].

---

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 235).

(2) رواه البخاري(42)، ومسلم(129).

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 95).

(4) التحبير لإيضاح معاني التيسير (1/ 132).

9-السعي إلى فهم الإسلام فهمًا شموليًا معتدلاً بين الغلو والجفاء.

لأن من فهم الإسلام هذا الفهم استقامت تصوراته، واعتدلت معاملاته، فلم ينفِّر عن الإسلام بغلوه وتطرفه، ولم ينفر عنه بجفائه وانحرافاته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا)[1].

10-الحرص على تعلمه، ومعرفة مبادئه وآدابه وأحكامه.

والسبب: أن تعلمه تعلمًا صحيحًا يفضي إلى حسن العمل به، وجعل صاحبه قدوة حسنة لغيره، فكم من زائغ ضال عاد -بتعلم تعاليم الإسلام من منبع صاف- وقد هذبه الإسلام، وطهر دنس تصوراته وسلوكه.

11-الحرص على دعوة الناس إليه.

فإن القيام بهذه الوظيفة دليل على محبة الإسلام والقناعة به.

12-الدفاع عنه ضد الطاعنين فيه الذين يشوهون صلاحه وجماله، وضد المعتدين عليه الذي يؤذون أهله ويصدون عنه الناس.

وكل مسلم يمكنه أن يدافع عنه في ميدانه الذي يحسنه، وجهده الذي يقدر عليه. فالإسلام يحتاج إلى حراسة ويقظة تامة، فالجهود المعتدية عليه كثيرة، والطالبون لمحوه وتشويهه كثر من داخل الصف ومن خارجه. ولكن:

---

(1) رواه البخاري(39).

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:32].

13-تبجيل أعلامه الهداة في الماضي والحاضر؛ من العلماء العاملين، والقادة الصالحين، والدعاة المخلصين. فمن أحب شيئًا أحب أهله العظماء.

فتوقير هؤلاء الأعلام ومعرفة أقدارهم والاقتداء بهم شد في عضد الإسلام الذين هم مناراته الهادية.

ولما علم العدو مكانتهم سعى لإسقاطهم من قلوب الأمة، وجعلهم محل كرهها وهزئها، بتشويههم، وتأليب الرأي العام عليهم، وإدخال من ليس منهم في صفهم لتشويه صورتهم.
ومتى سقطت القدوات سقط ما يحملونه من المبادئ الرشيدة، والقيم السديدة.

14-البعدُ عن التشكيك في يقينياته، والطعنِ في ثوابته، والسخريةِ من شعائره، ولو مزاحًا.

ففي الواقع الذي نعيشه هناك حركة دؤوبة منظمة لها إمكانيات كبيرة، وشخصيات متعددة، ووسائل كثيرة غرضها: إخراج المسلمين من دينهم، وهز ثقتهم به، ويقينهم بصلاحه، عبر الطعن في بعض مسلّماته، واستحقار بعض شعائره، والاستهزاء بها، وإثارة الشبهات حول عناصر القوة فيه، وتلويث صورة المتمسكين به.

ولاشك أن البعد عن هذه المزالق وتحذير الناس منها، وعدم الرضا بها

والسكوت عليها؛ صورة ناصعة من صور الأدب مع الإسلام.

وهذه الصورة صورة فارقة يعرف اليوم بها ذو الأدب مع الإسلام من غيره.

15-شكر الله المستمر على النعمة بالإسلام.

فإنه لا أعظم على العبد من نعمة الإسلام. **يقول كعب بن مالك** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي أَعْظَمَ مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ"[1].

قال إبراهيم النخعي: "ولا نعمة أفضل من نعمة الإسلام"[2].

وقال ابن القيم: "والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة: فالنعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾[النساء:69].

فهؤلاء الأصناف الأربعة، هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضًا هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**

---

(1) رواه البخاري (4673)، ومسلم(2769).

(2) الاستذكار (4/ 224).

وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:3]، فأضاف الدين إليهم ؛ إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم"[1].

ومما يزيد مضاعفة الشكر: أن الإسلام وصل إلينا بلا حيرة، ولا تخبط في أودية البحث عن الحقيقة.

16 –التفاؤل بأن المستقبل لهذا الدين الخالد.

رغم الجراح، وكثرة الأعداء، وشدة الحروب المتنوعة نحوه ونحو أهله.

فمن الأدب مع الإسلام: أن يوقن المسلم يقينًا جازمًا بأن الظهور سيكون له؛ لأن هذا وعد الله ورسوله، وقد ورد في ذلك كثير من النصوص.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[الصف:9].

قوله: "﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم،

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية (2/ 33).

ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم"[1].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**)[2].

قال الألباني عند هذا الحديث: "ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم؛ حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، وهذا ما يبشرنا به الحديث: عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي وسئل أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلق، قال: فأخرج منه كتابًا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: (مدينة هرقل تفتح أولا. يعني: قسطنطينية)"[3].

ومن سوء الأدب: أن يعتقد الإنسان في الجو الملبد بالهزائم والانتكاسات اليوم خلاف الموعود الشرعي أو يشكك فيه، مع علمه بنصوص وعد النصر والظهور.

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص:860).

(2) رواه أحمد(16957) بإسناد صحيح.

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 32).

رابعًا: طرق الوصول إلى كمال الأدب مع الإسلام:

هناك طرق مُعينة على الوصول إلى لزوم الأدب مع ديننا الحنيف، فمن ذلك:

1-العلم به وبثوابته وشرائعه وأحكامه وما يدعو إليه من الخِلال وما يحذر منه من سيء الخصال.

فالعلم النافع بالإسلام يدعو إلى معرفة عظمته وتوقيره، والعمل به، وحبه وحب ما جاء به، ويدعو إلى التمييز بين ما يوافقه وما يخالفه.

والعلم بدين الله من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيرا[1]. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[البقرة:269].

2-مجالسة أهل العلم والصلاح، أو قراءة سيرهم وأخبارهم؛ فإن في أدبهم قدوة، وبهم في استقامة السلوك في الإسلام أسوة.

فكم في أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أسلم بسبب جليسه وصديقه الذي أسلم قبله، وخير مثال على ذلك: الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد أسلم بإسلامه عدد من أصدقائه في الجاهلية.

كما أن في قراءة سير عظماء الإسلام الذين قدموا للإسلام وأهله خدمات

---

(1) ينظر: تفسير السمعاني (1/ 273).

متنوعة؛ ما يشحذ الهمة للحماس الإسلامي، والافتخار به، والسير على منوالهم في نصرة الدين وأهله نصراً حسيًا ومعنويًا.

ولهذا هناك حملة شعواء من مصادر عدة لتشويه عظماء الإسلام؛ لردم هذا الطريق حتى لا يكون سبيلاً إلى الاقتداء بأولئك الأخيار.

أولئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ   إِذا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ[1].

وقال الآخر:

أولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنُوا أَحْسَنُوا الْبُنَى   وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وإِنْ كَانَتِ النّعمَاءُ فِيْهِمْ جَزَوا بِهَا   وَإِنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوْهَا وَلَا كَدُّوا
أَقِلّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَاً لأَبِيْكُمُ   مِنَ اللَّوْمِ أَو سُدُّوا المَكَانَ الَّذِي سَدُّوا[2].

3-قراءة ما قاله غير المسلمين عن عظمة الإسلام وأثره، سواء من أسلم منهم، أو بقي على كفره، لكنه أنصف الإسلام في حكمه.

فإن هذا يجعل المسلم يحمد الله على نعمة الإسلام، ويحفزه للغيرة عليه، والتمسك الكامل به.

وسبقت معنا بعض العبارات التي قالها بعض من أسلم.

ويضاف إلى هذه الطريق: التأمل الفاحص في الحياة الروحية والاجتماعية والنفسية البائسة التي يحياها غير المسلمين؛ فإن ذلك يدعو إلى شكر الله على

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب (ص:217).

(2) الدر الفريد وبيت القصيد (4/ 39).

دين الإسلام دين الطمأنينة والصفاء، والنظام والعدل والصحة المعنوية.

وكم نعرف من شباب هاجروا للدراسة أو العمل في بلاد الغرب وكانوا بيننا شبابًا لا عناية لهم بدينهم عملاً واعتزازاً، فلما عاشوا في البيئة الغربية انقلب حالهم على خلاف ما كان يتوقع، فصاروا أكثر تمسكًا بالإسلام ودعوة وغيرة عليه.

4- معرفة الثمرات المترتبة على لزوم الأدب مع الإسلام.

5- إدراك الآثار السيئة الآتية من سوء الأدب مع الإسلام.

خامسًا: ثمرات الأدب مع الإسلام:

إن التمسك الصادق بالأدب مع الإسلام يثمر ثمرات لا حصر لها: ثمرات دنيوية، وثمرات أخروية، ثمرات معنوية وثمرات حسية، فمن ذلك:

1- نيل رضوان الله تعالى وما يثمره من الثمرات اليانعة في الدنيا والآخرة.

فالمتمسكون بالأدب مع دينهم الإسلامي حق التمسك﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[التوبة:21-22].

2- الظفر بالراحة الروحية والنفسية والذهنية.

وهذه بحد ذاتها جنة معجلة قبل جنة الآخرة.

ركس انجرام كان مصورًا سينمائيًا في هوليود. ثم بعد رحلة طويلة في البحث عن الحقيقة وجدها أخيراً باعتناقه الإسلام يقول بعد ذلك: "إني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان

العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة. وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهي، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم. لقد درست الدين الإسلامي مدة سنين، ولم أتخذه دينًا إلا بعد بحث قلبي عميق، وتحليل نفسي طويل، لم أغير ديني إلا لكي أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنوني، ولأنعم بالسكينة في ظلال الهدوء والتأمل بعيدًا عن متاعب الهموم والمحن التي يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذي أصبح اليوم معبود البشر وإلههم، ولأخلص نفسي من براثن الإغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكي أنقذ ذهني وعقلي وحياتي من الهدم والتدمير"[1].

3- انتشار الإسلام، وانتشار الخير بانتشاره.

فإن حسن الأدب مع الإسلام من قبل أهله، وتمثلهم له تمثلاً صادقًا في جميع شؤون حياتهم يعد دعوة كاملة للدخول فيه من قبل البعيدين عنه.

4- صلاح العلاقات الدنيوية مع القريب والبعيد.

ومن ذلك: صلاح العلاقة في البيت(مع الوالدين، والإخوة والأخوات، والزوج، والأولاد)، صلاح العلاقة مع الأقارب، مع الجيران، مع الأصدقاء، مع الزملاء، مع من يتصل بالمتأدب من بقية الناس.

فكم من إنسان كان بعيد الأدب مع الإسلام فلما اقترب منه أحبه الجميع؛

(1) قالوا عن الإسلام (ص:152).

لتغير علاقاته معهم من سيء إلى أحسن.

5-الحرص على تربية النشء على الإسلام.

وذلك أن المربي(من أب أو أم أو معلم أو داع) قد ذاق لذة الأدب مع الإسلام فيحب أن يكون أولاده وطلابه على الطريق الذي نال في غايته تلك اللذة.

وعلى المقصر في هذه المهمة أن يراجع حاله مع الأدب مع الإسلام.

سادسًا: آثار سوء الأدب مع الإسلام:

لسوء الأدب مع الإسلام آثار سيئة، وهي مختلفة في إثمها وحجمها وآثارها باختلاف نوع سوء الأدب.

ولكن مِن أظهرِ سوء الأدب مع الله اليوم: الإلحاد في دين الإسلام، من أناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وكانوا قبل أن يلحدوا يصلون ويصومون معنا!!.

فمن آثار هذه الصورة من سوء الأدب:

1-خروج صاحبها إلى الكفر.

فالاستهزاء بالإسلام والطعن في تعاليمه، والنيل منه ردة مخرجة عن الإسلام.

ولو كان ذلك على سبيل المزاح: قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا**

كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[التوبة:65-66].

قال الرازي: "قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ **يدل على أحكام:**

الحكم الأول: أن الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله؛ وذلك لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان، والجمع بينهما محال"[(1)].

وقال في موضع آخر: "الاستهزاء بالدين أعظم درجات الكفر وأقوى مراتبه"[(2)].

وقال الغزالي: "وأما نفس الردة فهو نطق بكلمة الكفر استهزاء أو اعتقادًا أو عنادًا، ومن الأفعال عبادة الصنم والسجود للشمس، وكذلك إلقاء المصحف في القاذورات، وكل فعل هو صريح في الاستهزاء بالدين"[(3)].

وقال ابن قاسم: "فمن أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين كفر بالإجماع[(4)].

---

(1) تفسير الرازي (16/ 95).

(2) تفسير الرازي (11/ 245).

(3) الوسيط في المذهب (6/ 425).

(4) الإحكام شرح أصول الأحكام (4/ 390).

2-الحيرة والتخبط والحياة التعيسة.

فإن القريب من حياة أهل سوء الأدب مع الإسلام يرى أنهم يعيشون في شقاء ممتد، ولو تظاهروا بالسعادة وكثرة الضحك والمزاح؛ ولذلك كانت نهاية بعضهم المآل إلى الأمراض النفسية أو الانتحار.

3-السمعة السيئة بين الناس، ونيل لعنهم وسبهم وكراهيتهم لمن قل أدبه مع دين الله تعالى.

فأي ربح سيطيب لمن وظِّف للطعن في الإسلام وليس لصاحبه قبول في السماء ولا في الأرض؟! حتى الذين وظفوه من الكافرين يعدونه أجيراً مبغوضًا؛ لأنه ليس له ثوابت يحافظ عليها ما دام أنه قد قلب لدينه ظهر المجن الذي هو أعظم الثوابت التي يحافظ عليها العاقل.

4-فوات الخيرات التي يربحها أهل الأدب مع الإسلام، وحضور الندم على ذلك إما في الدارين وإما في دار الآخرة.

وهذا من شؤم المعاصي؛ فإن أصحابها إذا رأوا ربح الطائعين تمنوا أن يكونوا معهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء:73].

وتمنوا كذلك أن لا يكونوا سلكوا درب العصيان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾[الأحزاب:66].

5- العاقبة الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:217].

سابعًا: نماذج مشرقة للأدب مع الإسلام:

هناك نماذج كثيرة لا تحصر ممن لزموا الأدب مع الإسلام في صور الأدب السابقة وغيرها.

ومن النماذج:

1- أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومنهم نبينا ﷺ.

فقد كانوا-عليهم الصلاة والسلام- أعظم الناس أدبًا مع الإسلام: تعظيمًا له وحبًا وفهما، وامتثالاً واهتداء وعلمًا، وتبليغًا ودعوة وصبراً ودفاعًا وغيرة.

فبهم القدوة: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[الأنعام:90].

2- الدكتور: عبد الرحمن السميط، رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رجل حمل همَّ نشر الإسلام، وحرص على إيصال هذا الخير إلى من لا يعرفه، وجدَّ واجتهد، وصبر وصابر حتى بسقت شجرة جهده وعطائه، وأثمرت ثمرات يانعة باقية.

هذا الرجل لم يكن عالمًا شرعيًا، وإنما كان طبيبًا متخصصًا في الأمراض

الباطنية، والجهاز الهضمي، هجر هذا الطبيب مكان الدعة والترف والراحة إلى مكان الفقر والنصب والتعب، وانتقل من علاج الأجساد إلى علاج الأرواح والأجساد معًا في قارة أفريقيا.

لقد ترك الكويت ونعيمها واتجه نحو القارة السمراء لإضاءتها بنور الإسلام. فبقي في تلك الوجهة الدعوية تسعًا وعشرين سنة، فما هي ثمرات هذا العطاء العمري الكريم في تلك البلاد؟

لقد أسلم على يديه أحد عشر مليون إنسان، كما في بعض الإحصائيات، هؤلاء غير الذين سيسلمون على أيدي هؤلاء المسلمين في حياته و بعد وفاته، فكم هو الأجر العظيم الذي سيناله هذا الرجل -إن شاء الله-؟، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة. وقد توفي في 15/ أغسطس 2013م.

الأدب مع النفْس

النفس الإنسانية مفتقرة إلى الأدب افتقارَ الأرض المجدبة إلى الغيث المَريع الهنيء.

وتحتاج ا إلى عناية من التأديب الحكيم احتياج الأرض إلى زرّاع خبير يصلح تربتها، ويزيل أحجارها وخَلاها وحشيشها، وكل ما يؤخر نمو نباتها أو يُعدِمه.

وذلك أن النفس البشرية مطبوعة على أخلاق رديئة ترنو إلى تنقية منها، وأخلاق حميدة تفتقر إلى ضبطٍ حكيم، ورسم دقيق للمسار الصحيح لها، ولو تركت بلا تأديب ولا تهذيب فلن تزكو ولا تصلح، كما لا يطيب ثمر أرض لم يهيئ له صاحبه منبته ومستقره وجهة نموه.

قال الماوردي: "اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب؛ لأن لمحمودها أضدادًا مقابلة يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة، فإن أغفل تأديبها تفويضًا إلى العقل أو توكلاً على أنْ تنقاد إلى الأحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلا، وفي صورة الجهل داخلا؛ لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، ولكل

قوم مواضعة، وذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدُّربة والمعاطاة، ثم يكون العقل عليه قيّما، وزكيُّ الطبع إليه مسلّما، ولو كان العقل مغنيًا عن الأدب لكان أنبياء الله تعالى عن أدبه مستغنين، وبعقولهم مكتفين "(1).

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:6].

عن الربيع بن أنس أنه قال عند هذه الآية: "أدبوا أنفسكم ، وأهليكم على أمر الله عز وجل" ، وعن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: يعني: الأدب الصالح(2).

قال الآجري: "ألا ترون -رحمكم الله- إلى مولاكم الكريم يحثكم على تأديب نفوسكم وأهليكم؟ ، فاعقلوا -رحمكم الله- عن الله عز وجل ، وألزموا أنفسكم علم ذلك"(3).

إن إصلاح النفس وتقويم عوجها حتى تستقيم على درب العدل؛ ليس بالأمر اليسير، بل يحتاج إلى معاناة ومعرفة.

(1) أدب الدنيا والدين (ص:231).

(2) ينظر: أدب النفوس، للآجري (ص:260).

(3) أدب النفوس للآجري (ص:262).

قال الآجري: "اعلموا -رحمكم الله- أنه يلزمكم علم حالين لا بد منهما: علم معرفة النفس وقبح ما تدعوكم إليه مما تهواه وتلذه، مضمرة لذلك، وقائلة وفاعلة، فواجب عليكم أن تزجروها عنه حتى لا تبلغوها ذلك.

والحال الثاني: علم كيف السياسة لها، وكيف تراض، وكيف تؤدب؟. فهذان الحالان لا بد لكل مسلم عاقل أن يطلب علمه حتى يعرف نفسه، ويعرف كيف يؤدبها. قلت: فأما معرفة النفس وقبيح ما تدعو إليه فإنها جامعة لكل بلاء، وخزانة إبليس، وإليها يأوي ويطمئن.

تُظهر لك الزهد وهي راغبة، وتظهر لك الخوف وهي آمنة، تفرح بحسن ثناء من جهلها بباطل فتحمده، وتدينه، ويثقل عليها الصدق من ذمها بحق نصحًا منه لها، فتبغضه وتقصيه"[1].

وكم من إنسان كان له من علم اللسان وأدب العربية وغيره من سائر العلوم حظ وافر، غير أنه لا أدب لنفسه ولا زكاء لخُلقه، بل قد يكون الجاهل أوفر نصيبًا منه في هذا.

يقول ابن قتيبة: "ونحن نستحبُّ لمن قَبل عنا وائتمَّ بكتبنا أن يؤدِّب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذِّب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصونَ مُروءَته عن دناءة الغِيبة، وصِناعته عن شَيْن الكذب، ويجانب - قبل مجانبته اللحنَ وخَطَل القول - شنيع الكلام، ورَفَث المَزْح"[2].

---

(1) أدب النفوس للآجري (ص:262).

(2) أدب الكاتب (ص:14).

قال شارحه البطليوسي: "وقوله: (ونحن نستحب لمن قَبل عنا وائتمَّ بكتبنا): يريد: أن المتأدب أحوج إلى تأديب أخلاقه منه إلى تأديب لسانه؛ وذلك أنك تجد من العامة الذين لم ينظروا في شيء من الأدب، من هو حسن اللقاء، جميل المعاملة، حلو الشمائل، مكرم لجليسه، وتجد في ذوي الأدب من أفنى دهره في القراءة والنظر، وهو مع ذلك قبيح اللقاء، سيئ المعاملة، جافي الشمائل، غليظ الطبع؛ ولذلك قيل: الأدب نوعان: أدب خبرة، وأدب عشرة.

وقال الشاعر:

يا سائلي عن أدب الخِبرةِ ... أحسنُ منه أدب العشرةِ"[1]

وقال آخر:

يا مغرقًا في أدب الدرسِ ... أحسنُ منه أدب النفسِ[2]

قال محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني: "تقدمت إلى أبي بكر بن مجاهد لأقرأ عليه، فتقدم إليه رجل وافر اللحية، كبير الهامة فابتدأ ليقرأ، فقال: ترفق يا خليلي، سمعت محمد بن الجهم السِّمَّرِيَّ يقول: سمعت الفراء يقول: أدب النفس، ثم أدب الدرس"[3].

إن نجاح الإنسان في أدب نفسه يعد انتصاراً كبيرة في معركة الحياة؛ لأن من

---

(1) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (1/ 100).

(2) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (2/ 436).

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (1/ 303).

هزمته نفسه عن أدبه أوصلته إلى عطبه، ولم تستقم له بعد ذلك جوارحه؛ لأنه متى اعوج الأصل اعوج الفرع.

قال السري: "أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان في أدب غيره أعجز"[1].

وقال المنفلوطي: "يجب أن يكون أدب النفس أساس أدب الجوارح، وأن يكون أدب الجوارح تابعًا له وأثرًا من آثاره، فإن أبى الناس إلا أن يجعلوا أدب الحركات والسكنات أساس أعمالهم وعلائقهم وميزان قيمهم وأقدارهم فليعلموا أن العالم كله قد استحال إلى مسرح تمثيل، وأنهم لا يؤدون فيه غير وظيفة الممثلين الكاذبين"[2].

لهذا عُني العقلاء بأدب نفوسهم، والتماسه قبل التماس العلم، وحثوا عليه طلبة العلم قبل مجالسه، وتلقي معارفه عن أهله:

يقول ابن جماعة في مقدمة كتابه (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم): "أما بعد، فإن من أهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه ويُدئب نفسه في تحصيله واكتسابه؛ حسنَ الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله، واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله، وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة، وأولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة؛ أهل العلم الذين جلوا به ذِروة المجد

(1) مختصر تاريخ دمشق (9/ 226).

(2) النظرات (3/ 35).

والسناء، وأحرزوا به قصبات السبق إلى وراثة الأنبياء؛ لِعِلْمهم بمكارم أخلاق النبي ﷺ وآدابه وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه، وبما كان عليه أئمة علماء السلف واقتدى بهديهم فيه مشايخ الخلف. قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم. وقال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين. وقال سفيان بن عيينة: إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر وعليه تعرض الأشياء على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل.

وقال حبيب بن الشهيد لابنه: يا بني، اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم؛ فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث. وقال بعضهم لابنه: يا بني، لأن تتعلم بابًا من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم. وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك: نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث"(1).

وقال مالك: "كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه"(2).

وقال ابن المبارك: "طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة كانوا يطلبون الأدب ثم العلم"(3).

(1) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص:4).

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (1/ 130).

(3) غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 446).

وسنتحدث في هذا عن هذا الأدب في العناوين الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع النفس:

الأدب مع النفس هو: إلزامها الحسن من الأخلاق الباطنة والظاهرة، وتنقيتها من مساوئ الطباع والخلال، وتحليتها بالجميل من الأعمال والأقوال.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب مع النفس:

إن الأدب مع النفس من الآداب الإنسانية المهمة، ويرجع ذلك إلى أسباب:

1- باستقامة النفس على محك الأدب استقامةُ الجوارح.

فمن صلحت نفسه صلحت جوارحه، فالنفس هي منبع كل خير أو كل شر، والجوارح إنما هي مستقية من ذلك النبع.

يقول ابن القيم عن منشأ الكذب وسريانه إلى غيره: "وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، كما أفسد على اللسان أقواله، فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة، إن لم يدركه الله بدواء الصدق يقلع تلك من أصلها"[1].

---

(1) الفوائد لابن القيم (ص:135).

2 –أن كمال أدب النفس يضفي عليها السعادة والأمان واستقرار الضمير.

وهذه مطالب حياتية يَنشدها كل إنسان، ونصيب كل امرئ منها بقدر نصيبه من أدب النفس.

فالأدب مع النفس من العمل الصالح، وقد قال الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل:97].

والأدب مع النفس من اتباع الوحي، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[طه:123-124].

والأدب مع النفس يؤدى به حقُّ الخالق فتحصل به السلامة من آثار الذنوب، ويؤدى به حق المخلوقين فيحصل بذلك نيل محبتهم، والأمان من شرهم وأذاهم.

وهو داخل في الزهد الذي جاء في حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**)[1].

(1) رواه ابن ماجه(4102)، والحاكم(7873) بسند حسن.

وحين يعيش المرء وهو متحل بالأدب السابغ يعيش مرتاح الضمير، منشرح الصدر، غير قلق ولا فزِع.

وأما المتخلي عن هذا الأدب فإنه يحيا تحت حر الشقاء الممتد، الذي يصطلي بلهبه ضميره عناء وقلقا، وتتلظى بلفحه جوانب حياته شتاتًا ورهبا.

3 –أن قيام النفس بهذا الأدب يعينها على إحسان العلاقة مع الآخرين.

ابتداء من العلاقة مع الوالدين، ثم مع الزوجة والأولاد، والإخوة والأخوات، وسائر الأقارب.

ثم مع الجيران والزملاء، وبقية الناس.

فصاحب هذا الأدب يثني عليه هؤلاء، ويقابلونه بالحب والود، وربما آذاه بعضهم لكن أدبه لا يغير حاله في الإحسان؛ طلبًا لمرضاة الله وحسن جزائه.

فمسطح بن أثاثة كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق عليه لفقره وقرابته، فلما خاض مع أهل الإفك فيما خاضوا فيه قال الصديق: (وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**﴾[النور: 22]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا)[1].

---

(1) رواه البخاري (4750)، ومسلم(2770).

ثالثًا: صور من الأدب مع النفس:

1- تحلّيها بالصفات الحسنة، وتخلّيها عن الخِلال السيئة.

فالنفس إذا كمل أدبها تزينت بكل خلق جميل، وتخلت عن كل خلق رذيل، مع الله ومع عباده.

فأعمالها القلبية في غاية الوضاءة: إخلاصًا وتوكلاً ومراقبة ومحبة وتعظيمًا ويقينا.

وأعمالها الظاهرة في أجمل ما يرى: بشاشة وطاعة وتألهًا وحلمًا وصبراً وتواضعًا وإحسانًا وجوداً.

فكل جميل من الخِلال ناطق فيها، وكل سيء من الأقوال والأفعال ناءٍ عنها. فأي نفس بلغت هذه الرتبة العالية فهي النفس الزكية الموعودة بالفلاح: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[الأعلى:14] "﴿أَفْلَحَ﴾ معناه: فاز ببغيته و﴿تَزَكَّى﴾ معناه: طهر نفسه ونماها إلى الخير"(1).

2- تحررها من رق الهوى واستعباد الشهوات.

فالهوى إذا أسر النفس هوى بها إلى كل سحيق، وقادها إلى كل رديء، والشهوة إذا استعبدت صاحبها نزعت عنه أخلاق الكرام، وكسته نعوت اللئام، فساءت أفعاله، وفسدت أحواله.

---

(1) تفسير ابن عطية (5/ 470).

وبين النفس ولزوم الأدب نفور كبير ما بقيت منقادة للهوى والشهوة، فإذا انتهت دولتهما فيها سهل عليها التحلي بالأدب، وبلوغ سامي الرُّتب.

ومتى انقادت" النفس للعقل بما قد أشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى أن يصير بالعقل مدحورا، وبالنفس مقهورا، ثم له الحظ الأوفى في ثواب الخالق وثناء المخلوقين"[1].

ويذكر بعض أهل السلوك أن من عيوب النفس: "أَنَّهَا لَا تألف الْحق أبدًا، وَالطَّاعَة خلاف سجيتها وطبعها، ويتولد أَكثر ذَلِك من مُتَابعَة الْهوى وَاتِّبَاع الشَّهَوَات"[2].

فذو الأدب الكامل يعيش في عز الحرية، وذو الأدب الناقص له من الحرية بقدر انعتاقه من ربقة العبودية.

فإذا بقي المرء في قيد الهوى والشهوات فما النتيجة؟

قال أعرابي: الهوى هوان، ولكن غلط باسمه، **فأخذه الشاعر وقال:**

إِنَّ الْهَوَانَ هُوَ الْهَوَى قُلِبَ اسْمُهُ ... فَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا

وقال آخر:

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص:31).

(2) عيوب النفس (ص:10).

إذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْك مَقَالُ

وَقَالَ آخر:

إذَا مَا رَأَيْت الْمَرْءَ يَعْتَادُهُ الْهَوَى ... فَقَدْ ثَكِلَتْهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهْ

وَقَدْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءَ جَهْلًا بِنَفْسِهِ ... وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالًا عَوَاذِلُهْ

وَمَا يَرْدَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنْ الْهَوَى ... مِنْ النَّاسِ إلَّا حَازِمُ الرَّأْيِ كَامِلُهْ[1].

3-حسن تعامل صاحبها مع الآخرين، واستقامة سلوكه على كل الأحوال معهم.

فهو يعاملهم بأحسن ما عنده، ولو جاءه أسوأ ما عندهم.

فهو معهم محسن غير مسيء، وصبور غير جزوع، وحليم غير جاهل، ومتواضع غير متكبر، ومتغاض عن العيوب غير مستقص، عفو غير مؤاخذ، متناس غير معاتب.

فقد حكى لنا القرآن الكريم في قصة يوسف جرائر إخوة يوسف في حق يوسف، ولما وصلوا إليه كمل أدب نفسه؛ إذ عفا عنهم وأكرمهم، وكان قادراً على أن ينتقم لنفسه منهم، ويأخذ حقه ممن كان سبب سلسلة بلاياه المؤلمة.

قال تعالى: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

---

(1) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص:29).

أَجْمَعِينَ﴾[يوسف:92-93].

"كان معن بن زائدة أميرًا على العراق، وكان له في الكرم اليد البيضاء، وهو من الحلم على أعظم جانب، فقدم عليه أعرابي ذات يوم يمتحن حلمه. فلما وقف قال:

أتذكر إذ لحافُك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعيرِ

قال معن: أذكر ولا أنساه. فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكًا وعلمك الجلوس على السريرِ

قال معن: يا أخا العرب، السلام سنة، وشأنك في الأمير. فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقيرِ

قال معن: يا أخا العرب، إن جاورتنا فمرحبًا بك، وإن رحلت فمصحوب بالسلامة. فقال الأعرابي:

فجُدْ لي يا ابن ناقصة بشيء فإني قد عزمت على المسيرِ

قال معن: أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره. فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني لأطمع منك بالمال الكثيرِ

قال معن: أعطوه ألفًا آخر. فأخذها وقال:

سألت الله أن يبقيك ذخرًا فما لك في البرية من نظيرِ

فقال معن: أعطوه ألفًا آخر. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، ما جئت إلا

مختبراً حلمك لما بلغني عنه، فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفلهم، فقال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟ قال: ثلاثة آلاف دينار. فقال: أعطه على نثره مثلها، فأخذها ومضى في طريقه شاكرا" [1].

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع النفس:

بلوغ النفس مرتبة حسن الأدب غاية سامية، فمن أراد بلوغ ذلك فليسلك الطرق الموصلة إليها، ومن تلك الطرق:

1- تقوية الإيمان في القلب، وزيادة أعماله في الجوارح.

فالإيمان إذا قوي قوي الأدب، واستقامت النفس على دربه؛ لأن الإيمان يدعو إلى كل خير.

بل هو القائد للنفس فمتى نشط نشط أدبها ومتى فتر فتر.

قال وهب بن منبه: "النفس كنفوس الدواب، والإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حرون[2]، فإن فتر قائدها حرنت على سائقها، وإن فتر سائقها ضلت عن الطريق"[3].

وقال لقمان لابنه: "يا بُني، لا تنتفع بالإيمان إلا بالعقل؛ فإن الإيمان قائد،

---

(1) مجاني الأدب في حدائق العرب (5/ 116).

(2) **الحرون**: التي لا تنقاد.

(3) أدب النفوس للآجري (ص:264).

والعمل سائق، والنفس حرون، فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق، فلم تستقم لصاحبها، وإن فتر قائدها حرنت، فلم ينتفع سائقها، فإذا اجتمع ذلك استقامت طوعًا وكرها، ولا يستقيم الدين إلا بالتطوع والكره، إن كان الإنسان كلما كره من الدين شيئًا تركه، أوشك أن لا يبقي معه شيء من دين الله عز وجل، فلا تقنع لنفسك بقليل من الإيمان، ولا تقنع لها بضعيف من العمل، ولا ترخص لها في قليل من معصية الله عز وجل، ولا تعدها بشيء من استحلال الحرام؛ فإن النفس إذا أُطمعت طمعت، وإذا أيستها أيست، وإذا أقنعتها قنعت، وإذا أرخيت لها طغت، وإذا زجرتها انزجرت، وإذا عزمت عليها أطاعت، وإذا فوضت إليها أساءت، وإذا حملتها على أمر الله صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت، فاحذر نفسك واتهمها على دينك، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بد منها؛ فإن لا حاجة لك في باطلها، ولا بد لك من تهمتها، ولا تغفلها عن الزجر فتفسد عليك، ولا تأمنها فتغلبك؛ فإنه من قوم نفسه حتى تستقيم، فبالحري أن ينفع نفسه وغيرها، ومن غلبته نفسه فأنفس الناس أحرى أن تغلبه، وكيف لا يضعف عن أنفس الناس وقد ضعف عن نفسه؟ وكيف يؤمن على شيء من النفس، وهو متهم على نفسه؟ وكيف يهتدى بمن قد أضل نفسه؟ وكيف يرجى من قد حرم حظ نفسه؟..".

قال الآجري -معلقًا على هذا الكلام-: ": اعقلوا -رحمكم الله- عن لقمان الحكيم ما تسمعون، واعلموا أنه من لم يحسن أن يكون طبيبًا لنفسه، لم يصلح

أن يكون طبيبًا لنفس غيره، ومن لم يحسن أن يؤدب نفسه، لم يحسن أن يؤدب نفس غيره، واعلموا أنه من لم يعرف ما لله عز وجل عليه في نفسه مما أمره به، ونهاه عنه، ولم يأخذ نفسه بعلم ذلك، كيف يصلح أن يؤدب زوجته وولده، قد أخذ الله عز وجل عليه تعليمهم ما جهلوه. ما أسوأ حال من توانى عن تأديب نفسه ورياضتها بالعلم، وما أحسن حال من عني بتأديب نفسه، وعلم ما أمره الله عز وجل به وما نهاه عنه، وصبر على مخالفة نفسه، واستعان بالله العظيم عليها"[1].

2-التربية والتعليم منذ الصغر على تأديب النفس.

فإن التربية والتعليم على أدب النفس منذ النشأة في البيت وفي المسجد وفي المدرسة لهما أثرهما الكبير في استقامة النفس واعتدالها، وتنقية طباعها وصقل أخلاقها.

والاستمرار في التعلم والتأدب في كل مراحل العمر، ودوام الاستقاء من معين الآداب من غير ري؛ فإن النفس تبقى في صعود في معارج الأدب، وامتداد لفروعها في حقول محاسن الأخلاق؛ ما دامت عين التثقيف فياضة عليها.

قال الماوردي: "والتأديب يلزم **من وجهين**: **أحدهما** ما لزم الوالد لولده في صغره.

---

(1) أدب النفوس للآجري (ص:265).

والثاني ما لزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره.

فأما التأديب اللازم للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغير على الشيء يجعله متطبعًا به. ومن أغفل تأديبه في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا... وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال. وقال بعض الشعراء:

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوَّمْتَهُ الْخَشَبُ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

وقال آخر:

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ ... إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ الشَّجَرُ

وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره فأدبان: أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح؛ **فأما أدب المواضعة والاصطلاح** فيؤخذ تقليدًا على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، واتفق عليه استحسان الأدباء، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفاقهم على هيئات اللباس، حتى إن الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانبًا للأدب، مستوجبًا للذم؛ لأن فراق المألوف في العادة، ومجانبة ما صار متفقًا عليه بالمواضعة مفض إلى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة

ومعنى حادث. وقد كان جائزًا في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسنًا، ويرون ما سواه قبيحًا، فصار هذا مشاركًا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركه ومخالفًا له من حيث أنه كان جائزًا في العقل أن يوضع على خلافه.

وأما أدب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها، وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط، ووضوح صحته بالدليل مرتبط، وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهمها الله تعالى إرشادًا لها، قال الله تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[الشمس:8]. **قال ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: بين لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر"[1].

3 –معرفة آفات النفس ومداواتها.

فالنفس مليئة بالآفات التي تكدر وجه أدبها، وتقوض صرح سموها؛ لهذا لا يمكن أن ينبل امرؤ في الأدب حتى يعرف آفاته نفسه ويشرع في علاجها.

قال المحاسبي: "فأحد النّظر إِلَيْهَا –يَا أخي– بِعَين نَافِذَة الْبَصَر، حَدِيدَة النّظر؛ حَتَّى تعرف آفَات عَملهَا، وَفَسَاد ضميرها، وتعرف مَا يَتَحَرَّك بِهِ لسانها، ثمَّ خُذ بعنان هَواهَا فاكبحها بحكمة الْخَوْف وَصدق الْخلاف عَلَيْهَا، وردهَا بجميل الرِّفْق إلى مُرَاجعَة الْإِخْلَاص فِي عَملهَا، وَتَصْحِيح الْإِرَادَة فِي ضميرها،

(1) أدب الدنيا والدين (ص:233).

وَصدق الْمنطق فِي لَفظهَا واستقامة النِّيَّة فِي قَلبهَا"[1].

4-ترك الرضا عن النفس.

فمهما أخذت من الآداب ما أخذت، وفضلت غيرها فيها وتقدمت؛ فإن الحصافة تقضي بترك الرضا عنها؛ حتى لا تظن بأنها قد وصلت فتفتر وتدع مواصلة مسير أدبها.

فـ" أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالمٍ يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟

يعني: أن النظر إلى النفس بعين الرضا يوجب تغطية عيوبها، ويصير قبيحها حسنًا، والنظر إليها بعين السخط يكون بضد ذلك على حد قول القائل:

وعينُ الرِّضا عَن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السّخطِ تُبدي الْمَساوِيا

فمن رضي عن نفسه استحسن حالها فتستولي عليه الغفلة عن الله تعالى، فينصرف قلبه عن مراعاة خواطره، فتثور عليه الشهوة وتغلبه؛ لعدم وجود المراقبة القلبية التي تدفعها فيقع في المعاصي لا محالة"[2].

---

(1) آداب النفوس للمحاسبي (ص:41).

(2) شرح الحكم العطائية (ص:45).

5-مجاهدة النفس والاستمرار في الإلحاح على إصلاحها.

وذلك بأمرين:

أ- بالحزم معها، وقطع أطماعها، وفطمها عن شهواتها، ودوام العناية بمراقبتها.

فإنها بالحزم تنقاد، وبقطع الطمع تعتاد.

"فَكيف ينجو العَبْد من عُيُوب نَفسه وَهُوَ الذى أطلق لَهَا الشَّهَوَات، أم كَيفَ ينجو من اتِّبَاع الْهوى وَهُوَ لَا ينزجر عَن المخالفات"[1].

"فتفقدها -يَا أخي- بالعناية المتحركة مِنْك لَهَا؛ مَخَافَة تلفهَا؛ فَإنَّك تقطع عَن إِبْلِيس طَرِيق الْمعاصِي، وتفتح على نَفسك بَاب الْخيرَات"[2].

وقال الآخر:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّتِ ... وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى ... فَإِنْ طَمِعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ

وقال الآخر:

عَلِّلْ النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَإِلَّا ... طَلَبَتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا[3]

ب-مخالفتها فيما تهوى، وتعويدها على خلاف ما تحب.

(1) عيوب النفس (ص:6).

(2) آداب النفوس للمحاسبي (ص:42).

(3) المرجع السابق (ص:121).

فإن إعطاءها ما تريد يفتح شهيتها إلى كل مخالفة، فالحزم يقضي بمنعها محبوباتها، وإذاقتها مكروهاتها.

قال في الحكم العطائية: "إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه؛ فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً"[1].

وقال الشاعر:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذَا رغَّبْتَهَا ... وَإذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقنعُ[2].

وقال البوصيري: "

والنفسُ كالطفلِ إن تهملهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فاصرفْ هواها وحاذرْ أنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصمِ أوْ يَصمِ[3]

وَراعِها وهيَ في الأعمالِ سائِمَةٌ ... وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ[4]

6-قراءة سير الصالحين، والاقتداء بأهل الأدب منهم.

فإن في أقوالهم ومواقفهم ما يدعو المقتدي إلى ترسم خطاهم، والسير على منوالهم.

---

(1) شرح الحكم العطائية (ص:132).

(2) الأمثال والحكم (ص:155).

(3) **يعني:** إن الهوى إذا كان له الولاية عليك قتلك أو عابك، فـ(يصم) **الأولى بمعنى:** يُهلك ويقتل، **والثانية بمعنى:** يَعيب.

(4) ديوان البوصيري (ص:238).

خامسًا: ثمرات الأدب مع النفس:

إن وصول النفس إلى مراقي الأدب يثمر على صاحبه ثمرات حسنة، منها:

1- زكاء النفس وطهارتها، ونيلها الفوز الذي لا يقدر قدره إلا الله.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:10].

والمعنى: فازَ بكلِّ مطلوبٍ ونجَا من كلِّ مكروهٍ مَنْ أنماهَا وأعلاها بالتقوى وطهرها من الذنوب ونماها وأصلحها بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وصفاها تصفية عظيمة مما يسره الله تعالى له من العلوم النافعة والأعمال الصالحة ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ ، أي: خسر ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي: أغواها إغواءً عظيمًا أو أفسدها وأهلكها[1].

2- صلاح العلاقة مع الناس، والظفر بمحبتهم وتعظيمهم.

3- السعادة التي يجدها ذو الأدب في نفسه؛ إذ هي أثر القيام بحق الله وحقوق الخلق.

سادسًا: آثار سوء الأدب مع النفس:

1- غضب الله واستحقاق عذابه.

2- فساد النفس وكدرها ونزول المصائب عليها.

3- زيادة أذية الناس وبغضهم.

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود (9/ 164)، السراج المنير (4/ 542)، تفسير ابن كثير (8/ 400).

قال الدميري: " فينبغي للمؤمن أن لا يترك أدب النفس في جميع أحواله، ويتهاونَ به في كل ما يأتي؛ فإن من ترك أدب النفس وتهاون به، فإنه يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع الله تعالى، ولا يزال إبليس يعالجه، ويطمع فيه ويأتيه حتى يأخذ منه جميع الحصون، ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك"(1).

سابعًا: نماذج مشرقة:

1- **قال ابن الأثير**: "ومن أحسن ما بلغني من أدب النفس في الخطاب: أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل قباث بن أشيم، فقال له: أنت أكبر أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد.

فانظر إلى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الخلق والبعد عن فطانة الآداب"(2).

2- **"قيل للأحنف**: ما أحلمك! قال: تعلّمت الحلم من قيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ؛ بينا هو قاعد بفنائه محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك. فوالله ما حلّ حَبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم فأطلق عن ابن عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل؛ فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

---

(1) حياة الحيوان الكبرى (1/ 303).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 191).

إني امـــرؤٌ لا يعتـــري خُلُقـــي ... دَنَـــسٌ يغيِّـــرُهُ ولا أفْـــنُ
مـــن مِنقـــرٍ في بيـــتِ مَكرُمَـــةٍ ... والفـــرعُ يَنبـــتُ فوقـــهُ الغـــصْنُ
خُطبـــاءُ حـــينَ يقـــولُ قـــائلهمْ ... بـــيضُ الوجـــوهِ مـــصاقعُ لُـــسْنُ
لا يفطنـــونَ لعيـــبِ جـــارهمُ ... وهـــمُ لحفـــظِ جـــوارهم فُطْـــنُ

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد الله غيرك.

وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطّبيب:

عَلَيْـكَ سَـلامُ اللهِ قَـيْسَ بْـنَ عاصِـمٍ ... وَرَحْمَتُـــهُ مَـــا شـــاءَ أَنْ يَتَرَحـمَّـــا
تَحِيَّـــةَ مَـــنْ أَوْلَيْتَـــهُ مِنْـــكَ نِعْمَـــةً ... إذا زارَ عَـــنْ شَـــحْطٍ بِـــلادَكَ سَـــلَّما
فَمـا كـانَ قَـيْسٌ هُلْكُـه هُلـكَ واحِـدٍ ... وَلَكِنَّـــهُ بُنْيـــانُ قَـــوْمٍ تَهَـــدَّما"(1)

(1) عيون الأخبار (1/ 401).

الأدب مع الوالدين

لا يخفى على كل عاقل عظم ما قدمه ويقدمه الأبوان للأولاد في صغرهم وكبرهم من الأعمال الحسية والمعنوية التي تجلب الخير لهم وتدفع الشر عنهم، وهما في كل ذلك الإكرام يرجوان أن تستمر الحياة بولدهم ويلقى غاية السعادة الدنيوية، ولو تحملا في سبيل ذلك ما تحملاه من العناء.
أليس من العقل والعدل أن يقابل هذا الإحسان بالبر ورد الجميل؟

قال ابن الجوزي: "غير خاف على عاقل حق المنعم، ولا منعم بعد الحق تعالى على العبد كالوالدين؛ فقد تحملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته، وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها، وقدمته على نفسها في كل حال. وقد ضم الأب إلى التسبب في إيجاده محبته بعد وجوده، وشفقته، وتربيته بالكسب له والإنفاق عليه. والعاقل يعرف حق المحسن، ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، لا سيما إذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء المنقلب"(1).

قال الشاعر:

(1) بر الوالدين، لابن الجوزي (ص:1).

"لأمِّكَ حَقٌّ لو علِمْتَ كبيرُ ... كَثيرُكَ يا هذا لَدَيهِ يسيرُ
فكمْ ليلةٍ باتَتْ بثِقْلِكَ تشتكِي ... لَها مِن جَوَاها أنَّةٌ وزفيرُ
وفِي الوَضعِ لو تدرِي عليْها مشقةٌ ... فكمْ غُصَصٍ منها الفؤادُ يطيرُ
وكمْ غسلَتْ عنكَ الأذَى بيمينِهَا ... ومِن ثَدْيِها شُربٌ لدَيْك نَمِيرُ
وكم مَرّة جاعَتْ وأعطَتْكَ قُوتَها ... حُنُوًّا وإشفاقًا وأنتَ صغيرُ
فَضَيَّعْتَهَا لَّما أسَنّتْ جَهالَةً ... وطالَ عليكَ الأمرُ وهو قصيرُ
فَدُونَكَ فارغبْ فِي عَمِيمِ دُعائِهَا ... فأنتَ لِما تَدْعو إليه فقيرُ"(1)

وقال أب في ابنه:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا ... تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ(2)

(1) الكبائر للذهبي (ص:44).

(2) المعجم الصغير للطبراني (2/ 152).

إن من ينظر في واقعنا اليوم يجد الأدب مع الوالدين قليل الإتيان من الأبناء والبنات صغاراً وكباراً، حتى غدا العقوق سمة بارزة من سمات هذا العصر، وإذا كان ابن الجوزي يشكو من عقوق شبيبة زمنه في قوله: "فإني رأيت شبيبة من أهل زماننا لا يلتفتون إلى بر الوالدين، ولا يرونه لازمًا لزوم الدين، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم من الواجبات"[(1)] فماذا كان سيقول عن شبيبة زماننا الذين قل فيهم البررة، وكثر بينهم العققة؟!

وسنتحدث عن هذا الأدب في العناوين الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع الوالدين:

هو: لزوم الإحسان الفعلي والقولي معهما، وتجنب جميع صور الإساءة إليهما، في حياتهما وبعد وفاتهما.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب مع الوالدين:

يجب الأدب مع الوالدين لأسباب:

1- أن العقل والخلق الكريم والشرع اجتمعت على الأمر بالإحسان إلى الوالدين، والنهي عن عقوقهما.

فالعقل والخلق الحميد يأمران بالإحسان إلى الوالدين؛ لكونهما قد أحسنا إلى الولد، وبذلا له ما يستطيعان من الخير، ويعظم الاتجاه إلى الإحسان إليهما

---

(1) بر الوالدين، لابن الجوزي (ص:1).

في حال حاجتهما وكبرهما، ومع هذا فلن يقضي الولد حق والديه مهما فعل من البر، إلا أن يجدهما مملوكين فيعتقهما، أما غير ذلك فلا.

فعَنْ زُرْعَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ رَجُلًا، أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِي أُمًّا بَلَغَهَا مِنَ الْكِبَرِ أَنَّهَا لَا تَقْضِي حَاجَةً إِلَّا وَظَهْرِي مَطِيَّةٌ لَهَا فَأُوطِيهَا وَأَصْرِفُ عَنْهَا وَجْهِي، فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ بَعْدَ مَا حَمَلْتُهَا عَلَى ظَهْرِي، وَحَبَسْتُ عَلَيْهَا نَفْسِي؟ قَالَ: «لَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَ وَهِيَ تَتَمَنَّى بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِهَا وَأَنْتَ تَتَمَنَّى فِرَاقَهَا"[(1)].

وعَنْ أَبِي بُرْدة قَالَ: "شَهِدْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَدْ حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّل ... إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرْ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، أَتَرَانِي جَزَيْتُهَا؟، قَالَ: لاَ، وَلاَ بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ"[(2)].

وفي القرآن الكريم أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين في عدة آيات: قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[البقرة:83]. [النساء:36]. [الأنعام:151].

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾[الأحقاف:15].

(1) الجامع لابن وهب (ص:149).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد (11)بإسناد صحيح.

وأما رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد جاءت عنه نصوص كثيرة، كما سيأتي معنا.

2 – أن الله تعالى قرن الإحسان إليهما بتوحيده، وفي السياق نفسه نهى عن عقوقهما، وبين بعض حقوقهما.

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:23-24].

3 –أن كمال الأدب معهما سبب من أسباب دخول الجنة، وعقوقهما سبب لدخول النار.

فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: "أَتَى رَجُلٌ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي بِنْتُ عَمِّي وَأَنَا أُحِبُّهَا، وَإِنَّ وَالِدَتِي تَأْمُرُنِي أَنْ أُطَلِّقَهَا، فَقَالَ: لَا آمُرُكَ أَنْ تُطَلِّقَهَا، وَلَا آمُرُكَ أَنْ تَعْصِيَ وَالِدَتَكَ، وَلَكِنْ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْوَالِدَةَ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ) فَإِنْ شِئْتَ فَأَمْسِكْ وَإِنْ شِئْتَ فَدَعْ(1)(2).

---

(1) رواه أحمد (21726)، والترمذي (1900)، وابن حبان (425) بإسناد صحيح.

(2) **هذه المسألة** تحتاج إلى توضيح من ناحية فقهية، وهي: هل يجب على الابن أن يطيع أباه أو أمه في نكاح امرأة لا يريدها؟

=

أجاب عن ذلك شيخ الإسلام فقال: "ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد وأنه إذا امتنع لا يكون عاقًا، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك وأولى؛ فإن أكل المكروه مرارةُ ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول يؤذي صاحبه كذلك، ولا يمكن فراقه". مجموع الفتاوى (32/ 30).

وإن أمره والداه بطلاقها فهل يطيعهما؟

قال ابن مفلح: "فإن أمره أبوه بطلاق امرأته لم يجب، ذكره أكثر الأصحاب قال سندي: سأل رجل أبا عبد الله فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال: لا تطلقها. قال: أليس عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واختار أبو بكر من أصحابنا أنه يجب؛ لأمر النبي ﷺ لابن عمر، ونص أحمد -في رواية بكر بن محمد عن أبيه- إذا أمرته أمه بالطلاق: لا يعجبني أن يطلق؛ لأن حديث ابن عمر في الأب، ونص أحمد أيضًا في رواية محمد بن موسى أنه لا يطلق لأمر أمه، فإن أمره الأب بالطلاق طلق إذا كان عدلاً، وقول أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يعجبني كذا هل يقتضي التحريم أو الكراهة؟ فيه خلاف بين أصحابه، وقد قال الشيخ تقي الدين فيمن تأمره أمه بطلاق امرأته قال: لا يحل له أن يطلقها، بل عليه أن يبرها وليس تطليق امرأته من برها". الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 447).

وقال ابن عثيمين: "إذا طلب الأب من ولده أن يطلق زوجته فلا يخلو من حالين:

الحالة الأولى: أن يبين الوالد سببًا شرعيًا يقتضي طلاقها وفراقها مثل أن يقول: "طلِّق زوجتك"؛ لأنها مريبة في أخلاقها، كأن تغازل الرجال، أو تخرج إلى مجتمعات غير نزيهة، وما أشبه ذلك. ففي هذا الحال يُجيب والده ويطلقها؛ لأنه لم يقل: "طلِّقها" لهوى في نفسه، ولكن حماية لفراش ابنه من أن يكون فراشه متدنسًا هذا الدنس، فيطلقها.

الحالة الثانية: أن يقول الوالد للولد "طلِّق زوجتك"؛ لأن الابن يحبها، فيغار الأب على محبة ولده لها، والأم أكثر غيرة، فكثير من الأمهات إذا رأت الولد يحب زوجته غارت جداً حتى تكون زوجة ابنها ضرة لها، نسأل الله العافية. ففي هذه الحالة لا يلزم الابن أن يطلق زوجته إذا أمره أبوه بطلاقها أو أمه. ولكن يداريهما ويبقي الزوجة ويتألفهما ويقنعهما بالكلام اللين حتى يقتنعا ببقائها عنده، ولا سيما إذا كانت الزوجة مستقيمة في دينها وخلقها... =

4- أن بر الوالدين من أعظم الأعمال عند الله تعالى وأحبها إليه، وعقوقهما من أعظم الذنوب و أكبر الكبائر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**) قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**)[(1)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: "إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: تُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ. فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ"[(2)].

وعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**)[(3)].

ولو احتج الأب على ابنه فقال: يا بني، إن النبي ﷺ أمر عبد الله بن عمر أن يطلق زوجته لما أمره أبوه عمر بطلاقها، فيكون الرد مثل هذا، أي: وهل أنت مثل عمر؟ ولكن ينبغي أن يتلطف في القول فيقول: عمر رأى شيئًا تقتضي المصلحة أن يأمر ولده بطلاق زوجته من أجله". مجموعة أسئلة تهم الأسرة المسلمة (ص:52).

(1) رواه البخاري (3425)، ومسلم (85).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد(4) بسند صحيح.

(3) رواه البخاري (6919)، ومسلم (87).

5- أن الوالدين أحق الناس بحسن الصحبة وكمال الرعاية والعناية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **(أُمُّكَ)** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أَبُوكَ)**[1].

ثالثًا: صور من الأدب مع الوالدين:

الواجب على الإنسان بر والديه، والبعد عن عقوقهما، وهذا الواجب لا حصر له، لكننا سنذكر بعض صوره لتدل على غيرها، وسنقسم ذلك إلى قسمين:

القسم الأول: صور الأدب مع الوالدين حال حياتهما:

1- طاعتهما فيما يأمران به وينهيان عنه، من دون تضجر ولا تأفف، وأن يكون ذلك في غير معصية الله تعالى.

وهذا من أعظم صور الأدب؛ فإن البر بالوالدين إنما هو الاستجابة لهما في الأمر والنهي.

حتى ولو كانت النفس تهوى خلاف ما يأمران وينهيان. قال تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾[الإسراء:23].

---

(1) رواه البخاري (5971)، ومسلم (2548).

عـن ابـن سـيرين، قـال: "بلغـت النخلـة ألـف درهـم، فنقـرت نخلـة مـن جُمّارها[1]. فقيل لي: عقرت نخلة تبلغ كذا، وجماره بدرهمين؟! قلت: قد سألتني أمي، ولو سألتني أكثر من ذلك لفعلت"[2].

وسئل كعب الأحبار، عن العقوق، فقال: "إذا أمرك والدك بشيء فلم تطعهما فقد عققتهما العقوق كله"[3].

وأما إذا أمرا بمعصية الله فعلى الابن أو البنت أن يبينا لهما وجه الصواب بلطف؛ فربما يكونان جاهلين، أو اشتبه عليهما الأمر، فإن أصرا على قولهما انصرف الولد عن الاستجابة بأدب.

قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[لقمان:14-15].

عن سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أُنْزِلَتْ فِيَّ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما**﴾ الآية، قال: كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا سَعْدُ، مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكَ قَدْ أحدثت؟! لتدعن دينك

---

(1) **الْجمار**: قلب النّخل واحدته جمارة.

(2) بر الوالدين (ص:5).

(3) بر الوالدين (ص:8).

هذا أولا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ فَتُعَيَّر بِي، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ، فَقُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهْ؛ فَإِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ. فَمَكَثَتْ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ تَأْكُلْ، فَأَصْبَحَتْ قد جهدت، مكثت يومًا وَلَيْلَةً أُخْرَى لَا تَأْكُلْ، فَأَصْبَحَتْ قَدِ اشْتَدَّ جهْدُهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا أُمَّهْ، تَعْلَمِينَ وَاللهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ لَا تأكلي، فأكلت"[1].

2- إجابة دعوتهما، ولو بالخروج من الصلاة النافلة.

فإذا دعا أحد الوالدين فعلى ولدهما إجابته وترك أي عمل هو فيه، سواء كان عملاً دنيويًا أم عملاً دينيًا غير واجب.

فعن العوام، قال: قلت لمجاهد: "ينادي المنادي بالصلاة، ويناديني رسول أبي. قال: أجب أباك" وعن ابن المنكدر، قال: "إذا دعاك أبوك وأنت تصلي فأجب"[2].

ولكن ذكر أهل العلم أن ذلك في الصلاة النافلة، أما الفريضة فلا تقطع لإجابة دعوتهما، ولكن تخفف من غير إخلال بأركانها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (نَادَتِ امْرَأَةٌ ابْنَهَا وَهُوَ فِي صَوْمَعَةٍ، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ

(1) تفسير ابن كثير (6/ 301).
(2) بر الوالدين (ص:3).

أُمِّي وَصَلاَتِي، قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلاَتِي، قَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ يَمُوتُ جُرَيْجٌ حَتَّى يَنْظُرَ فِي وُجُوهِ المَيَامِيسِ، وَكَانَتْ تَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ رَاعِيَةٌ تَرْعَى الغَنَمَ، فَوَلَدَتْ، فَقِيلَ لَهَا: مِمَّنْ هَذَا الوَلَدُ؟ قَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، قَالَ جُرَيْجٌ: أَيْنَ هَذِهِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَهَا لِي؟ قَالَ: يَا بَابُوسُ[1]، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: رَاعِي الغَنَمِ)[2].

قال النووي: "قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها؛ لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام"[3].

وقال ابن عثيمين: "ويستفاد من هذه الجملة من هذا الحديث: أن الوالدين إذا ناداك وأنت تصلي، فإن الواجب إجابتهما، لكن بشرط ألا تكون الصلاة فريضة، فإن كانت فريضة فلا يجوز أن تجيبهما، لكن إذا كانت نافلة فأجبهما"[4].

3 – فعل ما يحبانه وترك ما يكرهانه.

فأي أمر يحب الوالدان رؤيته أو سماعه أو فعله فعلى الولد تمكين الوالدين منه، وأي شأن يكرهانه فليبعده عن عيونهما وأسماعهما، ما لم يكن في

---

(1) البابوس: الصبي الرضيع.

(2) رواه البخاري (1206)، ومسلم (2550).

(3) شرح النووي على مسلم (16/ 105).

(4) شرح رياض الصالحين (3/ 73).

ذلك مخالفة لشرع الله تعالى.

وقد بلغ البر ببعض السلف إلى أعمال غاية في الإحسان؛ فقد قال سفيان بن عيينة: "قدم رجل من سفر، فصادف أمه قائمة تصلي، فكره أن يقعد وأمه قائمة، فعلمت ما أراد، فطولت؛ ليؤجر. وعن عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: "لا تمتنع من شيء أحباه"[(1)]

وعن الزهري، قال: "كان الحسن بن علي لا يأكل مع أمه، وكان أبر الناس بها، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن آكل معها، فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أدري فآكله، فأكون قد عققتها. وفي رواية: أخاف أن تسبق يدي يدها"[(2)].

4- عدم رفع الصوت فوق صوتهما.

سواء كان ذلك قريبًا منهما، أو عبر الهاتف، أو الجوال، أو الحاسوب، إلا إذا احتيج إلى رفع الصوت للإفهام.

قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:23].

والمعنى: "وأحسنوا بالوالدين إحسانًا، ومن الإحسان بالوالدين: لين الجانب، وألا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجبه بالرد، ويكون لهما كالعبد الذليل لسيده"[(3)].

---

(1) الأدب المفرد (ص:7).

(2) بر الوالدين (ص:5).

(3) تفسير السمعاني (1/ 425).

قال الإستانبولي: "ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجهر لهما بالكلام، بل يكلمهما بالهمس والخضوع، إلا لضرورة الصمم والإفهام"(1).

وعن عون بن عبد الله "أنه نادته أمه فأجابها، فعلا صوته، فأعتق رقبتين"(2).

5- خدمتهما إذا احتاجا إلى خدمة.

لأن هذا من مصاحبتهما بالمعروف في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾[لقمان:15]. و" حسن المصاحبة: أن يطعمهما إذا جاعا، وأن يكسوهما إذا عريا، فيجب على المسلم نفقة الوالدين ولو كانا كافرين، وبرهما، وخدمتهما"(3).

عن سفيان الثوري، قال: "كان ابن الحنفية يغسل رأس أمه بالخطمى(4)، ويمشطها ويخضبها"(5).

قال ابن الجوزي: "برهما يكون: بطاعتهما فيما يأمران به، ما لم يكن بمحظور، وتقديم أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة

(1) روح البيان (5/ 147).
(2) بر الوالدين (ص:6).
(3) روح البيان (7/ 79).
(4) **الخطمي**: نَبَات من الفصيلة الخبازية كثير النَّفْع يدق ورقه يَابسًا وَيجْعَل غسلاً للرأس فينقيه. المعجم الوسيط (1/ 245).
(5) بر الوالدين (ص:5).

لهما، فلا يرفع الولد صوته، ولا يحدق إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما"[1].

"وسئل **الفضيلُ بنُ عياض** عن بر الوالدين فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل، وقيل: أن لا ترفعَ صوتَك عليهما، ولا تنظُرَ إليهما شزْراً، ولا يَرَيا منك مخالفةً في ظاهر ولا باطن، وأن تترحّم عليهما ما عاشا، وتدعوَ لهما إذا ماتا، وتقومَ بخدمة أوِدّائِهما من بعدهما"[2].

6-النفقة عليهما إذا احتاجا إلى ذلك.

وهو من حسن الصحبة، ومن النفقة الواجبة على الإنسان التي يأثم بتركها والتقصير فيها إذا كان مقتدراً عليها، وهما بحاجة إليها.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة:215].

فقوله:"﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقًا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما: النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق: ترك الإنفاق عليهما؛ ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة على الولد الموسر"[3].

---

(1) بر الوالدين (ص:2).

(2) تفسير أبي السعود (5/ 166).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص:96).

قال وهب بن منبه: "في الإنجيل: رأس البر للوالدين: أن توفر عليهما أموالهما، وأن تطعمهما من مالك"(1) .

وإذا كانا في كفاية عن نفقته فلا يغفل الابن البار أو البنت البارة عن الهدية لهما بين وقت وآخر، خاصة في الأعياد والمناسبات.

7-حسن الكلام معهما، وحفظ اللسان عن الإساءة إليهما.

ويكون ذلك:

أ- باختيار الألفاظ المحببة إليهما، المفرحة لقلوبهما، الشارحة لصدورهما.

ب-الابتعاد عن الألفاظ الجارحة، والمحزنة، والمفزعة، والغليظة، والفظة.

ج-اختيار الأساليب الكلامية التي تريحهما؛ كأساليب العرض والاستفهام، وترك أساليب الأمر والنهي.

د-حسن مناداتهما بأحب الأسماء والألقاب.

هـ-الابتعاد عن أمرهما ببعض أعمال البيت وهما يكرهان ذلك؛ كمن يأمر أمه بأن تشارك زوجته في أعمال المنزل.

ز-الحذر من لعنهما أو سبهما أو الاستهزاء بهما ومحاكاة طريقة كلامهما

---

(1) بر الوالدين (ص:3).

للإضحاك.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء:23].

والقول الكريم هو: "القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب، ويستدعيه النزول على المروءة مثل: أن تقول: يا أبتاه، ويا أماه؛ كدأب إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾[مريم:42]. مع ما به من الكفر. ولا يدعوهما بأسمائهما؛ فإنه من الجفاء وسوء الأدب، وديدن الدُّعار، إلا أن يكون في غير وجههما كما قالوا"[1].

قال رجل لابن عمر: عندي أمي، قال: "والله لو ألّفت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة، ما اجتنبت الكبائر"[2].

وعن محمد بن سيرين، قال: "من دعا أباه باسمه فقد عقّه، إلا أن يقول: يا أبت"[3].

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ)**[4].

8-حسن النظر إليهما؛ لما يحدثه ذلك في نفوسهما من السرور والأمان.

فلا ينظر إليهما بعبوس واكفهرار، ولا ينظر إليهما نظر المتكبر، ولا نظر

(1) روح البيان (5/ 147).

(2) بر الوالدين (ص:3).

(3) بر الوالدين (ص:8).

(4) رواه مسلم (1978).

المستهزئ، ولا نظر الغضوب والعدو، ولا نظر الماكر.

بل ينظر إليهما نظرة التواضع والمحبة والرحمة والامتنان؛ لأن النظر إليهما من العبادات، وإذا تكلما نظر إلى وجهيهما، وأصغى إلى كلامهما.

فعن عبد الله بن عون، قال: "النظر إلى الوالدين عبادة"[1].

وعن أبي حازم، قال: قال عمارة: سمعت أبي يقول: "ويحك! أما شعرت أن نظرك إلى والدتك عبادة، فكيف البر بها؟"[2].

وعن مجاهد، قال: "لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده إذا ضربه، ومن شد النظر إلى والديه لم يبرهما، ومن أدخل عليهما ما يحزنهما فقد عقهما "[3].

وقال عروة: "ما بر والده من شد الطرْف إليه"[4].

9-المشي خلفهما لا أمامهما، إلا إن احتاجا للتقدم عليهما في المشي، أو أمرا به.

عن أبي غسان الضبي أنه خرج يمشي بظهر الحَرة وأبوه يمشي خلفه، فلحقه أبو هريرة، فقال: "من هذا الذي يمشي خلفك؟ قلت: أبي، قال: أخطأت الحق ولم توافق السنة، لا تمش بين يدي أبيك، ولكن امشِ خلفه أو عن يمينه،

(1) بر الوالدين (ص:3).

(2) بر الوالدين (ص:4).

(3) بر الوالدين (ص:8).

(4) سير أعلام النبلاء (4/ 433).

ولا تدع أحداً يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرْقـًا -أي: لحمـًا مختلطـًا بعظم- نظر إليه أبوك؛ فلعله قد اشتهاه، ولا تحد النظر إلى أبيك، ولا تقعد حتى يقعد، ولا تنم حتى ينام"[1].

وقال فرقد: "قرأت في بعض الكتب: ما برّ ولد مدّ بصره إلى والديه، وأن النظر إليهما عبادة، ولا ينبغي للولد أن يمشي بين يدي والده، ولا يتكلم إذا شهد، ولا يمشي عن يمينهما، ولا عن يسارهما، إلا أن يدعواه فيجيبهما، أو يأمراه فيطيعهما، ولكن يمشي خلفهما كالعبد الذليل"[2].

وعن عمر بن ذر أنه لما مات ابنه قيل له: "كيف كان بره بك؟ قال: ما مشى معي نهاراً إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقد على سطح أنا تحته"[3].

وعن محمد بن سيرين، قال: "من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي يميط الأذى عن طريقه"[4].

قلت: وهذا يختلف باختلاف الزمان والأعراف والأحوال، فقد يكون الخير للوالد المشي أمامه أو عن يمينه أو عن شماله، وهذا ما فعله أبو بكر

(1) بر الوالدين (ص:3).
(2) البر والصلة لابن الجوزي (ص:117).
(3) بر الوالدين (ص:6).
(4) بر الوالدين (ص:8).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة الهجرة؛ فإنه لما "خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه. حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدى؟ فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك"(1).

10-خفض الجناح لهما، والتواضع لهما، مهما بلغ الإنسان من المنزلة السامية في الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:24]. " أي: ألن لهما جناحك، واخفضه لهما، حتى لا تمتنع عن شيء أحباه ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: من الشفقة عليهما؛ لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك، كما كنت في حال الصغر مفتقرًا إليهما"(2).

وخفض الجناح: "عبارةٌ عن إلانة الجانبِ والتواضعِ والتذلل لهما؛ فإن إعزازَهما لا يكون إلا بذلك، فكأنه قيل: واخفض لهما جناحك الذليل"(3).

قال عروة بن الزبير في هذه الآية: "يكون لهما ذلولًا، لا يمتنع من شيء أحَبَّاه". **وقال عطاء** عن ابن عباس: "لا يريدان منك أمرًا إلا أجبتهما إليه". **وقال مقاتل:** "أَلِنْ لهما جانبك واخضع لهما، ولا تستصعب عليهما". **وقال عطاء بن**

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 237).
(2) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 127).
(3) تفسير أبي السعود (5/ 166).

أبي رباح: "لا ترفع يدك عليهما"[1].

11-هيبتهما، وإجلالهما وتعظيمهما.

ويكون ذلك:

أ-بالشعور النفسي بذلك.

ب-عند الجلوس معهما، أو في مجلس هما فيه.

ج-عند رؤيتهما.

د-عند سماع أوامرهما ونواهيهما.

عن إسماعيل بن عون، قال: "دخل رجل على ابن سيرين وعنده أمه، فقال: ما شأن محمد؟ يشتكي؟ قالوا: لا، ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه"[2].

وعن محمد بن عمر، قال: "كان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد باراً بأمه، وكان أبوه يقول: يا محمد. فلا يجيبه حتى يشب فيقوم على رأسه فيلبيه، فيأمره بحاجته، فلا يستفهمه هيبة له، حتى يسأل من فهم ذلك عنه.

وعن بكر بن عباس، قال: ربما كنت مع منصور في مجلسه جالساً فتصيح به أمه، وكانت فظّة غليظة، فتقول: يا منصور، يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى؟ وهو واضع لحيته على صدره، ما يرفع طرفه إليها"[3].

---

(1) التفسير البسيط (13/ 306).

(2) بر الوالدين (ص:5).

(3) بر الوالدين (ص:6).

12-البعد عن إحزانهما وإبكائهما.

فالبار يحرص على إدخال السرور على والديه، وتجنب الأفعال والأقوال التي تدخل عليهما الحزن والبكاء.

عن عبد الله بن عَمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه، قال: "جئت لأبايعَكَ على الهجرة، وتركتُ أبَوَي يَبكيان، قال: "(**إليهما فأَضْحكْهما كما أبكيتَهما**)[1].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "إبكاء الوالدين من العقوق"[2].

13-أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر.

فإذا كان البر بالوالدين مطلوبًا في أمر الدنيا ففي أمر الدين أولى، فهداية الوالدين إلى الحق من أبر البر، ولكن بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، كما فعل إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[مريم:41-45].

عن سلام بن مسكين، قال: "سألت الحسن، قلت: الرجل يأمر والديه

(1) رواه أحمد (6490)، وابن حبان (419)، وأبو داود (2528) وغيرهم، وهو صحيح.

(2) بر الوالدين (ص:3).

بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟ قال: إن قبلا، وإن كرها فدعهما"[1].

وقال ابن مفلح: " قال أحمد- في رواية يوسف بن موسى-: يأمر أبويه بالمعروف وينهاهما عن المنكر. وقال -في رواية حنبل-: إذا رأى أباه على أمر يكرهه يعلمه بغير عنف ولا إساءة، ولا يغلظ له في الكلام وإلا تركه، وليس الأب كالأجنبي. وقال -في رواية يعقوب بن يوسف-: إذا كان أبواه يبيعان الخمر لم يأكل من طعامهم وخرج عنهم. وقال -في رواية إبراهيم بن هانئ-: إذا كان له أبوان لهما كرم يعصران عنبه ويجعلانه خمرًا يسقونه يأمرهم وينهاهم، فإن لم يقبلوا خرج من عندهم ولا يأوي معهم. ذكره أبو بكر في زاد المسافر. وذكر المروذي أن رجلاً من أهل حمص سأل أبا عبد الله: أن أباه له كروم يريد أن يعاونه على بيعها، قال: إن علمت أنه يبيعها ممن يعصرها خمرًا فلا تعاونه"[2].

14- ترك الانتصار عليهما في الكلام.

قد يجلس الإنسان مع والديه في مجلس ويدور نقاش حول مسألة ما فتختلف وجهات النظر، وقد يخالف الابنُ أو البنت الأبَ أو الأم فيها، فليس من البر: أن ينتصر الولد على أحد أبويه بإيراد الحجج لتقوية رأيه على رأيهما أو أحدهما. بل من البر الاعتداد برأيهما، والرضوخ له.

---

(1) بر الوالدين (ص:3)..

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 449).

قال ابن الجوزي: "قال يزيد بن أبي حبيب: إيجاب الحجة على الوالدين عقوق. يعني: الانتصار عليهما في الكلام"[1].

15 – ترك سب الناس ولعنهم.

لأن ذلك يدعو الناس إلى سب والدي السابِّ ولعنهما.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**مِنَ الْكَبَائِرِ: شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: (**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**)[2].

16 – شكرهما، والاعتراف بفضلهما، وإبداء القصور في إيفائهما حق تربيتهما.

قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾[لقمان:14].

"وقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ لأني المنعم في الحقيقة ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أي: لكوني جعلتهما سبباً لوجودك والإحسان بتربيتك، ثم علل الأمر بالشكر محذراً بقوله تعالى: ﴿إليّ﴾ لا إلى غيري ﴿الْمَصِيرُ﴾ فأحاسبك على شركك ومعاصيك، وعن القيام بحقوقهما، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر لله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس

(1) بر الوالدين (ص:8).

(2) رواه مسلم (90).

فقد شكر للوالدين"[1].

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ أَبَا مُرَّةَ، مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ رَكِبَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى أَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ فَإِذَا دَخَلَ أَرْضَهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "عَلَيْكِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ: رَحِمَكِ اللهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا"[2].

17-استئذانهما واستشارتهما، وترك البتِّ في الأمور بدون علمهما، إذا كان ترك إعلامهما يحزنهما.

فإذا أراد الإنسان السفر أو التوجه نحو أمر ذي بال، فليستنر برأي والديه ودعوتهما.

فكم من إنسان سافر من غير استئذان والديه أو باشر أمراً بدون رأيهما فغضبا لأجل ذلك فحرم التوفيق، ورافقه الخذلان.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ فَقَالَ: **(هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ؟)**، قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ: **(أَذِنَا لَكَ؟)** قَالَ: لَا، قَالَ: **(ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا)**[3].

---

(1) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (3/ 186).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد(14) وهو حسن.

(3) رواه أبو داود(2530)، وابن حبان(422)، والبيهقي(17831)، بإسناد صحيح.

18 –البعد عن إيثار الزوجة على الوالدين.

فمن العقوق: أن يقدم المرء زوجته على أمه وأبيه في الاستجابة في الأوامر والنواهي، وأن يقدمها في الإكرام والعناية والسؤال والتواصل إذا كان في سفر.

طُعن صخر أخو الخنساء فمرض وطال مرضه، وَكَانَت أُمّه إِذا سُئلت عَنْهُ، قَالَتْ: نَحْنُ بخيرٍ مَا رَأينَا سواده بَيْننَا، وَكَانَ امْرَأَته إِذا سُئِلت عَنْهُ، قَالَتْ: لَا حَيٌّ فُيرجَى، وَلا مَيِّتٌ فيُنْعَى، فَقَالَ صَخْر:

أرى أم صخرٍ لَا تَمَلُّ عِيادتي ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي ومكاني
إِذا مَا امرؤٌ سَاوَى بأُمٍّ حَلِيلَةً ... فَلَا عَاشَ إلا فِي شقًا وهوانِ[1]

19 – رعايتهما وإحسان صحبتهما عند الكِبَر.

فالإنسان حين يكبر ويمتد به العمر يكثر مرضه وضعفه وقلة صبره وتعظم حاجته إلى غيره.

فيحتاج حينئذ إلى خدمة ورعاية وهدوء وحسن كلام ومداواة وطول صحبة وصبر كبير وتحمل عظيم لآثار ضعفه وحاجته.

وهنا يعظم البر، ويشنع العقوق، فلمثل هذه الحال يعدّ الوالدان الأولاد، وأما قبل ذلك فالحاجة قليلة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**

---

(1) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (ص:278).

وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:23-24].

"وخصصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر؛ لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما. فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته. وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما. فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما، ومزيد الرعاية لهما، وشدة التوقي والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما في هاته الحال على الخصوص. وإن كان ذلك واجبًا عليه في كل حال على العموم. وطول بقائهما عنده في كنفه وثقل مؤونتهما عليه، وما يكون من ضرورات الكبر والمرض مما يستقذره في بيته، كل هذا قد يؤديه إلى الضجر والتبرم، فيقول ما يدل على ضجره وتبرمه. فنهي عن التفوه بأقل كلمة تدل على ذلك وهي كلمة أف بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾، فأحرى وأولى ما فوقها"[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ) قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: (مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)[2].

---

(1) تفسير ابن باديس (ص:69).

(2) رواه مسلم (2551).

"**معناه:** أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة"[1].

القسم الثاني: صور الأدب مع الوالدين بعد موتهما:

1 –الدعاء لهما، وكثرة الاستغفار لذنوبهما.

وهذا العمل من أعظم البر، وقد دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24]. وقال عن نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح:28].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**)[2].

وعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَرْبَعٌ مِنْ عَمَلِ الْأَحْيَاءِ يَجْرِي لِلْأَمْوَاتِ: رَجُلٌ تَرَكَ عَقِبًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ يَتْبَعُهُ دُعَاؤُهُمْ..**)[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**)[4].

---

(1) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (10/ 3155).

(2) رواه مسلم (1631).

(3) رواه الطبراني في الكبير(6181) وهو حسن.

(4) رواه أحمد (10610)، وابن ماجه (3660) وهو صحيح.

2-الصدقة عنهما.

عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا[1].

3-إكرام صديقهما، وصلة أرحامهما.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ)**[2].

4-قضاء دينهما والوفاء بنذرهما وقضاء الصوم والكفارات عنهما.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ فَقَالَ: **(لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟)** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **(فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى)**[3].

---

(1) رواه البخاري (2756).

(2) رواه مسلم (2552).

(3) رواه مسلم (1148).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللهَ؛ فَاللهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ)[1].

5- تنفيذ وصيتهما المشروعة إن كانت لهما وصية.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:180-182].

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع الوالدين:

هناك طرق مساعدة للوصول إلى الأدب مع الوالدين، منها:

1-القدوة الصالحة من الأبوين والأسرة المربية.

فحين يرى الأولاد الآباء والأمهات بارين بآبائهم وأمهاتهم يتربى أولادهم على ذلك.

قال الشاعر:

ويَنشأُ ناشئ الفتيانِ مِنّا ... على ما كانَ عَوّدَهُ أَبُوه

(1) رواه البخاري (1852).

ومـــا دانَ الفتـــى بحِجًـــا ولكـــنْ يُعَلِّمُــــــهُ التّـــــدَيّنَ أقرَبُـــــوه[1]

2-مجالسة البارين، والبعد عن أهل العقوق.

فالجليس يتأثر بجليسه ولابد، فمن صاحب أهل البر اقتبس من برهم، ومن صاحب العققة هان عليه العقوق.

3- قراءة أخبار أهل البر وسماع قصصهم.

فإن في ذلك ما يدعو إلى النسج على منوالهم وترسم خُطاهم على طريق الإحسان إلى الوالدين، وقد تقدم في الصور بعض أخبارهم، وستأتي في النماذج أخبار أخرى.

4-التفكر فيما قدمه الوالدان للولد منذ أن كان في بطن أمه حتى صار مستغنيًا عنهما.

فالعاقل إذا تفكر في ذلك لن يتوانى في برهما والإحسان إليهما.

5- التأمل في ثمرات البر وعواقب العقوق. كما سيأتي.

خامسًا: ثمرات الأدب مع الوالدين:

إذا وفِّق الإنسان إلى بر والديه فسيجني ثمرة ذلك البر في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

---

(1) ديوان أبي العلاء المعري (ص:1458).

1 –استجابة الدعاء، والظفر بدعوة صالحة من والديه.

فقد قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أويس القرني: (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)[2].

2 –الخروج من المآزق والكربات.

كما في قصة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وكان الأول منهم باراً بوالديه.

3 –بر الأولاد. فالجزاء من جنس العمل.

وقد قيل: بروا آباءكم تبركم أبناؤكم.

4 –نيل رضوان الله تعالى.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ)[3].

---

(1) رواه مسلم (2542).

(2) رواه ابن ماجه (3862)، والطبراني في الدعاء(1326)، وهو حسن.

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد(2) ابن حبان (429)، والحاكم (7249)، وقال: "هَذَا حَدِيثُ صَحِيحُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

5-دخول الجنة.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: جَاءَ جَاهِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَجِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (**فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا**)[1].

وفي رواية ابن ماجه[2]: (**الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ**).

سادسًا: آثار سوء الأدب مع الوالدين:

من أساء الأدب مع والديه فغدا لهما عاقا، وعن برهما نائيا؛ أدى فعله ذلك إلى آثار سيئة عليه في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

1-الخذلان والحرمان من التوفيق.

فالعاق محروم من نور النجاح؛ لأنه قد أطفأه بعقوقه، فلا يرى أمامه إلا ظلمات كثيفة من العوائق التي كونتها زفرات الوالدين الموجوعين بالعقوق فتنثال منهما الدعوات على من عقهما فتظلم بها الدروب والطرقات. وقد تقدمت قصة جريج.

(1) رواه النسائي (4297)، والحاكم(7248)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(2) (2781).

2-البوء بالإثم الكبير وغضب الملك الجبار.

فإن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات. وقد تقدم من الأدلة ما يدل على ذلك.

3-دخول النار، إلا إذا تاب.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى)[1].

4-الحرمان من نظر الله يوم القيامة.

عن ابْنِ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ، والمنان بما أعطى)[2].

5-العقوبة المعجلة في الدنيا.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوق)[3].

وتعجيل العقوبة هنا مبهم، ولكن منه: عقوق الأولاد، فمن عق والديه عقه أولاده، والجزاء من جنس العمل، والواقع والتاريخ ينطق بذلك.

فقد قيل: إن يونس بن الخياط كان عاقًّا لأبيه، فقال أبوه فيه:

(1) رواه النسائي(2562) وهو صحيح.

(2) رواه ابن حبان(7340)، والبزار(6050) وغيرهما، وهو صحيح.

(3) رواه الحاكم (7350) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

يـــونُسُ قلبـــي عليـــك يلتهـــفُ والعـــينُ عبـــرى دموعُهـــا تكِـــفُ
تُلحِفنـــي كـــسوةَ العقـــوقِ فـــلا بَرِحَـــتَ منهـــا مـــا عـــشتَ تلتحـــفُ
أُمِـرتَ بـالخفضِ للجنـاحِ وبالرفـ ـقِ فأمـــسى يعُوقـــك الأَنَـــفُ
وتلـــك واللهِ مـــن زبانيـــةٍ إن سُـــلِّطوا في عـــذابهم عَنُفُـــوا

فأجابه ابنُه يونس فقال:

أصبح شـيخي يُـزرِي بـه الخَـرَفُ مـــا إنْ لـــه حرمـــةٌ ولا نَـــصَفُ
صِـــفاتُنا في العقـــوقِ واحـــدةٌ مـــا خلتُنـــا في العقـــوقِ نختلـــفُ
لحَفتَـــه ســـالفًا أَبـــاك فقـــد أَصـبحتَ مني كـذاك تلتحـفُ[1].

وكان في زمن عبد الملك بن مروان رجل يسمى منازل بن فُرْعان بن الأعرَف، وكان لمنازل هذا ابن يقال له خليج - وهو من رهط الأحنف بن قيس - فعق خليج أباه منازلاً، فقدمه إلى إبراهيم بن عربي - والي اليمامة - مستعديًا عليه وقال:

تظلّمنـــي حقـــي خلـــيجٌ وعقّنـــي على حين كانت كـالحَنِيِّ عظامي
رجـاء لغـولٍ مـن حـرام كأنمـا تـــسعّر في بيتـــي حريـــقُ ضـــرامِ
لعمـــري لقـــد ربيّتُـــه فرِحًـــا بـــه فـلا يفـرحنْ بعـدي امـرؤٌ بغـلامِ
وكيـف أرجِّـي النفـع منـه وأمُّـه حراميـــةٌ؟ مـــا غـــرني بحـــرامِ
ورجّيـتُ منه الخير حين استزدتُه ومـا بعـض مـا يـزداد غيـر غـرامِ

---

(1) معجم الأدباء (3/ 15).

فأراد إبراهيم بن عربي ضربه، فقال: أصلح الله الأمير، لا تعجل علي، أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا منازل بن فرعان، الذي عق أباه، وفيه يقول أبوه:

جَـزَتْ رَحِـمٌ بَيْنِـي وبَـينَ مُنَـازِلٍ ... جَـزَاءاً كَمـا يَـسْتَنْزِلُ الـدَّيْنَ طَالِبُـهْ[1]

لَرَبَّيْتُـهُ حَتَّـى إذَا آضَ شَـيْظَمًا ... يَكادُ يُسَاوِي غَـارِبَ الْفَحْـلِ غَارِبُهْ[2]

فلَمَّا رَآنِي أُبْصِرُ الشَّخْصَ أشخُصًا ... قَرِيبـًا وَذا الـشَّخْص البَعِيـد أُقارِبُـهْ[3]

تغمّـد حقـي ظَالِمـًا وَلَـوَى يَـدِي ... لـوَى يَـدَهُ اللهُ الَّـذِي هُـوَ غالِبُـهْ[4]

وَكـانَ لـهُ عِنْـدِي إذا جَـاعَ أَوْ بَكَـى ... مِـنَ الـزَّادِ أحْلـى زَادِنَـا وَأطَايبُـهْ[5]

ورَبَّيْتُـهُ حتَّـى إذا مـا تَرَكْتُـهُ ... أخا الْقَوْمِ واسْتَغْنَى عَنِ المَسْحِ شارِبُهْ[6]

---

(1) **أي**: جزى الله منازِل على الرَّحِم أَي: على الْقَرَابَة الَّتِي بيني وَبَينه جَزَاء يسْتَوْفى لَهُ وَعَلَيهِ كَمَا يسْتَنْزل صَاحب الدّين مِمَّن عَلَيْهِ حَقه.

(2) **وَالْمعْنَى**: أقسم أنه بَعْدَمَا ربيته فَبلغ مبلغ الرِّجَال غدرني وهضمني حَقي وَلم يقم بِوَاجِب تربيتي لَهُ.

والشيظم: الطويل، والغارب من الْبَعِير: مَا بَين السنام والعنق وَهُوَ الَّذِي يلقى عَلَيْهِ خطام الْبَعِير إِذا أرسل ليرعى حَيْثُ شَاءَ. **والفحل هنا**: الذكر القوي من الإبل.

(3) فَلَمَّا رَآنِي شَيخًا كَبِيراً ضعف نظره وَاخْتلفت مواقع بصارته حَتَّى يرى الشَّخْص الْقَرِيب مِنْهُ أشخصًا وَيرى الشَّخْص الْبعيد مِنْهُ قَرِيبًا.

(4) **تغمد حَقي أَي**: ستر حَقي وأخفاه. (لوى يَده الله) هَذِه جملَة دعائية يُرِيد بهَا: أَن ينْتَقم الله لَهُ من ابْنه منَازِل ويجازيه على قلَّة قِيَامه بِحُقُوق التربية.

(5) وَكَانَ لَهُ عِنْدِي الخ مَعْنَاهُ: كَانَ منَازِل كلما جَاع أَو بَكَى وَهُوَ صَغِير يحضر لَهُ أَبوهُ من الطَّعَام أحلاه وأطيبه من بَاب الرأفة بِهِ.

(6) وَاسْتغْنى عَن الْمسْح شَاربه عبارَة عَن كَونه بلغ عنفوان الشَّبَاب وَصَارَ فِي عداد الفتيان الْبَالِغين مبلغ الرِّجَال.

وَجَمَّعْتُهـا دُهْمـًا جِـلادًا كأَنَّهَـا ... أشـاءُ نَخِيـلٍ لَـمْ تُقَطَّـعْ جَوَانِبُـهْ[1]
فـأَخْرَجَني مِنْهـا سَـلِيبًا كـأَنَّني ... حُـسامُ يَمـانٍ فارَقَتْـهُ مَـضارِبُهْ[2]
أأنْ أُرْعِشَتْ كفَّا أبِيكَ وأصْبَحَتْ ... يَدَاكَ يَـدَيْ لَيْـثٍ فإنَّـكَ ضَـارِبُهْ[3][4].

فقال الوالي: يا هذا، عَققت فعُقِقت، فما لك مثلاً إلا قول خالد لأبي ذؤيب[5]:

فَلا تَجْـزَعَنْ مِـنْ سُـنَّةٍ أَنْـتَ سِـرْتَهَا ... فَـأَوَّلُ رَاضٍ سُـنَّةً مَـنْ يَـسِيْرُهَا[6].

سابعًا: نماذج مشرقة في الأدب مع الوالدين:

1- رسولنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ:

---

(1) **أي**: جمعت خيلاً دهمًا جمع أدهم. جلاداً من الجلادة وَهِي الصلابة. كَأَنَّهَا أَشَاء نخيل الخ أَي: كَأَنَّهَا صغَار نخل لم يقطع مِنْهُ شَيْء. **وَالْمعْنَى**: أَنِّي لما جمعت من الْخَيل الَّتِي وصفتها مَا جمعته وأعددتها لركوبي وركوبه اعْتدى عَليّ وسلبها مني ظلمًا وحرمني مِنْهَا.

(2) **يَقُول**: فَأَخرجنِي من هَذِه الْخَيل سليبًا كسيف يماني قَاطع فتفلل حَده وتكسر.

(3) **أأن أرعشت** الخ يُقَال: رعش فلَان من بَاب فَرح وَمنع أَخَذته رعدة وأرعشه الله، وكنى بِهَذَا عَن الْكبر والهرم. والهمزة الأولى للإنكار والتوبيخ يَقُول: ألأجل أَنِّي كَبرت وهرمت وأصبحت أَنْت شَابًّا قَوِيًا شَدِيداً تجترئ عَليّ بالإهانة وَالضَّرْب؟!.

(4) أخذ شرح الأبيات من شرح ديوان الحماسة للتبريزي (2/ 183-185).

(5) تنظر قصتهما في: مجمع الأمثال (2/ 248).

(6) ديوان الحماسة (2/ 182-185)، عيون الأخبار (ص:309)، الذخائر والعبقريات (1/ 22-23).

(اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ)[1].

2-ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

عن أنس بن النضر الأشجعي قال: "استقت أم ابن مسعود ماء في بعض الليالي، فذهب فجاءها بشربة، فوجدها قد ذهب بها النوم، فثبت بالشربة عند رأسها حتى أصبح"[2].

3- ظبيان بن علي الثوري:

عن ظبيان بن علي الثوري - وكان من أبر الناس بأمه - قال: "لقد نامت لليلةٍ وفي صدرها عليه شيء، فقام على رجليه يكره أن يوقظها، ويكره، أن يقعد، حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانه، فما زال معتمداً عليهما حتى استيقظت"[3].

4-الفضل بن يحيى:

عن المعلى بن أوب، قال: "سمعت المأمون يقول: لم أر أبر من الفضل بن يحيى البرمكي بأبيه، بلغ من بره بأبيه أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار، وكانا في السجن معًا، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام

(1) رواه مسلم (976).
(2) بر الوالدين (ص:5).
(3) بر الوالدين (ص:5).

الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان بالسجن، فملأه بالماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح.

وحكى غير المأمون أن السجان فطن لارتفاقه بالمصباح في تسخين الماء، فمنعهم من الاستصباح في الليلة القابلة، فعمد الفضل إلى القمقم مملوءاً، فأخذه معه في فراشه وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء[1].

5-هذيل:

كانت امرأة لها ابن اسمه هذيل، قالت عنه: كان يعمد إلى القصب فيقشره ويجففه في الصيف،؛ لئلا يكون له دخان، فإذا كان الشتاء جاء حتى قعد خلفي وأنا أصلي، فيوقد وقوداً رفيقاً ينالني حره ولا يؤذيني دخانه، وكنت أقول له: يا بني، الليلة اذهب إلى أهلك، فيقول: يا أماه أنا أعلم ما يريدون، فأدعه فربما كان ذلك حتى يصبح.

وكان يبعث إلي بحلبة الغداة، فأقول: يا بني، تعلم أني لا أشرب نهاراً فيقول: أطيب اللبن ما بات في الضرع، فلا أحب أن أؤثر عليك، فابعثي به إلى من أحببت"[2].

(1) بر الوالدين (ص:6).

(2) بر الوالدين (ص:5).

الأدب مع الزوج[1]

لقد خلق الله تعالى الذكر والأنثى وجعل كلاً منهما يميل إلى الآخر بالفطرة، ولولا ذلك لما بقي النسل وتكونت الأمم، واستقرت الحياة.

غير أن الله تعالى قد جعل ذلك الميل في العالم الإنساني منظمًا، وسائراً على قوانين محددة على حسب ما يتعارف عليه أهل كل ملة، خلافًا لعالم الحيوان والطير البعيد عن ذلك التنظيم الإنساني.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:49]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:13]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:1].

ولكن ذلك التنظيم الإنساني في هذه العلاقة الاجتماعية قد بلغ غاية الرقي والنقاء وحسن التدبير والاعتناء في الشرائع السماوية، وعلى رأسها شريعة نبينا

---

(1) **الزوج**: يطلق على الرجل والمرأة، فالزوجان كل منهما زوج للآخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾[الأحزاب:37].

محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد بينت الحقوق والواجبات، والآداب والتشريعات التي تجعل العلاقة الزوجية على أحسن الأحوال وأقومها، وأبقاها وأدومها، حاثة كلاً من الزوجين على لزوم الأدب الرفيع مع صاحبه، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:228].

وبعد هذا سنتحدث عن هذا الأدب في النقاط الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع الزوج:

الأدب مع الزوج يعني: أن يقوم كل من الزوجين بأداء حقوق الآخر عليه، التي يفرضها شرع الله وتدعو إليها العشرة بالمعروف، أداءً مصحوبًا بحسن طريقة ومحبة،، من غير نقص ولا مماطلة ولا ظلم.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب بين الزوجين:

إن هناك أسبابًا عديدة تجعل من لزوم الأدب على كل من الزوجين موضوعًا ذا أهمية كبيرة، حري بكل زوج وزوجة أن يعرف ذلك ويحرص على امتثال صور الأدب في حياته الزوجية.

فمن تلك الأسباب:

1 –أن الحياة الزوجية حياة دائمة، وعلاقة مستمرة، وشركة حياتية ممتدة.

ولما كانت هذه الحياة على هذه الصورة كان العمل بالأدب الزوجي فيها

لازمًا؛ حتى يضمن لها الديمومة والبقاء، والسلامة من الشقاء والعناء.

وإذا زخرت الحياة الزوجية بالعمل بالآداب الإسلامية وعمرت بطاعة رب البرية فإن هذه العلاقة تصير أبدية، فكما اجتمع الزوجان على ذلك في الدنيا فسيبقيان على ذلك في الجنة.

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[الرعد:23]. وقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[يس:56].

غير أن المرأة إذا توفي عنها زوجها الصالح فتزوجت بعده بآخر صالح فهي لآخر أزواجها؛ فعن أم الدرداء أنه لما توفي أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خُطبت فقالت: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا**)، وَلَسْتُ أُرِيدُ بِأَبِي الدَّرْدَاءِ بَدَلًا[1].

(1) رواه الطبراني في الأوسط(3130)، وهو صحيح، قال الألباني: "وله شاهدان موقوفان:

الأول: عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرويه ابن عساكر عن عكرمة. " أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام وكان شديداً عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية، اصبري؛ فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة". ورجاله ثقات إلا أن فيه إرسالاً؛ لأن عكرمة لم يدرك أبا بكر، إلا أن يكون تلقاه عن أسماء بنت أبي بكر. والله أعلم.

والآخر: عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لامرأته: "إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي؛ فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا،؛ فلذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة". أخرجه البيهقي في السنن، ورجاله ثقات لولا =

2-أن الآداب الزوجية جزء من الدِّين.

فإن الإسلام قد شرع شرائع، وحد حدوداً، وبين حقوقًا وواجبات تتعلق بالحياة الزوجية، من أوامر تفعل، ونواهٍ تجتنب، وحدود لا تتجاوز، وهذا يدعو إلى العناية بالآداب الزوجية؛ حتى يكمل دين المرء إذا كان متزوجًا.

3-أن تتهيأ للأولاد البيئة البيتية الصالحة القائمة على الآداب.

فإن البيت الزوجي إذا كان عامراً بالآداب، فكل زوج يؤدي لصاحبه حقه، ويبدي له من الرعاية والاحترام ما ينبغي أن يكون؛ فإن ذلك البيت سيكون سعيداً مطمئنًا، وأرضًا صالحة ليتربى فيها الأولاد تربية صالحة، حين يرون من الوالدين ما يسرهم من الآداب، ويسمعون منهما أجمل الأقوال في الخطاب والجواب.

أما البيوت التي لا آداب فيها بين الزوجين فإن الأولاد سينشأون على سوء أدب، وعناء نفسي كبير؛ جراء ما يرون من المشكلات وسوء التعامل، وسيء الأقوال بين الأب والأم.

كما قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا … على ما كان عوّده أبوه.

عنعنة أبي إسحاق - وهو السبيعي- واختلاطه" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (3/ 276).

ثالثًا: صور من الأدب بين الزوجين:

هناك صور كثيرة للأدب بين الزوجين يمليها ديننا الحنيف، والأخلاق الكريمة، والطبع الإنساني المستقيم.

وهذه الصور سنجعلها على قسمين:

القسم الأول: صور من أدب الزوج مع زوجته:

وفيه عدة صور، منها:

1-المعاشرة بالمعروف.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[النساء:19].

قال الشافعي: "وجماع المعروف: الكف عما يُكره، وإعفاء صاحب الحق عن مؤنة الطلب، وتأديته بلا كراهة"(1).

قال ابن كثير-عند هذه الآية-: "أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[البقرة:228]. وقال رسول الله ﷺ: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**) وكان من أخلاقه ﷺ: أنه جميل العشرة، دائم البِشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، يتودد إليها بذلك،

(1) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار (ص:377).

قالت: "سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني، فقال: (هذه بتلك)، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ. وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[الأحزاب: 21]"(1).

ومن المعاشرة بالمعروف: أن يظهر من الزوج لزوجته العطف والحنان والاحترام، والبعد عن العبوس، وتمني الفراق، والكراهية المفرطة.

2-إعفافها وإعطاؤها حقها من الفراش.

"**روى الشَّعْبِيّ** أن كعب بْن سور كَانَ جالسًا عند عُمَر بْن الخطاب، فجاءت امْرَأَة، فقالت: ما رَأَيْت قط رجلًا أفضل من زوجي؛ إنه ليبيت ليله قائمًا، ويظل نهاره صائمًا فِي اليوم الحار، ما يفطر، فاستغفر لها عُمَر، وأثنى عليها، وقَالَ: مثلك أثنى بالخير وقاله! فاستحيت المرأة وقامت راجعة، فَقَالَ كعب بْن سور: يا أمير المؤمنين، هلا أعديت المرأة عَلَى زوجها إِذَا جاءتك تستعديك؟! قَالَ: أكذلك أرادت؟ قَالَ: نعم. قَالَ: ردوا عليّ المرأة، فُردت؛ فَقَالَ: لا بأس بالحق أن تقوليه، إن هَذَا يزعم أنك جئت تشتكين أَنَّهُ يجتنب فراشك، قَالَتْ: أجل، إني

(1) تفسير ابن كثير (2/ 212).

امْرَأَة شابة، وَإِني أبتغي ما يبتغي النساء، فأرسل إِلَى زوجها فجاء، فَقَالَ لكعب: اقض بَيْنَهُما، فَقَالَ: أمير المؤمنين أحق أن يقضي بَيْنَهُما، فَقَالَ: عزمت عليك لتقضين بَيْنَهُما؛ فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهم، فَقَالَ: إني أرى لها يومًا من أربعة أيام، كأن زوجها لَهُ أربع نسوة، فإذا لم يكن لَهُ غيرها، فإني أقضي لَهُ بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن، ولها يَوْم وليلة، فَقَالَ لَهُ عُمَر: والله ما رأيك الأول بأعجب من رأيك الآخر، اذهب فأنت قاض عَلَى أهل البصرة "[1].

3 –صيانتها من كل ما يدنس عرضها، ويخدش كرامتها، ويعرضها لقالة السوء.

ومن صيانته لها: الغيرة عليها، ولكن من غير تجسس وسوء ظن، مادام أنه لم ير منها أو يسمع عنها ريبة عن خبر يقين.

عن سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَحٍ عنه، فقال رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: (أتعجبون من غَيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[2].

قال عياض وغيره: "الغيرة: مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين"[3].

(1) أسد الغابة (4/ 453).

(2) رواه البخاري(7416)، ومسلم (1499).

(3) فتح الباري (9/ 320).

حتى لو أدت غيرة الزوج ودفاعه عن زوجته إلى قتله فإنه إن قُتل دون عرضه فهو شهيد، وإن عاش عاش وهو كريم حميد.

قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**...ومن قتل دون أهله فهو شهيد**)[1].

وأما من لم يغر على حرمه ولا يغضب على تلطيخ فراشه فهو ديوث، قال فيه رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورَجُلة[2] النساء)[3].

4- أداء حقوقها المالية، ابتداء من المهر، وانتهاء بالمتعة إن طلقها، والتركة إن مات عنها، ويكون ذلك بدون منٍّ أو مماطلة.

فللمرأة حقوق مالية على زوجها عليه أن يوفيها إياها بلا منٍّ عليها بها، ولا مماطلة منه في أدائها؛ لأنها واجبة عليه.

فمن تلك الحقوق المالية: المهر؛ فكم زوج يبقى عنده من هذا الحق شيء فلا يؤديه، أو يماطل فيه مع قدرته عليه، وهذا نوع من الظلم.

قال الله تعالى: ﴿**وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ**

---

(1) رواه أبو داود(4772)، (5858)، والترمذي (1421)، والنسائي(4095)، وأحمد (1652)، وهو صحيح.

(2) **رجلة**- بفتح فضم ففتح- المتشبهة بالرجال في زيهم وهيأتهم فأما ما في العلم والمعرفة فمحمود. النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 203).

(3) رواه النسائي (2562)، والحاكم (20814)، والطبراني في الكبير (13180) وهو صحيح.

نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[النساء:4].

وعـن عبـد الله بـن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **(إن أعظـم الذنوب عند الله تعالى: رجل تزوج امرأة، فلما قضى حاجته منها طلقها وذهـب بمهرها)**[1].

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لرجل: **(أترضى أن أزوجك فلانة؟)** قال: نعم. وقال للمرأة: **(أترضين أن أزوجك فلانًا؟)** قالت: نعم. فزوج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل ولم يفرض لها صداقًا ولم يعطها شيئًا، وكان ممن شهد الحديبية- وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر- فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زوجني فلانة ولم أفرض لها صداقًا، ولم أعطها شيئًا، وإني أشهدكم أني أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر، فأخذت سهمها فباعته بمائة ألف[2].

ومن الحقوق المالية على الزوج لزوجته: النفقة عليها في طعامها وشرابها وكسائها ودوائها وسكنها.

فعن معاوية بن حيدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: (أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا

(1) رواه الحاكم(2802)،والبيهقي في الكبرى (14173)،وهو حسن.

(2) رواه أبو داود(2117)، والبيهقي في الكبرى (14110)، والحاكم(2742)، وابن حبان (4072)، وهو صحيح.

تضرب الوجه، ولا تقبِّح)[1].

وتكون النفقة حسب حال الزوج: يسراً وعسرا، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق:7].

5-رعاية مشاعر الزوجة.

وهذا من الآداب الرفيعة التي قد يقصر فيها بعض الأزواج، وهو أدب يشمل صوراً كثيرة:

فمن ذلك: أن يفرح الزوج لفرح زوجته، ويحزن لحزنها، ويشاركها في اهتماماتها ومحبوباتها المشروعة.

ومن ذلك أيضًا: الثناء عليها: على حسن طهيها ونظافة بيتها، وعلى حسنها وجمال زينتها، وعنايتها به.

ومن ذلك أيضًا: احترام أهلها، وإظهار العناية بهم، والبعد عن إهانتهم أو سبهم وشتمهم.

ومن ذلك أيضًا: ترك معاتبتها، أو رفع صوته عليها أمام أهله أو أهلها.

ومن ذلك أيضًا: البعد عن جرح مشاعرها بكلمة أو إشارة سخرية، فهناك

---

(1) رواه أبو داود(2142) وابن ماجه(1850)، والبيهقي في الكبرى (14556)، والطبراني في الكبير (1038)، وأحمد (20027)، وهو حسن.

أزواج ثقلاء لا يعنيهم مشاعر الناس فلا يبالون بأقوالهم ولا أفعالهم نحو غيرهم.

6-حسن خطاب الزوجة والحديث الجميل معها.

فالمرأة تؤثر فيها الكلمة الحسنة، ولديها جوع شديد لسماع العبارة الجميلة، وظمأ كبير لقراءة كلمة طيبة من زوجها أو سماعها منه يبدي فيها حبه الكبير لها، وعظم مكانتها في قلبه، وأهمية حضورها في حياته.

والأدب العربي حافل بقصائد ورسائل تسيل عذوبة وحنانًا من الأزواج لزوجاتهم، ومن الزوجات لأزواجهن.

فهذا خالد بن يزيد يقول في زوجته رملة بنت الزبير:

تَجُولُ خَلاَخِيلُ النِّساءِ وَلاَ أَرَى ... لِرَمْلَةَ خلْخَالاً يَجُولُ وَلا قُلْبَا
فَلاَ تُكْثِرُوا فِيهَا الْمَلامَ فَإِنَّني ... تَخَيَّرْتُهَا مِنْهُمْ زُبَيْرِيَّةً قَلْبَا
أُحِبُّ بَنِي العَوَّامِ طُرّاً لِحُبِّهَا ... وَمِنْ أَجْلِهِا أَحْبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبَا
إِذَا نَزَلَتْ أَرْضاً تُحَبِّبُ أَهْلَهَا ... إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَتْ مَنَازِلُهَا حربا[1]

7- حسن القيام عليها.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء:34].

(1) الحماسة المغربية (2/ 968).

ويكون هذا الأدب بفعل ما ينبغي أن يكون عليه الرجل تجاه زوجته من الإدارة والإشراف والرعاية والصيانة، من غير كبر ولا تسلط ولا ظلم، فهذه الوظيفة تكليف إذا أدي حقها فهي تشريف.

8- مراعاة ضعف المرأة الفطري.

فمن الأدب العظيم: أن يراعي الزوج ضعف زوجته بصبره وعقله وحكمته وحسن تصرفه وتغافله وعفوه، فلا يعاملها معاملة رجل، ولا يؤاخذها على كل شيء.

فالمرأة تغلبها العاطفة، وتستولي عليها العجلة، وتفتقر إلى تقدير العواقب والمآلات في كثير من التصرفات؛ فلهذا كان على الزوج أن يعرف هذه الحقيقة من زوجته، فيبتعد عن الاستقصاء، وديمومة المؤاخذة والمحاسبة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)**[1]. **وفي رواية لمسلم**: **(إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا)**.

قال النووي: "وفي هذا الحديث: ملاطفة النساء والإحسان إليهن، والصبر

---

(1) رواه البخاري (3331)، ومسلم (1468).

على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها"[1].

9-تذكر الزوج فضل زوجته عليه عند حصول خلاف أو كراهية.

فإن بين الزوجين من الفضل ما يجعل الكريم يعفو ويتغافل، ويصفح ويغلب جانب الإحسان على الإساءة.

قال تعالى: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة:237]، وقال: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:19].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ) أَوْ قَالَ: (غَيْرَهُ)[2].

قال ابن هبيرة: " في هذا الحديث من الفقه: أن المؤمن لا يخلو من خلق حسن؛ فإنه إذا كانت المرأة مؤمنة لم يطرد فيها ما يكرهه المؤمن، والمؤمنة يحملها الإيمان على استعمال خصال محمودة يحبها المؤمن فيُحمل ما لا يُحب لما يُحب، وإنما يكره المؤمن من المؤمنة الخلق الذي لا يرضاه، وفيها الخلق الذي يرضاه، وبعد أن يكون إيمانها موجودًا فإنه يغتفر لذلك ما يكون منها"[3].

---

(1) شرح النووي على مسلم (10/ 57).

(2) رواه مسلم (1469).

(3) الإفصاح عن معاني الصحاح (8/ 190).

وقال القاضي عياض: "المرأة الصالحة أنفع من الذهب؛ فإن الذهب لا ينفع إلا بعد الذهاب، وهي ما دامت معك رفيقتك تنظر إليها تسرك، وتقضي إليها عند الحاجة وطرك، وتشاورها فيما يَعِنُّ لك فتحفظ سرك، وتستمد منها في حوائجك فتطيع أمرك، وإذا غبت تحامي مالك، وترعى عيالك، ولو لم يكن إلا أنها تحفظ بذرك، وتربي زرعك لكفى به فضلا"[1].

10- إعلام الزوج زوجته بمقدمه إذا كان غائبًا عنها في سفر أو انقطاع عنها في مكان ما.

وهذا الأدب يجعله لا يرى منها ومن بيته وأطفاله ما يكره، فيأتي وقد أعدت العدة الحسنة لاستقباله فيسر بما يرى منها ومن حال بيته وأولاده.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا، فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا؛ حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ، وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ)[2].

ومعنى الحديث ومقصده: العناية بإعلام الزوجة قبل المجيء، سواء كان المجيء ليلاً أو نهاراً.

قال النووي: "وفي هذا الحديث .. الاحتراز من تتبع العورات، واجتلاب ما يقتضي دوام الصحبة، ..فتستعد لذلك المغيبة والشعثة وتصلح حالها، وتتأهب للقاء زوجها"[3].

---

(1) فيض القدير (1/ 465).

(2) رواه البخاري (5243)، ومسلم (715).

(3) شرح النووي على مسلم (10/ 54).

11-أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ولو كرهت ذلك.

فإن هذا الأدب لصلاح دينها وهو أهم من الآداب لصلاح دنياها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:6].

ولنا في رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أسوة حسنة الذي قال: (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**)(1).

وقد كان نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يأمر نساءه وينهاهن ويعلمهن بقوله وبفعله، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت: حسبك من صفية كذا وكذا -تعني: أنها قصيرة- فقال: (**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**)(2).

وجاء عنها أنها قالت: (كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا اطلع على أحد من أهله كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة)(3).

12-عدم نسيانها بعد وفاتها أو طلاقها.

وذلك بذكرها بالجميل، والثناء عليها، والدعاء لها، وصلة صديقاتها.

---

(1) رواه الترمذي (3895)، وابن ماجه (1977)، وابن حبان (4177)، وهو صحيح.

(2) رواه أبو داود(4875)، والترمذي(2502)، وهو صحيح.

(3) رواه أحمد (6/ 152)، وهو صحيح.

قال تعالى: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة:237].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَهو عِنْدِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**مَنْ أَنْتِ؟**)، قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، قَالَ: (**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ ، كَيْفَ حَالُكُمْ؟ ، كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟**)، فَقَالَتْ: بِخَيْرٍ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الإِقْبَالَ؟ ، فَقَالَ: (**إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ**)[1].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَمَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ. وَلَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَيُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَتْ. وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عز وجل أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ . وَاسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ ، فَارْتَاحَ لِذَلِكَ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ . قَالَتْ: فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ النِّسَاءَ مِنْ الْغَيْرَةِ، فَأَغْضَبْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ: خَدِيجَةَ. كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ ، فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا؟ قَالَتْ: فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعُّرًا مَا

(1) رواه الحاكم (40)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي.

كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، أَوْ عِنْدَ الْمَخِيلَةِ، حَتَّى يَنْظُرَ، أَرَحْمَةٌ أَمْ عَذَابٌ، قَالَ: مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عز وجل خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عز وجل وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ، إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)[1].

"وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب"[2].

القسم الثاني: صور من أدب الزوجة مع زوجها:

كما أن على الزوج أن يتحلى بآداب تجاه زوجته فكذلك الزوجة عليها آداب تتحلى بها مع زوجها، وهذا منطق العدل الذي جاء به الإسلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:228].

وعن عمرو بن الأحوص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سمع رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في حجة الوداع يقول -بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ- ثم قال: **(...استوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن عندكم عوانٍ[3]، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مُبَرِّحٍ ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا وإن لكم على نسائكم**

(1) رواه البخاري(6004)، ومسلم(2435)، وأحمد(24310)، والترمذي(3876) وغيرهم.
(2) شرح النووي على مسلم (15/ 202).
(3) عوان: أسيرات.

حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون[1]، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"[2].

فمن آداب المرأة مع زوجها:

1 -طاعته فيما يأمر وينهى في حدود المعروف والمقدور عليه.

ومسارعتها في مراضيه، والابتعاد عن مساخطه، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾[النساء:34].

وهذا الأدب من علامات الخير في المرأة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ خَيْرِ النِّسَاءِ قَالَ: (الَّتِي تُطِيعُ إِذَا أَمَرَ، وَتَسُرُّ إِذَا نَظَرَ، وَتَحْفَظُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ)[3].

---

(1) قال النووي: "معناه: أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن". شرح النووي على مسلم (8/ 184).

(2) رواه الترمذي(1163)، وابن ماجه(1851)، وهو صحيح.

(3) رواه النسائي (8912)، والطبراني في الكبير(386)، والبزار(8537)، وهو صحيح.

ومن طاعته: تمكينه منها في حال طهرها من غير تمنع، فقد قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)**[1].

ومن طاعته: أن لا ترد عليه رأيه وكلامه أمام أهلها أو أهله إذا عرض رأي فلم يوافق عليه، فمن أدبها مع زوجها أن لا تناقشه في الموضوع حتى يعدل عن رأيه، فإن رأت رأيه على خطأ انفردت به ووضحت له الرأي الصائب.

ومنها أيضًا: استئذانه عند إرادة القيام بعمل ذي شأن، ولو في طاعة ربها إذا كان له تعلق بحرمانه شيئًا منها كالصوم المستحب، قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)**[2].

وهذا الحق -أعني الطاعة للزوج- هو الذي يحفظ للحياة الزوجية الشموخ والاستمرار، ويضفي عليها السعادة والاستقرار والرضا، والبعد عنه يؤدي إلى الشقاء وتضييع الأطفال وتعاستهم.

نعم، للزوج هذا الحق وله هذه المكانة، ولكن ليس له الاستقصاء، وتتبع كل عثرة تحت سوط الطاعة؛ فالمرأة عرضة للنقص البشري والضعف الأنثوي. وكذلك الرجل فإنه لا يسلم من قصور.

2-حفظ نفسها وقصرها عليه.

(1) رواه البخاري (3237)، ومسلم(1436).

(2) رواه البخاري(5195).

فلا تخونه في فراش، ولا تنظر إلى غيره نظر شهوة، ولا تعقد علاقات غرامية مع رجل آخر، ويدخل في ذلك أن تصون نفسها عن نظر الرجال إليها وذلك بقيامها بالحجاب الساتر لجسدها، وبعدها عن السفور.

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:34].

والمعنى: المستقيمات الدين العاملات بالخير؛ مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن، في فروجهن وأموالهم، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره[1].

راود رجل الشاعرة ليلى الأخيلية عن نفسها فقالت:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييتُ سبيلُ

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل[2]

3- حفظ ماله.

وذلك بصيانته عن الضياع والتبذير والعبث، ويدخل في ذلك: أن ترفق به في مطالبها المالية على حسب حاله، فكم من امرأة لها زوج فقير ولكنها ترهقه بطلباتها في شراء الأكسية ووسائل الزينة وغيرها حتى تنافس غيرها من نساء الأغنياء، وهذا ليس من الأدب.

---

(1) تفسير الطبري (8/ 293-295).

(2) ديوان الصبابة (ص:90).

4-حفظ أولاده.

لأن هذا من حق الزوج على زوجته، ومن حق أولادها عليها، فلا تضيع تربيتهم، ولا تهمل العناية الصحية والغذائية والشكلية بهم.

وقد بليت بعض النساء اليوم بقضاء كثير من الأوقات مع صديقاتها أو جوالها ووسائل التواصل، وتدع أولادها رهن الأجهزة اليكترونية التي تدمرهم أو جلساء السوء الذين يضيعونهم، وهي مشغولة بعالمها الخاص، وكم ضاع أولاد أو هلكوا بتقصير أمهاتهم في هذا الأدب!

5-الحفاظ على أسراره، والبعد عن إفشاء أخباره.

وهذا أدب من أهم الآداب، فإذا لم يكن التحدث بتلك الأسرار واجبًا لحرمة ذلك الأمر؛ فإن على المرأة أن لا تتحدث بسر زوجها لأقاربه أو أقاربها أو غيرهم.

فقد يكون للزوج أسرار صحية، أو اجتماعية، أو مالية، أو غير ذلك فتلكن زوجته صندوق أسراره الذي لا يعرف مفتاحه سواه.

ومن الأسرار: ما يتعلق بشؤون الفراش، فلا يحل للمرأة أن تتحدث لأحد بما تفعل مع زوجها من أمور الاستمتاع، إلا إذا كان لطبيبة لأجل العلاج.

فعن أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: (**لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا**) فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ

قَالَ: (فَلَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانُ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ)[1].

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)[2].

قال النووي: "وفي هذا الحديث: تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه؛ لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**) وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعي عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك؛ فلا كراهة في ذكره"[3].

وهذا الأدب كما تطالب به المرأة فكذلك الرجل.

6- رعاية مشاعره.

فمن هذا الأدب: أن تشارك الزوجة زوجها في إنجازاته وآماله، ومسراته وهمومه.

---

(1) رواه أحمد (27583)، والطبراني في الكبير (414)، وهو حسن.

(2) رواه مسلم (1437).

(3) شرح النووي على مسلم (10/ 8).

ومنه أيضًا: أن لا تتحدث عن زوجها السابق حديث إعجاب وحزن على فراقه، أمامه أو أمام من سيخبره، أو تتحدث عن مغامراتها العاطفية، فهذا يجرح مشاعر الزوج.

ومنه كذلك: أن لا تحادث رجلاً أمامه وتضاحكه وتمازحه، فهذا يوقد نار الغيرة.

7 - هيبته واحترامه حاضرًا وغائبا.

فالزوجة العظيمة هي التي يكون زوجها في عينيها وذهنها عظيما.

ومن ذلك: أن تحسن خطابه والتعامل معه، وأن لا تنظر إليه نظر احتقار، خاصة بين أهلها.

8 -الصبر عليه واسترضاؤه إذا غضب.

فتصبر على ضعف حالته المادية.

وتصبر على سوء أخلاقه وسوء تعامله.

عَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**) ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، (**كُلُّ وَلُودٍ وَدُودٍ عَؤُودٍ الَّتِي إِنْ ظَلَمَتْ أَوْ ظُلِمَتْ**) **وفي رواية**: (**إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ -أَيْ: زَوْجُهَا-** قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى) وفي رواية: (**قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ ، لَا أَكْتَحِلُ بِغُمْضٍ حَتَّى تَرْضَى**)[1].

(1) رواه الطبراني في الصغير (118) والكبير (307)، وهو حسن.

9- أن لا تتفاخر عليه بنسبها أو مالها أو شهادتها أو وظيفتها أو جمالها أو علمها.

10- أن تستأذنه إذا أرادت الخروج أو السفر مع أحد أقاربها.

11- أن تحسن استقباله إذا آب، ووداعه إذا ذهب.

12- أن تشكره على ما يقدمه لها ولو كان قليلاً أو غير ذي شأن.

وليس من صفات المرأة الصالحة كفران العشير.

13- أن تذكر فضله إذا غاب عنها، أو مات، أو طلقها.

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب بين الزوجين:

هناك طرق معينة لكل من الزوجين حتى يكون ذا أدب جم مع صاحبه، فمن ذلك:

1- التحلي بحسن الأخلاق.

فالزوج أو الزوجة إذا كان ذا حظ وافر من الخلق الحميد بمعناه العام كان على رتبة شامخة من الأدب، فما أسعده في حياته الزوجية، وما أسعد زوجته به! وكذلك يقال في الزوجة.

ولا يقاس ذو الخلق الحسن بكونه معروفًا بذلك بين الناس، بل بثناء أهله عليه بذلك.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**)[1].

---

(1) رواه الترمذي (3895)، وابن ماجه (1977)، وابن حبان (4177)، وهو صحيح.

2-الفقه في الدين المصحوب بالامتثال والعمل.

فإن العلم بشرع الله يجعل الإنسان يعرف الآداب الإسلامية فيسرع إلى امتثالها.

وكم من سوء أدب جرى بين زوجين سببه الجهل بآداب الإسلام.

3-بقاء أسرار الحياة الزوجية- صفوها وكدرها- في البيت بدون خروج إلى غيره.

إذ إن خروج تلك الشؤون قد يؤدي إلى خروج الزوج أو الزوجة عما ينبغي أن يكون عليه الأدب؛ انتصاراً لنفسه، وانتقامًا من صاحبه.

4-حسن الاختيار.

فالزوجة التي تختار زوجها ذا خلق ودين، وموافقًا لها فيما هي عليه من المباحات: تفكيراً وثقافة ومكانًا؛ يعين ذلك على لزوم الأدب وصفاء الحياة الزوجية غالبا.

وكذلك الزوج الذي يجد الزوجة التي تكون موافقة لما يحب يبقى معها على الأدب، فلا تسوء أخلاقه معها، ولا يجرح مشاعرها بالحديث أمامها عن غيرها من النساء.

5-الاقتداء بآداب البيت النبوي.

فالزوج يقرأ ويتأمل في حياة رسول الله ﷺ الزوجية فيأخذ منها آداب

الإسلام مع زوجته.

والزوجة تقرأ وتتأمل في حياة زوجات رسول الله ﷺ وكيف تأدبن معه زوجًا، لا نبيا.

خامسًا: ثمرات تحلي الزوجين بالآداب فيما بينهما:

إن الزوجين إذا تحليا بالآداب الحسنة أثمر ذلك عليهما ثمرات دينية ودنيوية كثيرة، منها:

1- استقرار الحياة الزوجية، وامتداد السعادة والراحة على جوانبها.

2- نشأة الأطفال نشأة آمنة مستقرة نفسيًا وإيمانيًا وعلميًا واجتماعيا.

3- التقليل من ظاهرة الطلاق والخلافات الزوجية الحادة التي أكثر ما تكون بسبب ضعف تحلي الزوج أو الزوجة بآداب الإسلام.

4- السلامة من الإثم.

فكم من أدب زوجي يكون واجبًا، فيدعه الزوج أو الزوجة فيكسب بذلك الإثم.

ولكن بالتمسك بالآداب الرفيعة تحصل السلامة من الآثام.

فمثلاً في الزوج يقول رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ**)[1].

(1) رواه النسائي (9131)، والحاكم (8526)، وقال: "على شرط البخاري ومسلم"، ووافقه الذهبي.

وفي الزوجة جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قَدِمَ مُعَاذٌ الْيَمَنَ، أَوْ قَالَ: الشَّامَ، فَرَأَى النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا وَأَسَاقِفَتِهَا، فَرَوَّى فِي نَفْسِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ يُعَظَّمَ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا وَأَسَاقِفَتِهَا، فَرَوَّأْتُ فِي نَفْسِي أَنَّكَ أَحَقُّ أَنْ تُعَظَّمَ، فَقَالَ: (**لَوْ كُنْتُ آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ**)(1).

5 -الفوز بالجنة والنجاة من النار.

فالزوج إذا أدى حق زوجته ولم يظلمها وكمل مطالب الإيمان ومات على ذلك استحق الجنة، وكذلك الزوجة مع زوجها.

قال رسول الله ﷺ: (**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**)(2).

سادسًا: آثار سوء الأدب بين الزوجين:

إذا خرج الزوجان أو أحدهما عن الأدب الزوجي نتج عن ذلك آثار سيئة، فمن ذلك:

---

(1) رواه أحمد (19403)، والحاكم (7325)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

(2) رواه أحمد (1/ 191)، وابن حبان(4163) وهو صحيح.

1 –الإثم.

فعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بعض الحاجة، فقال: (أي هذه، أذات بعل؟ قلت: نعم، قال: كيف أنتِ له؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: فانظري أين أنت منه؛ فإنما هو جنتك ونارك)[1].

2 – الشقاء الحياتي والتفكك الأسري.

فيغدو البيت جحيمًا، والارتباط الزوجي غُلاً، والضيق لدى الزوجين عنصراً ملازمًا.

3 –كثرة المشكلات الزوجية وفشو الطلاق.

4 –سوء تربية الأبناء ومرضهم نفسيًا، وقد تبلغ الحال إلى انحراف سلوكهم وضياع مستقبلهم.

5 –فساد المجتمع.

فإذا فسدت الحياة الزوجية وتباعدت عنها الآداب انحرف المجتمع وفسد، فيصبح الزوج الشقي في بيته يبحث عن سعادته في بيوت الغرباء وكذلك تفعل الزوجة.

سابعًا: نماذج مشرقة:

1 – رسول الله ﷺ هو النموذج الأرقى والأنقى للزوج، الذي تمثل محاسن

---

(1) رواه أحمد (4/ 341)، والبيهقي في الكبرى(14483)، والطبراني في الكبير (448)، والنسائي (8962)،وهو صحيح.

الآداب الزوجية في أقواله وأفعاله، وسيرته العطرة حافلة بأمثلة كثيرة، فمن ذلك:

ما في قصة النساء الإحدى عشرة اللاتي تعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، ومنهن أم زرع التي قالت في وصف أبي زرع: "زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، لاَ تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلاَ تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وَقَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ)**[1]"[1].

(1) قولها: **(أناس من حلي أذني)** حركهما بما ملأهما من ذهب ولؤلؤ. **(ملأ من شحم عضدي)** سمنني وملأ بدني شحمًا بكثرة إكرامه وسمن العضدين دليل سمن البدن **(بجحني)** عظمني وفرحني **(فبجحت إلى نفسي)** عظمت عندي **(أهل غنيمة)** أصحاب أغنام قليلة وليسوا أصاب إبل ولا خيل **(بشق)** مشقة وضيق عيش **(صهيل)** صوت الخيل **(أطيط)** صوت الإبل أي: أصحاب خيل وإبل ووجودهما دليل السعة والشرف، **(دائس)** يدوس الزرع ليخرج منه =

2- خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نموذج مشرق للزوجة الصالحة التي

الحب وهي البقرة، **(منق)** يزيل ما يخلط به من قشر ونحوه وتعني: أنه ذو زرع إلى جانب ما ذكرت من نعم. **(أقبح)** لا يرد قولي ولا يقبحه بل يقبله ويستظرفه، **(أرقد فأتصبح)** أنام حتى الصبيحة وهي أول النهار وتعني أنها ذات خدم يكفونها المؤونة والعمل، **(فأتقنح)** أي لا أتقلل من مشروبي ولا يقطعه علي شيء حتى أرتوي، **وفي رواية (فأتقمح)** أي أشرب حتى أرتوي وأصبح لا أرغب في الشراب، **(عكومها)** جمع عكم وهو الوعاء الذي تجمع فيه الأمتعة ونحوها، **(رداح)** كبيرة وعظيمة، **(فساح)** واسع كبير وهو دليل سعة الثروة والنعمة، **(مضجعه)** موضع نومه، **(كمسل شطبة)** صغير يشبه الجريد المشطوب من قشره أي: هو مهفهف كالسيف المسلول من غمده، **(الجفرة)** الأنثى من المعز إذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، **(ملء كسائها)** أي: تملأ ثوبها لامتلاء جسمها وسمنتها، **(غيظ جارتها)** تغيظ ضرتها لجمالها وأدبها وعفتها، **(تبث)** تذيع وتفشي، **(تبثيثا)** مصدر بث، **(تنفث)** تفسد وتذهب، **(ميرتنا)** طعامنا وزادنا، **(تعشيشا)** لا تترك القمامة مفرقة في البيت كأعشاش الطيور وقيل: هو كناية عن عفتها وحفظ فرجها فهي لا تملأ البيت وسخًا بأخدانها وأطفالها من الزنا، **وفي رواية (تغشيشا)** من الغش أي: لا تملؤها بالخيانة بل هي ملازمة للنصح فيما هي فيه، **(الأوطاب)** جمع وطب وهو وعاء اللبن، **(تمخض)** تحرك لاستخراج الزبد، **(كالفهدين)** في الوثوب، **(خصرها)** وسطها، **(برمانتين)** ثديين صغيرين حسنين كالرمانتين من حيث الرأس والاستدارة فيهما نوع طول بحيث أذا نامت قربا من وسطها حيث يجلس الولدان، **(سريا)** شريفًا وقيل: سخيًا، **(شريا)** جيدًا يستشري في سيره أي: يمضي فيه بلا فتور ولا انقطاع، **(خطيا)** منسوبًا إلى الخط وهو موضع بنواحي البحرين تجلب منه الرماح، **(أراح)** من الراحة وهو الإتيان إلى موضع البيت بعد الزوال، **(نعما)** إبلاً ونحوها، **(ثريا)** كثيراً، **(من كل رائحة)** من كل شيء يأتيه، **(زوجا)** اثنين أو صنفًا، **(ميري أهلك)** صليهم وأوسعي عليهم من الطعام، **(ما بلغ أصغر أنية أبي زرع)** لا يملؤها وهو مبالغة أي: كل ما أكرمني به لا يساوي شيئًا من إكرام أبي ذرع، **(كنت لك)** كانت سيرتي معك وزاد الزبير في آخره: (إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك)، ومثله في رواية للطبراني، وزاد النسائي في رواية له والطبراني قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "يا رسول الله، بل أنت خير من أبي زرع".

(1) رواه البخاري (5189)، ومسلم(2448).

وقفت مع زوجها أحسن وقوف، وكانت له نعم المساعد والمعين، وراعت مشاعره، وأيدته في دعوته، وصنعت له ما لم تصنعه سواها من زوجاته.
ويكفي من ذلك موقفها الكريم عند نزول الوحي:

فبعد أن نزلت على رسول الله أوائل سورة العلق فرجع بها (تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى..)[1].

3 - تزوج القاضي شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب، فنقم عليها شيئًا فضربها، ثم ندم وقال:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فَشَلَّت يميني يوم أضرب زينبا

---

(1) رواه البخاري (4953)، ومسلم (160).

أأضـربها مـن غيـر ذنـب أتـت بـه ... فما العدلُ مني ضربَ من ليس مذنبا
فزينـب شـمس والنـساء كواكـب ... إذا طلعـت لـم تُبـق مـنهن كوكبـا[1]

4- " تزوج رجل سيئ الخُلق امرأة فقال: "أما أنا فسيئ الخُلق، فإن كان بك صبرٌ على المكروه وإلا فلست أغرك من نفسي. فقالت: أسوأ خلقـًا من أحوجك إلى سُوء الخُلق. فتزوجها فما جرى بيتهما وحشة حتى فرق بينهما الموتُ".

5-قال شُرَيح القاضي: "تزوجت امرأة صغيرة، فلما بنيت بها، قالت: عرفني خُلُقك لأُحسنَ مداراتكَ، فعرفتها، فبقيت سنة معها يزداد شغفي بها، فلما كان بعد سنة دخلتُ يومـًا فإذا عجوزٌ قاعدةٌ، فسألتها عنها، فقال: هي أُمي، فدعت، وقالت: كيف رضاك عن صاحبتك؟ فشكرتها، فقالت: أسوأ ما تكون المرأة خلقـًا إذا حظيتْ عند الزوج، وإذا ولدتْ، فإن رابك شيء فعليك بالسوْطِ، فقلت: أشهد أنها ابنتك، جزاك الله خيراً؛ لقد كفيتَني الرياضَةَ".

6-طلق رجل امرأة، فلما أرادت الارتحال عنه قال: اسمعي، وليسمع من حضر، إني والله اعتمدتُك برغبةٍ، وعاشرتك بمحبةٍ، ولم يوجد منك زلة، ولم يدخلني منك ملّة، ولكن القضاء كان غالبـًا. فقالت المرأة: جُزيت من صاحبٍ ومصحوب خيراً، فما استرثتُ خيرك، ولا شكوتُ ضيرك، ولا تمنيْتُ غيرك، ولم أرد إليك شرها، ولم أجد لك في الرجال شبها، وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حُكْمه مُمْتنع، ثم افترقا"[2].

---

(1) وفيات الأعيان (2/ 462).

(2) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (ص:34-35).

الأدب مع الأولاد

الأولاد فلذات الأكباد، وعنوان الابتسام والإسعاد، وهبة الله التي تزيد الحياة جمالاً واتصالا، وتمنح الوالدية اشتداداً وكمالا، فضعف الأبوة والأمومة مجبور بهم، وعجزهما معتمد عليهم.

قال الأحنف بن قيس عن الأولاد: هم" ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة"[(1)].

وقال حطان بن المعلى الطائي:

لـولا بُنَيَّـاتٌ كزُغْـبِ القَطَـا ... رُدِدْنَ مـن بَعْـضٍ إلـى بعـضِ

لَكَـانَ لـي مُـضْطَرَبٌ واسِـعٌ ... في الأرْضِ ذاتِ الطُّـولِ والعَـرضِ

وإنّمـا أوْلادُنـا بَيْنَنـا ... أَكْبادُنـا تَمْـشي علـى الأرْضِ

لـو هَبَّـتِ الـرِّيحُ علـى بَعْـضِهمْ ... لامْتنعـت عَيْنـي مـن الغَمْـضِ[(2)]

وما أعظم سعادة إبراهيم عليه السلام وزوجه عندما بشرا بالولد بعد اليأس وطول الانتظار، قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا

(1) إحياء علوم الدين (2/ 218).

(2) الذخائر والعبقريات (1/ 30).

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[هود:71-73].

ونبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم أن شعر بألم الوحدة، وعظم شوقه إلى أنس الذرية، أحب أن يكون له عقب يخلفه، فدعا ربه فاستجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:89-90].

وقد طبع الله تعالى الآباء والأمهات على حب الأولاد ورحمتهم، وعظم رعاية طفولتهم، واستقلال التضحيات في سبيل سلامتهم وسعادتهم، وتحمل المشاق والمكاره من أجل راحتهم.

قالت أعرابية ترقص ابنها:

يا حبذا ريح الولدْ ... ريح الخُزامى في البلدْ

أهكذا كل ولدْ ... أم لم يلد قبلي أحد[1]

إن الله تعالى جبل الأبوين على حب الأولاد والعطف عليهم؛ ولذا فإنهما يتحملان المشاق ويبذلان الثمين مما عندهما لأجلهم، حتى لكأنهما قد صارا يهدمان عمريهما ليبنيا أعمارهم، كما قال الشاعر:

صغاراً نربيهم بقدر عقولهم ... ونبنيهم لكننا نتهدم

(1) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:23).

رأى ضرار بن عمرو الضبي من ولده ثلاثة عشر ذكراً فقال: "من سره بنوه ساءته نفسه". ويقال: إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد"[1].

ولا شك أن الأبوين قد لقيا من العناء والمشقة في حياة الأولاد شيئًا كثيرا، وحرما من الراحة بسببهما حرمانًا كبيرا، وربما تركا بعض المستحبات، وارتكبا بعض المحظورات لأجلهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التغابن:14-15].

وقد ورد في سبب نزول هاتين الآيتين: عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: "نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[التغابن: 14] فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ، فَأَتَوْا الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَوْهُمْ قَدْ فَقِهُوا فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾[التغابن: 14] الْآيَةَ"[2].

وقال رسول الله ﷺ: **(إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة)**[3].

(1) المرجع السابق (ص:27).

(2) رواه الحاكم (3814)، **وقال:** " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(3) رواه الحاكم، وهو صحيح.

فالحرص على حاجياتهم بخل يمنع من الصدقة والجود، والسعي لأجلهم والانشغال بهم قد يبعد بعض الناس عن التفقه والتعلم فيظل الإنسان جاهلاً أو مفوتًا على نفسه حظًا من العلم بسببهم. ومرضهم يدخل على الوالدين الحزن ويذهب من بينهما السرور.

وقال بعض الحكماء: "ما ذو والد -وإن كان بهيمة- إلا ويذنب لأجل أولاده"[1].

إننا نرى في الواقع أن الخوف على الأولاد، والرأفة بهم قد تكلف الوالد ركوب عناء السفر، ومفارقة الوطن؛ حتى لا يحتاج أولاده إلى أحد سواه.

قال الشاعر:

لَّفنـــي الهـــمُّ لإغنـــاءِ الولـــدْ وخــوفُ أن يفتقــروا إلــى أحــدْ
وأن يعيــشوا عيــشةً فيهــا ضــمدْ ويــشربوا مــن بعــد عــد بثمــدْ[2]
منـــتقلاً مـــن بلـــدٍ إلـــى بلـــدْ يومـــًا بـــصنعاءَ ويومـــًا بالجَنـــدْ

وقال آخر:

لا تعجبــي يــا مــيُّ مــن ســوادي ومـــن قمـــيصٍ هـــمَّ بانقـــدادِ
كلَّفنـــي تعـــسّفُ الـــبلادِ وقلـــةُ النـــومِ علـــى وســـادي

---

(1) تفسير الراغب الأصفهاني (4/ 259).

(2) **الضمد:** الجفاف واليبس. **والثمد:** المَاء الْقَلِيل.

مخافةَ الفقر على أولادي[1]

وقد يحجم آباء آخرون عن السفر؛ رحمة بالأولاد من ألم الفراق، وخشية الذهاب بلا عودة في أسفار قد تكون مظنة الهلكة.

قال الشاعر:

أراني إذا رمت الرحيل يصدني ... قصير الخطى طفل عليّ كريمُ
أخو خمسة مثل الفراخ تضمّهم ... مواتية فيما تفيد رؤومُ[2]

وهناك آباء يجزعون إذا تذكروا الموت ولديهم أولاد صغار؛ خوفًا عليهم من اليتم وذلِّه، وقسوة الناس على مفقود الوالد.

قال مالك بن أحمد بن سوار الطائي:

وإني لأخشى أن أموت وجعفر ... صغير فيجفى جعفر ويضيعُ
وإني لأرجو جعفرًا إن جعفرًا ... لصالح أخلاق الكرام تبوعُ[3]

وَقَالَ إِسْحَاق بن خلف:

لَوْلَا أُمَيْمَة لم أجزع من الْعَدَمِ ... وَلم أجب فِي الدياجي حندس الظُّلَمِ
مَخَافَة الْفقر يَوْمًا أَن يلمَّ بهَا ... فَيكْشف السّتْرَ عَن لحم على وَضم

(1) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:79).
(2) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:80).
(3) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:85).

قـد كنـت أحـذر أَن يبتزهـا عَـدم فَيكْـشف الـسّتْر عَـن خـيم وَعَـن كـرم
تهوي حَياتِي وأهـوى مَوتهَا شفقًا وَالْمَـوْت أكْـرم نـزّال علـى الْحـرم
وَزَادَنِي رَغْبَة فِـي الْعَيْش معرفتـي ذل الْيَتِيمَـــة يجفوهـــا ذَوُو الـــرَّحِم
إِذا تـذكرت بِنْتـي حِـين تنـدبني فاضـت لرحمـة بِنْتِي عبرتـي بـدمي(1)

غير أن هذه المكانة لـلأولاد في قلـوب الآبـاء والأمهـات لا تنفع الأولاد إذا لم تصحبها عناية تربوية، ورعاية أدبية، أحب الأولاد ذلك أم كرهوا.

قال ابن عبد ربه: "واعلـم أن خيـر الآبـاء للأبنـاء: مـن لـم يدعـه الحـبّ إلـى التفريط، وخير الأبناء للآباء: من لم يدعه التقصير إلى العقوق"(2).

فالطفل في صغره صفحة بيضاء تسوِّدها أقوال الوالدين وأفعالهمـا، ويـدون عليها منهج السير المستقبلي في الدين والحياة. و" إذا كانت الدراسات النفسية تؤكد بأن الإنسان يتم بناء شخصيته بنسبة 80٪ خلال السنوات السبع الأولى، ويمدها أصحاب البرمجة العصبية اللغوية إلـى 90٪؛ فإنـه لـم يبـق سـوى 20 أو 10٪ حتى يصل إلى 18 سنة؛ حيث تكتمل البرمجة الإنسانية"(3).

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)**(4).

---

(1) الحماسة البصرية (1/ 274).
(2) العقد الفريد (2/ 273).
(3) مهارات التواصل مع الأولاد (ص:37).
(4) رواه البخاري(1359)، ومسلم(2658).

قال أبو العلاء:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ مِنّا على ما كانَ عَوّدَهُ أبُوه
وما دانَ الفتى بحِجًا ولكنْ يُعَلّمُهُ التّدَيّنَ أقرَبُوه[1]

لأجل هذا كثرت عناية الصالحين بجانب تأديب الأولاد، والحرص على تنشئتهم تنشئة صالحة؛ بغية صلاح مستقبلهم، والانتفاع بحسن سلوكهم.

وقد كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في مقدمة هؤلاء المعتنين بالبنات والبنين، فقد كانوا يربونهم صغارا، ويوصونهم بالوصايا النافعة كبارا.

قال الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:131-133].

" أي: وصى بهذه الملة، وهي الإسلام لله. أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لحرصهم عليها ومحبتهم لها، حافظوا عليها إلى حين الوفاة، ووصوا أبناءهم بها من بعدهم"[2].

وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام: "يا بني، إنما يستدل على تقوى

(1) ديوان أبي العلاء المعري (ص:1458).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 318).

الرجل بثلاثة أشياء: بحسن توكله على الله فيما يأتيه، وبحسن رضاه فيما آتاه، وبحسن صبره فيما فاته"[1].

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: يا بني، عليك بخشية الله؛ فإنها غاية كل شيء، يا بني، لا تقطع أمراً حتى تشاور فيه مرشداً؛ فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم، يا بني، عليك بالحبيب الأول؛ فإن الأخير لا يعدله"[2].

ولهذا سنتحدث عن هذا الأدب في العناوين الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع الأولاد:

الأدب مع الأولاد هو: أن يسلك الوالدان الطرق القويمة في تربيتهم، وحسن تأديبهم، بأقوالهما وأفعالهما، وحرصهما وعنايتهما، وأن يكونا قدوة صالحة في حال صغر الأولاد وكبرهم.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب مع الأولاد:

تدعو أسباب كثيرة الآباء والأمهات إلى سلوك سبيل الأدب مع أولادهم، والحرص على تأديبهم، فمن ذلك:

1- أن تربيتهم التربية الصالحة، وإلزامهم طريق الأدب القويم أمانة دينية، ومسؤولية شرعية، فلا يجوز تركها، ولا يليق التقصير فيها.

---

(1) التذكرة الحمدونية (1/ 8).

(2) تاريخ دمشق (22/ 284).

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(1).

قال الخطابي: "أصل الرعاية في الكلام: حفظ الشيء، وحسن التعهد له، وقد اشترك هؤلاء المذكورون في التسمية، وجرى الاسم عليهم على سبيل التسوية، ومعانيهم في ذلك مختلفة، ... وأما رعاية الرجل أهله: فالقيام عليهم، والسياسة لأمرهم وتوفيتهم الحق في النفقة والعشرة. وأما رعاية المرأة في بيت زوجها: فحسن التدبير في أمر بيته والتعهد لمن تحت يدها من عياله وأضيافه وخدمه"(2).

وقال ابن هبيرة: "والرجل مسؤول عن رعيته من تعليم أهله ما يجب عليهم تعلمه، وصونهم عن البذلة، والغيرة على النساء منهم، ومن تربية الأطفال وحفظهم فيما في أيديهم من ماله"(3).

وعن عُثْمَانَ الْحَاطِبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: "أَدِّبِ ابْنَكَ؛

---

(1) رواه البخاري (893)، ومسلم (1829).

(2) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (1/ 579).

(3) الإفصاح عن معاني الصحاح (4/ 19).

فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ، وَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِهِ لَكَ "[1].

2-أن تأديبهم وإصلاح دينهم سبب لوقايتهم من النار.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:6].

وهذه الآية الكريمة أصل في الحث على العناية بالأهل- ومنهم الأولاد-، وأعظم عناية بهم: وقايتهم من أسباب دخول النار، ويكون ذلك بأن " تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"[2].

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتادة ومجاهد-عند هذه الآية -: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم"[3].

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: "يعلمهم فروضهم، ويؤدبهم في دنياهم"[4].

وقال أيضًا: "علِّموهم وأدِّبوهم"[5].

(1) شعب الإيمان (11/ 135).

(2) تفسير ابن كثير (8/ 188).

(3) تفسير القرطبي (18/ 194).

(4) تفسير الماوردي (6/ 44).

(5) تحفة المودود بأحكام المولود (ص:229).

3 – أن الأولاد في صغرهم أشد تأثراً بمن حولهم في الخير والشر.

وأقرب الناس إليهم: آباؤهم وأمهاتهم، فكان على الوالدين كمال الاعتناء بالأدب معهم والتأديب لهم في هذه السن؛ حتى ينشأوا على الاقتداء بآبائهم وأمهاتهم في سلامة السلوك، واستقامة التصور.

4 –أن الأدب معهم وتأديبهم ينفعهم في مستقبلهم، فباستقامتهم تستقيم حياتهم دينًا ودنيا.

وأن صلاحهم بالأدب صلاح للمجتمع.

فلو أن كل أسرة عنيت بهذا لصلح المجتمع كله.

5 –أن فساد البيئة اليوم يدعو الآباء والأمهات إلى كمال العناية بتأديب الأبناء والبنات.

فالخطر المحدق بالأولاد في صغرهم وشبابهم كبير، وسهام المؤامرة القذرة التي تستهدفهم لها من الوسائل والأعوان ما يدعو كل أب وكل أم إلى معرفة أهمية هذا الموضوع مع الأولاد.

ثالثًا: صور من الأدب مع الأولاد:

هناك صور كثيرة لأدب الوالدين مع أولادهما، تنجلي هذه الصور الأدبية في قدوة أبوية صالحة، وجهود تأديبية مستمرة، فمن ذلك:

1 –إعطاؤهم حقوقهم التي دعا إليها الشرع، أو دعت إليها فطرة الوالدية.

وهذه الحقوق كثيرة، منها:

أ-اختيار الأب والأم.

فمن حق الطفل على أبيه: اختيار أمه، ومن حقه على أمه: اختيار أبيه.

فالزوج يختار الزوجة الصالحة دينًا ودنيا؛ لأن الأم هي المنشأ الأول الذي ينشأ فيه الطفل فيتأثر بأخلاقها وسلوكها، خصوصًا البنات، والمرأة الحريصة على صلاح ذريتها لا توافق على زوج غير صالح في دينه وخلقه وأمر معاشه.

ففي الزوج: جاء عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)**، وَفِي رِوَايَةٍ: **(عَرِيضٌ)**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ[1]؟، قَالَ: **(إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ)** - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2].

وفي الزوجة: ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)**[3].

قال الشاعر يخاطب أولاده:

وأول إحساني إليكم تخيّري ... لماجدةِ الأعراقِ بادٍ عفافُها

---

(1) **قوله:** (وإن كان فيه) أي شيء من قلة المال أو عدم الكفاءة. تحفة الأحوذي (4/ 173).

(2) رواه الترمذي(1084)، وابن ماجه(1967)، والبيهقي في الكبرى(13481). وهو حسن.

(3) رواه البخاري (5090)،ومسلم (1466).

ومتى ساء الاختيار حصلت المكاره والأضرار؛ فقد قيل: إن رجلاً ضرب أباه، فقيل له: أما عرفت حقّه؟ قال: لا؛ فإنه لم يعرف حقّي، قيل: وما حقّ الولد على الوالد؟ قال: أن يتخير أمّه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن، وقال: اسمي برغوث، ولا أعلم حرفًا من القرآن، وقد أولدني من زنجية، فقالوا للوالد: احتمله؛ فإنك تستأهل[1].

ومما يتعلق بحسن اختيار الزوجة: أن تكون تلك الزوجة متفرغة لتربية الأولاد، صالحة في عقلها لذلك، أما إذا كانت ستدعهم في محاضن تربية أو تحت رعاية خادمات غير أمنيات؛ لانشغالها بأعمال ووظائف، أو كان في عقلها شيء من الميل عن الإصابة لجنون أو خبل أو طيش؛ فالعدول إلى غيرها مما ينصح به.

ولا يعني هذا التزهيد من النكاح بالموظفات الصالحات، ولكن ما أعنيه هو البحث عن أم يتربى الأولاد بين يديها أكثر الوقت من باب تقديم الخيار الأفضل؛ فكم ضاع من أولاد أو ماتوا بسبب انشغال أمهاتهم عنهم!.

ب-الدعاء عند المعاشرة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا)**[2].

(1) التذكرة الحمدونية (2/ 253).

(2) رواه البخاري (6388)، ومسلم (1434).

ج-التحنيك بالتمر أو أي شيء حلو عند الولادة.

فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ)[1].

وللتحنيك فوائد طبية كثيرة في صحة الوليد يذكرها الأطباء.

د-التأذين في أذنه عند ولادته.

قال ابن القيم: "وسر التأذين -والله أعلم-: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به"[2].

هـ-حسن التسمية.

فإن الأسماء لها آثار على المسميات " فقل أن ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على مسمى قبيح كما قيل:

---

(1) رواه البخاري (5467)، ومسلم(2145).

(2) تحفة المودود بأحكام المولود (ص:31).

وَقلّمَا أَبْصرتْ عَيْنَاك ذَا لقبٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِن فَكرتَ فِي لقبهْ

... وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف فهو كذلك في أسماء الأعلام"(1).

كان هناك رجل من العرب يقال له: حنظلة، وله ابن اسمه مُرّة. فقال له يومًا في بعض عتب عليه –وكان قد عتى عليه وعصى أمره، وكان بالرد على أبيه مولعًا، وكان أبوه له قاليا–:

إنّك لمُرٌ يا مرة. قال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة. قال: إنك لخبيث كاسمك. قال: أخبث مني من سماني. قال: ما أراك من الناس. قال: أجل، تشبّهني بمن ولدني. قال: قد يخرج الله الخبيث من الطيب. قال: كذلك أنت من أبيك. قال: قد حرصتُ على صلاحك جُهدي. قال: ما أوتيتُ إلا من عجزك. قال: ما هذا بأول كفرك النعم. قال: من أشبه أباه فما ظلم. قال: لأدعون الله عليك، فلعله أن يخزيك. قال: تدعو إذن عالمًا بك. قال: لا يعلم مني إلا خيرا. قال: مادح نفسه يقرئك السلام. قال: إنك –ما علمتُ– للئيم. قال: ما ورثتُه عن كلالة.

قال: لقد كنت مشؤمًا على إخوتك إذ أفنيتَهم. قال: ما أكثر عمومتي يا مبارك. قال: ولد الناس ولدًا وولدتُ عدوا. قال: الأشياء قروض، والقلوب

(1) تحفة المودود بأحكام المولود (ص:146-147).

تتجازى، ومن يزرع شوكًا لا يحصد عنبا. قال: أراحني الله منك. قال: قد فعل إن أحببت. قال: وكيف لي بذلك؟. قال: تخنق نفسك حتى تستريح. قال: سود اللهُ وجهَك. قال: بيّض الله عينيك. قال: قم من بين يديّ. قال: على أن تؤمنني لقاك. قال: لأمسكن من أمرك ما كنتُ مضيعا. قال: لا يحصل في يديك إلا الخيبة. قال: لعن الله أمًا ولدتك. قال: إذ لَقِحت منك. قال: أنت بأمك أشبه.

قال: ما كانت بشرٍّ من أم زوجها. قال: والله إن قمت إليك لأبطشن بك. قال: ما تراك أبطش مني. قال: وإن فعلتُ تفعل؟ قال: وأنت من ذلك في شك؟! فسكت وتركه[1].

ز-الإنفاق الكافي على الولد حسب اليسر والعسر.

وتكون النفقة على الغذاء والكساء والدواء والسكن والتعليم، وما يحتاجه كل ولد من نفقة مشروعة حسب الزمان والمكان.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾[البقرة:233].

قال الزمخشري: "من حق الولد على والده: أن يوسع عليه ماله؛ كيلا يفسق"[2].

(1) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (311 – 312).

(2) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (4/ 285).

غير أن هذا التوسيع يكون بقدر الحاجة؛ لأن توفر المال وكثرته بيده قد يفسده ويجلب إليه رفقاء السوء.

ويدخل في هذا: أن يدع لولده من الثروة -إن كانت له- ما يكفيهم عن الناس؛ فقد قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما ظن وفاته: (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)[1].

ومن حقهم في هذا الإنفاق: أن يكون من كسب حلال؛ لأن للكسب الحرام أثراً سيئًا على الطاعمين منه.

ح-تعليمهم التعليم النافع.

وهذا يشمل تعليمهم شؤون الدين في محاضنه الأمينة، ويشمل تعليمهم ما يحتاجون من علوم الدنيا؛ كالدراسة النظامية الموجودة في عصرنا؛ حتى لا يشبوا جهالاً بدينهم ودنياهم.

ويدخل في هذا أن يحرص الأب على تعليم أبنائه أحكام البلوغ وآدابه وما ينبغي عند حصوله.

وتحرص الأم على تعليم بناتها ما يتعلق بشؤون بلوغهن عندما يبلغن.

ويدخل في هذا تعليمهم لغة ديننا، خصوصًا من يعيشون في بلاد غير عربية، مع العناية بتعليمهم لغة البلد الذي يعيشون فيه.

---

(1) رواه البخاري (1295)، ومسلم (1628).

ويدخل في هذا: الحرص على متابعة تعليمهم، ومعرفة أحوال معلميهم، واختيارهم إن أمكن ذلك؛ كاختيار المدرسة، والمعلم الخاص.

قال عمرو بن عتبة يوصي مؤدب ولده: "يا أبا عبد الصمد، ليكن أول إصلاحك بني إصلاحك نفسك؛ فإن عيوبهم معقودة بعيبك، فالحسن عندهم ما فعلت، والقبيح ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم منه فيكرهوه، ولا تدعهم منه فيهجروه، روِّهم من الشعر أعفَّه، ومن الكلام أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، ولا تهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنبهم محادثة النساء، وروِّهم سير الحكماء، ولا تتكل على عذر مني، فقد اتكلت على كفاية منك، واستزدني بزيادة منهم أزدك"[1].

وقال عبد الملك للشعبي حين أخذه بتعليم ولده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة؛ فإنهم أسوأ الناس رِعة[2]، وأقلهم أدبًا وعلمًا، وجنبهم الحشم؛ فإنهم لهم مفسدة، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم تصح عقولهم، وتشتد قلوبهم، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضا، ويمصوا الماء مصا، ولا يعبوا عبًا، فإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليهم"[3].

(1) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:56).
(2) الرعة: التحرج والتوقي عَن الْمَحَارِم وَالْأَدب.
(3) تذكره الآباء وتسليه الأبناء (ص:57).

ط- الحرص على الصحة العقلية والنفسية والجسدية والسلوكية للأولاد.

ي-العدل بين الأولاد.

لأن تمييز بعضهم على بعض -فيما يجب فيه العدل-يؤدي إلى ملء القلوب بالحقد والحسد والكراهية للوالد أو الوالدة.

فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: نَحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، ثُمَّ أَتَى بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ: (**أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَهُ هَذَا؟**) قَالَ: لَا، قَالَ: (**أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمُ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَا؟**) قَالَ: بَلَى، قَالَ: (**فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ**)، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ مُحَمَّدًا، فَقَالَ: إِنَّمَا تَحَدَّثْنَا أَنَّهُ قَالَ: (**قَارِبُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**)[1].

ك-تزويج البنين إذا بلغوا وتاقوا إلى الزواج وعند الوالد قدرة على تزويجهم.

حتى لا يؤدي تركهم بدون تزويج إلى ذهابهم إلى الحرام.

وإن كان جمهور العلماء يرون عدم وجوب تزويج الابن على الوالد القادر، غير أن الحنابلة يرون الوجوب؛ لأن ذلك يدخل في النفقة الواجبة عليه، قال المرداوي: "يجب على الرجل إعفاف من وجبت نفقته عليه من الآباء والأجداد والأبناء وأبنائهم وغيرهم، ممن تجب عليه نفقتهم. وهذا الصحيح من المذهب. وهو من مفردات المذهب وما يتفرع عليها"[2].

(1) رواه مسلم (1623)، وهو في البخاري كذلك بغير هذا اللفظ.

(2) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (9/ 404).

وهذا في حق الأبناء وكذلك الحال في حق البنات؛ فإن على الأبوين أن يزوجوا البنات إذا جاء خطّاب أكفاء كرام من ذوي الخلق والدين، وكانت البنت راغبة في ذلك. بل لو سعى في البحث لها عن زوج صالح أو اختياره والعرض عليه فليس في ذلك حرج؛ فقد فعله كرام من الناس.

ومن الظلم: منع البنت من الزواج بمن ترضاه زوجًا لها وهو كفؤ صالح في دينه ودنياه.

ل-وصيتهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وقد ذكر القرآن الكريم وصية إبراهيم لبنيه، ووصية يعقوب لأبنائه، ووصايا لقمان لابنه، وقد حفلت كتب العلم بوصايا كثيرة من الآباء للأبناء على مختلف العصور.

وقد كتبت في هذا كتابًا بعنوان "وصايا والدية" جمعته فيه كثيراً من تلك الوصايا، والكتاب مطبوع.

ن-دوام العناية بهم، والحذر من ترك الاهتمام بهم ومتابعة أحوالهم.

ومن التفريط المذموم: أن يترك بعض الآباء أو الأمهات العناية بالأبناء والبنات إذا حصل بين الأبوين طلاق؛ فكم ضاع أو عانى كثير من الأولاد من آثار هذا التفريط في صغرهم، فولد ذلك عندهم الحقد والكراهية لمن ضيعهم؛ ولذلك قد يتكلم بعض الأبناء والبنات بهذا الألم في حال الكِبَر.

ص –الدعاء لهم.

وهذا يكون من الأبوين دائمًا في حال صغر الأولاد وكبرهم.

قال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[إبراهيم:40].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:74].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)[1].

2 – تربيتهم على الاستقامة على الدين.

فإذا كان الوالدان لا يغفلان عن العناية بحياة أولادهم الجسدية؛ فإن العناية بحياتهم الروحية على الطريقة المحمدية أهم وأولى؛ ولهذا جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأمر للآباء بأمر الأبناء بالصلاة صغارا؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)[2].

---

(1) رواه ابن ماجه (3862)، وأبو داود الطيالسي(2639)، وهو حسن.

(2) رواه أحمد(6689)، وأبو داود(495)،وإسناده صحيح.

3 -أن يكون الوالدان قدوة صالحة للأولاد في الأقوال والأفعال.

فالأب يكون حسن السيرة في البيت، مهذب اللسان، مستقيم السلوك، حسن السمعة بين الناس، وكذلك الأم، وتزيد على ذلك بأن تكون أسوة حسنة لبناتها في حشمتها وحيائها، وعفافها وحجابها، وحسن معاملة زوجها.

فالأولاد يقتدون بالآباء والأمهات حذو القذة بالقذة.

قال الشاعر:

مَشَى الطاوسُ يوماً باعْوجاجٍ ... فقلَّدَ شكلَ مِشيتهِ بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ؟ قالوا: ... بدأْتَ به ونحنُ مقلِّدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ ... فإنا إن عدلْتَ معدِّلوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ ... يجاري بالخُطى من أدبوه؟(1)

4-البعد عما يوحي إلى أمور الاستمتاع أمامهم، من ألفاظ أو حركات.

فإن هذا من الأدب الرفيع، والحياء المحمود، فليس من الأدب أن يتحدث الأب أو الأم في حضور الأبناء والبنات-خاصة البالغين-عن أمور المعاشرة الفراشية، والحياة الجنسية، أو يحصل من أحدهما حركات أو إشارات لما يتعلق بالعورة المغلظة.

ومن هذا الأدب كذلك: إبعاد الأولاد الصغار من فوق السنة الرابعة عن

(1) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (1/ 10).

غرفة النوم.

ومن هذا الأدب أيضًا: أن تكون الأصوات المتعلقة بالمعاشرة في غرفة نوم الوالدين بعيدة عن أسماع الأولاد، وذلك بأن يلتزم الأبوان خفض الصوت جداً عند الحديث عن هذا الموضوع أو ممارسة حركاته المسموعة.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**)[1].

قوله: (إن من أعظم الأمانة) على حذف المضاف أي: أعظم خيانة الأمانة (الرجل) على الحذف المضاف أيضًا أي: خيانة الرجل.

قال النووي: "وفي هذا الحديث: تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه؛ لأنه خلاف المروءة وقد قال ﷺ: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)..."[2].

وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: (**لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ: مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا**

(1) رواه مسلم (1437).

(2) انظر: شرح مسلم (9 – 10/ 250).

فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا) فَأَرَمَّ الْقَوْمُ[1] فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ: **(فَلَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانُ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ)**[2].

5-البعد عن التساهل في إبداء شيء من العورات والمفاتن أمام الأولاد، خصوصًا البالغين منهم.

فهناك آباء قد يظهرون أمام بناتهم بالسروال الداخلي الذي قد يحجّم العورة أو يصفها أو يشف عنها، وهناك أمهات قد يظهرن أمام أبنائهن البالغين بالألبسة الرقيقة الشفافة على المناطق الحساسة، أو تلبس الواحدة منهن الضيق من اللباس الذي يحجم ما تحته، أو البنطلون الذي يكشف تفاصيل الأعضاء، وتعتذر لنفسها بأنهم أولادها!

ولا تدري أن الشاب عندما يرى تلك المناظر تهيج شهوته، حتى ولو كانت تلك المرأة أمه أو أخته أو خالته أو غير ذلك من محارمه.

6-مراعاة مشاعرهم.

فمن أدب الوالدين مع الأولاد: أن يراعيا مشاعرهم. وهذا الأدب أمثلته لا حصر لها، ولكن يجمعها: الشعور بما يشعرون به، ومشاركتهم في أفراحهم

---

(1) سكتوا.

(2) رواه أحمد (27583)، والطبراني في الكبير (414)، قال الألباني -بعد أن ساق له بعض الطرق-: صحيح أو حسن على الأقل. انظر: آداب الزفاف (72).

المشروعة وإبداء السرور بذلك، ومشاركتهم في أحزانهم، والبعد عن فعل أو قول يؤدي بهم إلى الإحراج أو الخجل لاسيما أمام الناس.

فمن أمثلة هذا الأدب: ترك سرد تاريخ الأولاد الطفولي الذي يسبب لهم الخجل، والبعدُ عن لمزهم ببعض عيوبهم الخلقية أو الخلقية أو العقلية، والابتعادُ عن سبهم، والسخرية منهم، وشدةِ لومهم وتوبيخهم، والتوقع السلبي لهم في المستقبل، ومقارنتهم بالآخرين وتفضيل الآخرين عليهم، والتهديد المستمر لهم.

بل قد أثبتت بعض الدراسات النفسية أن بعض الخلل الشخصي الذي يحصل للأشخاص في حال الكبر من أسبابه: سوء التربية في الصغر؛ مثل شدة الصراخ عليهم، ومخاطبتهم بالألفاظ البذيئة، ووصفهم بألقاب الذم.

7-حسن معاملة الأولاد، وسلوك أحسن الطرق في تربيتهم والحياة معهم.

فمن حسن المعاملة: استعمال الأسلوب المناسب في علاج أخطائهم؛ كالسؤال عن الحامل على الخطأ، وإمكان علاجه.

ومن حسن المعاملة: خطاب الابن بالكلمات الحسنة: أنت ذكي، وأنت عاقل، وأنت جميل الخُلق، ومناداته بكنية أو لقب يحبه، وكذلك يقال مع البنت.

ومن حسن المعاملة: حسن الاستماع لاحتياجاتهم ورغباتهم ومعاناتهم،

وحسن الإصغاء إليهم حتى يكملوا الحديث، والبعد عن قطع التعبير عما في نفوسهم، وإبداء الأعذار عن سوء أفعالهم، فربما كانوا هم المصيبين.

ومن حسن المعاملة: إشعارهم بالحب والاحترام والاهتمام، وتنمية الجوانب الحسنة فيهم.

ومن حسن المعاملة: الحوار معهم، وإبداء التقدير لآرائهم ووجهات نظرهم، على أن يتسم الحوار بالهدوء والرفق، وقبول الحق ولو منهم[1].

يقول أديل فاير وإيلين مازلش: "عندما نعترف بمشاعر الولد نسدي له خدمة عظيمة. إننا نضعه أمام واقعه الداخلي، وإذ يكون واضحًا أمام ذلك الواقع يستجمع قوته ليبدأ الكفاح"[2].

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع الأولاد:

إن تمام أدب الوالدين مع أولادهما غاية حميدة، وهدف منشود لكل أب وأم حريصين على تربية أولادهما التربية الصالحة دينًا ودنيا، وهذه بعض الطرق المعينة على ذلك:

1- إدراك أهمية تربية الأولاد على الأدب الحسن.

إذا أدرك الوالدان أهمية هذا الأمر الكبير، واستشعرا أثره الجميل على حياة

---

(1) ينظر: مهارات التواصل مع الأولاد (45، 50-51) بتصرف.

(2) كيف تتحدث فيصغي الصغار إليك، وتصغي إليهم عندما يتحدثون(47).

أولادهما؛ سارعا إلى سلوك سبيله، وتحملا لأجله ما يقدران عليه من المشاق، واستمرا عليه بلا كلل.

2-العلم بآداب الإسلام وطرق التربية الناجحة.

إن معرفة الإنسان آداب الإسلام وفهمه الصحيح لاسيما ما يتعلق بتربية الطفل؛ يدعوه إلى تمريرها في سلوك أطفاله، وإذا انضاف إلى ذلك العلم بطرق التربية الحديثة وأساليبها المشروعة فهذا نجاح آخر؛ فنحن في واقع يفرض علينا الاعتناء بالأساليب الجديدة الصحيحة في مجال التربية؛ فأطفالنا متأثرون بعصرهم وآلاته ووسائل العيش فيه، والأساليب العتيقة قد لا تتم بها الفائدة المرجوة في ميدان البناء التربوي الناجح اليوم حتى يضاف إليها الطرق الجديدة في هذا المضمار الإنساني المهم.

3-توفر المحاضن التربوية الصالحة.

إن كمال الأدب لدى الأولاد لا يتم بدور الوالدين المربيينِ وحدهما، بل لابد أن يكون للمدرسة والمسجد والمعهد والجامعة ومركز التعليم وتحفيظ القرآن مشاركة محورية أساسية في تلقين الأطفال والشباب دروس الأدب الجم؛ حتى يكمل البناء التربوي والسلوكي للطفل أو الشاب المسلم.

4-البيئة المساعدة والأسرة المعاضدة.

إذا صلحت الأسرة، واستقام نهجها، وصلح الجيران والأقارب والمجتمع

الذي يحل فيه الأولاد -صغاراً وكباراً-؛ كان ذلك من أعظم المعينات على استقامة الأولاد على نهج الأدب القويم، والسلوك المستقيم.

5- كون الأبوين قدوة صالحة.

لا يُنكر دور صلاح الوالدين في العملية التربوية الصالحة، فكيف يرجو أبوان أن يتمسك أولادهما بالأدب وهما ليسا أسوة حسنة لهم في أقوالهما وأفعالهما، ففاقد الشيء لا يعطيه.

خامسًا: ثمرات الأدب مع الأولاد:

1- السلامة من الحساب والعقاب.

فمن بذل وسعه في تأديب ولده نجا عند الله تعالى، فمن لم يستقم من الأولاد بعد ذلك فلا لوم على والديه. قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[القصص:56].

2- السلامة من مساءلة الأولاد في المستقبل ومحاسبتهم.

فمن ضيع أولاده عن التأديب في الصغر لاموه ووبخوه في الكبر، ومن أدبهم سلم من ذلك.

3- المعافاة من الندم وحسرات الكبر.

فكم يذوق المقصرون من الآباء والأمهات من آلام الندم على تفريطهم حين يرون فساد أحوال أولادهم في كبرهم، ولا يستطيعون حينئذ تقويمهم بعد

فوات زمن التقويم.

قال الشاعر:

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ ... وَلَـنْ يُطِيْعَـكَ كَهْـلٌ حِـيْنَ يَكْتَهِـلُ
أَعْيَـا العَمُـودُ قَـدِيْمًا مَـنْ يُقَوِّمُـهُ ... وَالغُـصْنُ تَعْدِلُـهُ لـدْنًا فَيَعْتَـدِلُ[1]

و"قالوا: أطبع الطين ما كان رطبا، وأغمز العود ما كان لدنا. وقالوا: ما أشد فطام الكبير وأعسر منه رياضة الهرم"[2].

4-احترام الأولاد لآبائهم وأمهاتهم الذين يلزمون الأدب معهم.

وربما يذكرونهم بذلك في الكبر على جهة الإكبار والتحدث بالفضل فيعظم حبهم لهم.

5-برهم والسرور بطاعتهم كبارا.

"**قالت الحكماء**: من أدب ولده صغيراً سره كبيرا"[3].

وقال القاسمي: "إن الفتاة المتعلمة المهذبة فَخر لأَهْلهَا وَعون لبعلها، وَكَمَال لبنيها، أَهلهَا بهَا يفتخرون، وَأَوْلَادهَا بهَا يسعدون، وَمن ذَا الَّذِي لَا يسرّ فُؤَاده بابنته الأديبة الَّتِي تدبر الْأُمُور المعاشية بالمعرفة، وتدير الْحَرَكَة المنزلية

(1) الدر الفريد وبيت القصيد (8/ 312).
(2) تذكرة الآباء وتسليه الأبناء (ص:52).
(3) تذكرة الآباء وتسليه الأبناء (ص:52).

بالحكمة، ويجد فِي مجالستها أنيسًا عَاقِلا وسميراً كَامِلا)"[1].

سادسًا: آثار سوء الأدب مع الأولاد:

إن من أهمل الأدب مع أولاده جنى عواقب سيئة، منها:

1-المساءلة يوم القيامة، والخوف من سوء المصير.

قال رسول الله ﷺ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[2].

وعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)[3].

2-العقوق وتجرع غصص سوء التربية.

"فَمن أهمل تَعْلِيم وَلَده مَا يَنْفَعهُ وَتَركه سدى فقد أَسَاءَ إِلَيْهِ غَايَة الْإِسَاءَة، وَأكْثر الْأَوْلَاد إِنَّمَا جَاءَ فسادهم من قبل الْآبَاء، وإهمالهم لَهُم وَترك تعليمهم

(1) جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب(43-44).

(2) رواه البخاري (893)، ومسلم (1829).

(3) رواه البخاري (7150)، ومسلم(142).

فَرَائض الدّين وسننه، فأضاعوهم صغَارًا فَلم ينتفعوا بِأَنْفسِهِم، وَلم ينفعوا آبَاءَهُم كبارًا، كَمَا عَاتب بَعضهم وَلَده على العقوق فَقَالَ: "يَا أَبَت، إِنَّك عققتني صَغِيرا، فعققتك كَبِيرا، وأضعتني وليدا، فأضعتك شَيخا"[1].

3-فساد المجتمع، وكثرة الجريمة فيه.

4-ضياع مستقبل الأولاد.

5-الدعاء على الوالدين.

فكم من أبناء وبنات دعوا على والدِيهم حين لقوا مكاره الحياه بسبب تضييع آبائهم وأمهاتهم لهم.

سابعًا: نماذج مشرقة في الأدب مع الأولاد:

1-داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال وهب بن منبه: لما استخلف داود ابنه وعظه فقال: "يا بني، إياك والهزل؛ فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الإخوان. وإياك والغضب؛ فإن الغضب يستخف صاحبه. وعليك بتقوى الله وطاعته؛ فإنهما يغلبان كل شيء. وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء؛ فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء. واقطع طمعك عن الناس؛ فإنه هو الغنى. وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل. وعود نفسك ولسانك

(1) تحفة المودود بأحكام المولود (ص:229).

الصدق، والزم الإحسان. وإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل. وصل صلاة مودع، ولا تجالس السفهاء، ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين. وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك. وارج رحمة الله؛ فإنها واسعة وسعت كل شيء[1].

2-لقمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان:12-19].

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب(14/ 62).

3-جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: "دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أنه قال: يا بُني، اقبل وصيتي، واحفظ مقالتي؛ فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا، وتمت حميدًا. يا بني، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرًا، ومن لم يرضَ بما قسم الله عزَّ وجلَّ له اتَّهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلّة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عوراتُ بيته. يا بني، قُل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة؛ فإنها تزرعُ الشحناء في قلوب الرجال، يا بني، إذا طلبت الجود فعليك بمعادِنه؛ فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعًا وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب. يا بني، إذا زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار؛ فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها. قال علي بن موسى: فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي"[1].

(1) إيقاظ أولي الهمم العالية (ص:166)، تهذيب الكمال (5/ 90).

الأدب مع الأقارب

الحياة الإنسانية مبناها على الاجتماع والأُنس به، وفي هذا الاجتماع العام تربط بين أهله روابط، وتصل بينهم وشائج، تقوِّي اللحمة، وتعين على نوائب الدهر.

ومن أقوى تلك الروابط: رابطة القرابة من جهة النسب أو المصاهرة.

هذه الرابطة الحياتية تتعرض لعوامل القوة والضعف؛ فتقوى بالأدب والصلة والإحسان، وتضعف بالإساءة والقطيعة والهجران.

وقد تواطأ العقل والفطرة والشرع على الدعوة إلى تقوية هذه الرابطة الإنسانية، وإصلاح كل خلل يؤدي إلى ضعفها؛ لما لها من أهمية كبيرة وآثار حسنة في الحياة وبعد الممات.

ومما يدل على أهمية حسن القيام بها:

1 –أنها عادة حسنة تعارف عليها الناس مسلمهم وكافرهم، ورأوا أنها من الخصال الحميدة التي يمدح بها الإنسان.

فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ)[1].

2-أن الإحسان إلى ذوي القربى مما أُخذ الميثاق على بني إسرائيل للقيام به.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى﴾[البقرة:83].

3-أن الإحسان إلى الأقارب من الحقوق العشرة التي أمر الله بأدائها.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء:36].

4- أن القيام بحق الأقارب وصية الله تعالى ورسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والوصية لا تكون إلا بالأشياء العظيمة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك أن الموصِي هو الله ورسوله؟

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:151].

---

(1) رواه البخاري (1436)، ومسلم(123).

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: قَالَ (إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ثَلَاثًا، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ)[1].

5- أن الشريعة الإسلامية جعلت للقريب نصيبًا من مال قريبه بعد وفاته.

على تفاصيل تعرف في علم الفرائض، وكان قبل التقسيم الشرعي للإرث يوصي القريب لقريبه من ماله دون تحديد المقدار، كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:180].

وقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ [الأحزاب:6].

6- أن الشريعة الإسلامية جعلت صلة الرحم واجبة.

كما سيأتي معنا في نصوص كثيرة تدل على ذلك.

قال القاضي عياض: "ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. قال: والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها، لا يسمى قاطعًا، ولو قَصَّر عما يقدر

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد(60)، وابن ماجه(3661)، والبيهقي في الكبرى(7766)، والحاكم(7246)، وهو صحيح.

عليه وينبغي له لا يسمى واصلًا"(1).

7- أن الإسلام دعا إلى حفظ الأنساب من أجل صلة الأقارب وتفقد أحوالهم.

عن إِسْحَاقَ بْنِ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَمَتَّ لَهُ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ ، فَأَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ لِرَحِمٍ إِذَا قُطِعَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَلَا بُعْدَ لَهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً)(2).

وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: "تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكم ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكم، وَاللهِ إِنَّهُ ليكونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ الشيءُ وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بينه وبينه مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحم لأوزَعَهُ ذَلِكَ عَنِ انتهاكه"(3).

8- أن أجر الإحسان إلى الأقارب في الشرع مضاعف.

عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ صَدَقَتَكَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَإِنَّهَا عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) وفي رواية: (الصَّدَقَةُ

(1) شرح النووي على مسلم (16/ 113).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد(73)، والبيهقي(20582)، وأبو داود الطيالسي(2880)، والحاكم (301)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا" ووافقه الذهبي.

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد(23) بإسناد حسن.

عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)[1].

9- أن شرعنا دعا إلى صلة الأقارب حتى ولو كانوا كفارا.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: (نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ)[2].

ولغلبة الحياة المادية والنفعية اليوم، وتأثر المجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الغربية؛ غدا القيام بحق الأقارب وصلتهم ومعرفة البعيد منهم شعيرة مهجورة، إلا ما بقي في بعض المجتمعات البدوية التي لازالت تحافظ على هذه الرابطة على تفاوت بين أهلها فيها.

فلتقوية هذه الرابط في مجتمعنا المسلم، وفصم أسباب القطيعة، سنتحدث عن الأدب مع الأقارب في النقاط الآتية:

أولاً: تعريفات مهمة:

أ-الأقارب:

الْقَرِيب: الداني في النّسَب وجمعه أقرباء وقرابى وأقارب، والْقَرَابَة: الدنو

(1) رواه أحمد (16233)، والنسائي (2582)، وابن ماجه(1844)، والبيهقي (7734)، وابن حبان (3344)، والحاكم (1476)، والطبراني في الوسيط(3556) والكبير(6206)، وصححه ابن حبان وابن خزيمة وغيرهما.

(2) رواه البخاري (2620)، ومسلم (1003).

فِي النّسَب، يُقَال: هم ذَوُو قَرَابَتي وذوو قرَابَة مني، وأقارب الرجل، وأقربوه: عشيرته الأدنون[1].

ويمكن إطلاق هذا اللقب على: الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأجداد والجدات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولاد كل من سبق.

ب-الرحم:

الرَّحِم: القرابة أَو أَسبَابهَا، والجمع: أرحام، وذوو الرحم هم: الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب. وفي علم الفرائض: ذوو الْأَرْحَام: الْأَقَارِب الَّذين لَيْسُوا من الْعصبَة وَلَا من ذَوي الْفُرُوض؛ كبنات الْإِخْوَة وَبَنَات الْأَعْمَام[2].

قال النووي: "واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها فقيل: هو كل رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما. فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال. وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ: **(ثم أدناك أدناك)** هذا كلام القاضي. وهذا

(1) ينظر: المعجم الوسيط (2/ 723)، المحكم والمحيط الأعظم (6/ 389).

(2) ينظر: المعجم الوسيط (1/ 335)، النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 210).

القول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه الحديث السابق في أهل مصر: (**فإن لهم ذمة ورحمًا**) **وحديث**: (**إن أبر البر أن يصل أهل ودِّ أبيه**) مع أنه لا محرمية، والله أعلم"[1].

ج-صلة الرحم:

صلة الرحم: تعني: الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم، والصبر على زللهم.

ولبعض العلماء تفصيل لذلك:

قال النووي: "وأما صلة الرحم فهي: الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك"[2].

وقال ابن الأثير: "صلة الرحم. وهي: كناية عن الإحسان إلى الأقربين، من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم. وكذلك إن بعدوا أو أساءوا. وقطع الرحم ضد ذلك كله"[3].

وقال ابن حجر: "قال القرطبي: الرحم التي توصل: عامة وخاصة؛ فالعامة رحم الدين، وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق

---

(1) شرح النووي على مسلم (16/ 113).

(2) شرح النووي على مسلم (2/ 201).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 191).

الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة فتزيد بالنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك"[1].

ثانيًا: تعريف الأدب مع الأقارب:

من خلال التعريفات المهمة السابقة تتبين لنا جهة القربى، ويظهر كذلك شيء من الأدب معهم.

ومن خلال ذلك يمكن أن نقول: إن الأدب مع الأقارب هو: لزومُ طريقة الإحسان إليهم، والبعدُ عن إيذائهم والإضرارِ بهم، والصبرُ على ما يأتي منهم من المكروه المحتمل، يستوي في ذلك القول والفعل، والمحسوس والمعنوي من: الإحسان أو الإيذاء أو الصبر.

وسيتضح ما أُجمل هنا في صور الأدب.

ثالثًا: أسباب العناية بالأدب مع الأقارب:

الحديث عن الأدب مع الأقارب حديث ذو أهمية كبيرة تدعو إليه أسباب كثيرة، منها:

1- أن الأدب معهم عمل صالح دعا إليه الإسلام.

فهو أمر عظيم أمر الله تعالى به، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[النحل:90].

---

(1) فتح الباري لابن حجر (10/ 418).

وقال سبحانه: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الروم:38].

2-أن الأقارب مقدمون على غيرهم في وجوه الإحسان وإسداء الفضل.

وهذا يدعو إلى العناية الكبيرة بالأدب معهم ومعرفة ما لهم.

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَى، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: 92]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَى، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا، يَا رَسُولَ اللهِ، حَيْثُ شِئْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ) فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[1].

قال ابن هبيرة: "وإنما كان لهذا الإنفاق مزية؛ لأن المنفق آثر الله تعالى فيه على هواه، وأبو طلحة وإخراجه بيرحاء في سبيل الله؛ فإنه أنفقها نفقة دارّة، وأراد تعيين مصرفها إلى رسول الله ﷺ، فاختار له ﷺ أحسن المصارف؛ لأنه ﷺ أراد أن يجمع له بين الصلة والصدقة، فقال: (**اجعلها في الأقارب**)؛ ليكون

(1) رواه البخاري (2318)، ومسلم(998).

متصدقًا وواصلًا رحمه"[1].

وقال ابن عبد البر: "وفيه دليل على أن الصدقة على الأقارب الفضلاء من أعمال البر؛ لأن رسول الله ﷺ لا يشهد إلا بالأفضل من الأعمال. وقد قالوا: الصدقة على الأقارب صدقة وصلة. وقد فضل رسول الله ﷺ الصدقة على الأقارب على العتق؛ بدليل حديث بكير بن الأشج عن سليمان بن يسار عن ميمونة قالت: كانت لي جارية فأعتقتها، فدخل على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: (**آجرك الله، لو أعطيتها إخوانك كان أعظم لأجرك**)"[2].

وعن عمر بن حفص القرشي عن عطاء قال: "الدرهمٌ أضعه في قرابة أحب إلي من ألف أضعها في فاقة. قال قلت: يا أبا محمد، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟ قال: وإن كان أغنى منك"[3].

3 – أن إساءة المرء إلى أقاربه أعظم من إساءته إلى غيرهم.

فيأتي الحديث عن الأدب مع الأقارب للتحذير من هذه الإساءة.

ومن كانت إساءته إلى أقاربه، وإحسانه إلى غيرهم فهو مذموم بين الناس، لا منزلة له عند أقاربه حيًا أو ميتا.

قال الشاعر:

---

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (5/ 82).

(2) الاستذكار (8/ 599).

(3) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (ص:83).

وما خيرُ من لا ينفعُ الأهلَ عيشهُ   وإنْ مـاتَ لـم يجْـزَعْ عليـه أقاربُـهْ
كَهامٌ عـنَ الأقـصى كليـلٌ لـسانهُ   وفي بـشر الأدْنـى حِـدادٌ مخالبُـهْ[1]

وَقَالَ آخر:
فَتى كان لِابْنِ الْعم كالذئب إِن رأى   بِـصَاحِبِهِ يَوْمًـا دَمًـا فَهُـوَ آكلـهْ[2]

4- أن عداوة الأقارب شديدة ودائمة.

وقد قالوا: أعداؤكم أكفاؤكم. والأقارب عقارب وأمسهم بك رحمًا أشدهم لك لدغا.

وكان ابن هبيرة يقول: اللهمّ احفظني من عداوة الأقارب.

وقال طرفة بن العبد:
وظُلـمُ ذَوي القُرْبَـى أَشَـدّ مَـضاضَةً   على المَرءِ مِنْ وَقـعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[3]

وقيل: "ثلاث لا يستصلح فسادهن بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، والتحاسد بين ذوي الأكفاء، والركاكة في الملوك"[4].

و"كان عبد الله بن العباس صديقًا لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يومًا مغتاظًا. فقال له: مالك؟ قال: لقيني فلان - لرجل من أهله - فشتمني وآذاني.

(1) حماسة الخالديين (ص:95).

(2) المستقصى في أمثال العرب (1/ 299).

(3) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 436).

(4) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص:392).

فقال له: هوّن عليك؛ فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرع إليها من ابن عم دنِّي، إلى ابن عم سريّ، فهوّن عليك"[1].

5 – عظم الحاجة إليهم في ظرف من ظروف الزمان.

فالقريب محتاج إلى قريبه في مستقبله وإن استغنى عنه في حاضرة، فالدهر قُلّب، والقريب لقريبه عدة ونصرة وحماية وعون.

قال الغزالي: "وأما الأقارب فهم أكثر أولاد الرجل وأقاربه، كانوا له مثل الأعين والأيدي، فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله، وكل ما يفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة"[2].

وقال الشاعر –ذامًا من ترك أقاربه وقت الرخاء واحتاج إليهم وقت الشدة–:

فأما إذا عضّتْ بك الحربُ عضّةً ... فإنّك معطوف عليك رحيمُ
وأما إذا آنستَ أمنًا ورخوةً ... فإنّك للقربى ألدّ خصيمُ

وقال شاعر آخر:

إذا أخصبتمُ كنتمْ عدوًّ ... وإن أجدبتمُ كنتمْ عيالا[3]

---

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:166).
(2) إحياء علوم الدين (4/ 104).
(3) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 440).

6- غلبة المادية والمصلحية في الحياة المعاصرة، وكثرة هموم العيش اليومي.

وقد أوصل ذلك بعض الناس إلى قطع أقاربه وإيثار البقاء وحده ولمصالحه فقط.

7- ما في الأدب مع الأقارب من ثمرات حسنة.

8- ما في ترك هذا الأدب معهم من آثار سيئة.

فهذه الأسباب وغيرها تدعو القريب إلى لزوم الأدب مع أقاربه.

رابعًا: صور من الأدب مع الأقارب:

هناك صور كثيرة للأدب مع الأقارب، منها:

1- دعوتهم إلى الخير بالرفق واللين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ص قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: (يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا)[1].

(1) رواه البخاري (2753)، ومسلم (204).

2 – الإحسان المستمر إليهم بالقول والعمل.

والإحسان: فعل ما ينبغي من المعروف، فكل ما يكون القريب به حسنًا سعيداً واستطاع قريبه صنع ذلك به؛ فهو من الإحسان المرغّب فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾[النساء:36].

وإذا كان الإحسان محموداً مع كل أحد، فإن الأقربين أولى به، ومن كان إحسانه إلى الأبعدين ويترك الأقربين فإنه مذموم، قال العرب في ذلك في المثل: "غَمَامُ أَرْضٍ جَادَ آخرينَ"،

يضرب لمن يُعطي الأباَعِدَ ويترك الأقارب[1].

ومن الإحسان إليهم: النفقة عليهم وهي بين واجبة ومستحبة، على تفصيل في ذلك عند الفقهاء.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[البقرة:215].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾[البقرة:177].

---

(1) مجمع الأمثال (2/ 62).

ومن الإحسان: الهدية؛ فقد قال النبي ﷺ: (**تَهَادُوْا تَحَابُّوا**)[1].

3 – نصرتهم في الحق من غير ظلم ولا محاباة.

فإذا كان من حق المسلم على المسلم أن ينصره، فالقريب من باب أولى.

فخذلان الأقربين مع القدرة على نصرتهم إساءة كبيرة.

وربما يأتي نصر الإنسان من البعيد وخذلانه من القريب، ففي المثل: "رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لَيْسَ بابْنِ عَمٍّ.

هذا يحتمل معنيين: أحدهما أن يكون شكاية من الأقارب، أي: رب ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك، فيكون كأنه ليس بابنِ عم، والثاني أن يريد رُبَّ إنسان من الأجانب يهتم بشأنك ويستحي من خذلانك فهو ابن عم مَعنىً وإن لم يكن ابن عم نسبًا، ومثله في احتمال المعنيين قولهم: "رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك"[2].

وأما نصر الأقارب في الباطل أو شهادة الزور لهم فهذا منهي عنه.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا**﴾[النساء:135].

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ**

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد(594) وهو صحيح.

(2) مجمع الأمثال (1/ 306).

الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾[المائدة:106].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[الأنعام:152].

4- العفو عنهم والحلم عليهم والصبر على أذاهم وكظم الغيظ على زللهم.

وهذا من أعظم صور الأدب؛ فإن المرء قد يهون عليه بذل معروفه لأقاربه، ولكن احتمال أذاهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان صعب على النفوس، لكن أنفس المؤمنين والكرام الصابرين تحتمل ذلك؛ طلبًا للمآلات الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:22].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن مسطح بن أثاثة كان ممن خاض في الإفك، وكان قريبًا لأبي بكر، وكان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ينفق عليه، فلما حصل منه ما حصل قال أبو بكر: "وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[النور: 22]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ

أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا"[1].

وقال المقنع الكندي:

واذا رُزِقْتَ مِنَ النَّوافِلِ ثَرْوَةً ... فَامْنَحْ عَشيرَتَكَ الأَدَانِي فَضْلَها
واسْتَبْقِها لِدِفاعِ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وارفُقْ بنَاشِيها وطَاوِعْ كَهْلَها
واحْلِم إذا جَهِلَتْ عَليكَ غُواتُها ... حتى تَرُدَّ بِفضلِ حِلْمٍ جَهلَهَا
واعلَم بأَنَّك لا تكُونُ فَتاهُمُ ... حتى تُرَى دَمِثَ الخَلائقِ سَهْلَها[2]

5- مراعاة مشاعرهم والبعد عن جرح نفوسهم.

فمراعاة المشاعر من الآداب العليّة التي لا يتحلى بها إلا الأفذاذ من الناس الذين لهم أرواح حية، ونفوس زكية، وعقول حكيمة.

فعلى القريب أن يمنح أقاربه من هذا الأدب؛ فيكون مشاركًا لهم في أفراحهم وأتراحهم، مختاراً لألفاظه في سؤالهم وجوابهم، ممسكًا لسانه عن الكلمات ونفسه عن الأساليب التي تجرح مشاعرهم، بعيداً عن الثقالة والنظر إلى مصلحة نفسه وإرضائها واستيفاء كامل حقها حتى ولو كان في ذلك كسر نفوس أقاربه، وجرح خواطرهم.

(1) رواه البخاري (4757)، ومسلم(2770).
(2) تعليق من أمالي ابن دريد (ص:84).

وليتأمل العاقل في هذا الأدبِ هذا الإرشادَ القرآني الفخم: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[النساء:8].

والمعنى: "﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة المواريث ﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾ أي: الأقارب غير الوارثين بقرينة قوله: ﴿الْقِسْمَةَ﴾؛ لأن الوارثين من المقسوم عليهم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ أي: المستحقون من الفقراء ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نَصَب؛ فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم"[1].

6-الحفاظ على سلامة القرابة من أسباب الوهن والتفرق، وتحمّل بعض المكاره اليسيرة لأجل هذا الهدف الكبير.

"**ومما يروى**: أن رجلاً من العرب قتل ابن أخيه، فدُفع إلى أخيه ليقتاد منه فلما أهوى بالسيف أرعدت يداه، فألقى السيف من يده وعفا عنه، وقال: -والبيتان في الحماسة -:

أقولُ لِلنفسِ تَأسَاءً وتَعْزِيةً ... إحْدى يَدَيَّ أصابَتْني ولم تُرِدِ

كِلاهُما خَلَفٌ مِن فَقْدِ صاحبه ... هذا أخي حينَ أَدْعُوهُ وذا وَلَدِي

وفي مثل هذا المعنى يقول الحارث بن وعلة الذهلي - وهي من أبيات

(1) تفسير السعدي (ص:165).

الحماسة -:

قَـوْمِي هُـمُ قتلـوا أُمَـيْمَ أخـي ... فــإذا رَمَيْــتُ يُـصِيبُني سَــهمِي

فلِـئنْ عَفَـوْتُ لأعْفُـوَنْ جَلَـلاً ... ولـئنْ سَـطوتُ لأُوهِـنَنْ عَظْمـي"[1]

7- التعاون معهم على البر والتقوى.

وهذا مما يقوي رابطة القرابة، ويقرب النفوس بعضها إلى بعض.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:2].

"ومما يروى في معنى حث الأقارب على التعاون: أن أكثَمَ بنَ صيفيٍّ حكيمَ العرب دعا أولاده عند موته، فاستدعى بضِمامةٍ من السهام- أي: حزمة منها، لغة في الإضمامة- وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها، فلم يقدر واحد على كسرها، ثم بددها وتقدم إليهم أن يكسروها، فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين، ليعجز من ناوأكم- أي: عاداكم- عن كسركم. . . وقال الشاعر في هذا المعنى:

إنَّ القِـدَاحَ إذا اجـتمعْنَ فَرَامَهـا ... بالكَـسرِ ذو حَـردٍ وبَطْـشٍ أَيِّـدِ

عَـزَّتْ فلَـمْ تُكْسَرْ، وإن هِـيَ بُـدِّدَتْ ... فــالوَهْنُ والتكْـسِيرُ لِلمُتبَـدِّدِ

وقال آخر في هذا المعنى:

---

(1) الذخائر والعبقريات (1/ 38).

إذا مــــــا أرادَ اللهُ ذُلَّ قبيلــــــةٍ رَمَاهـا بتـشتيتِ الهـوى والتَّخـاذلِ"[1]

8- تـوقير كبيـرهم، ومعرفـة حـق عـالمهم وذي المكانـة فـيهم، واسـتماع نصائحهم.

ونحن في زمن قل أن يشاهد ذلك في الأقارب؛ فأزهد الناس في العالم أهله، واحترام الكبار -الأقارب والأباعد- قد تلاشى بين بعض الشباب.

قـال رسـول الله ﷺ: (لَـيْسَ مِنَّـا مَـنْ لَـمْ يَـرْحَمْ صَـغِيرَنَا، وَيَعْـرِفْ حَـقَّ كَبِيرِنَا)[2].

وعند الطبراني: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)[3].

9-الحرص على تعميق أسباب المودة معهم.

لما لذلك من الآثار الحسنة بين الأقارب؛ فقد قيل: "القرابة محتاجة إلى المودَّة، والمودَّة أقرب الأنساب"[4].

وربما وجد الإنسان المودة في الأباعد، والكراهية في الأقارب!!

---

(1) الذخائر والعبقريات (1/ 38).

(2) رواه أحمد (6733)، والحاكم (7353)، وهو صحيح.

(3) مكارم الأخلاق للطبراني (ص:367).

(4) الذخائر والعبقريات (1/ 49).

وهذا مما جعل بعض الناس يرى أن القرابة الحقيقية هي المودة، وهي قد تجيء من البعيد ولا تأتي من القريب.

كَتَبَ أَبُو رِفَاعَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ: "أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْكَرَمَ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ، وَهُوَ أَقْرَبُ عِنْدَ الْكَرِيمِ وَسِيلَةً مِنَ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَرِيمَ كَيْفَ يُجْدِي عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا، وَاللَّئِيمُ مَا يَنْفَعُكَ وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا، فَالْكَرَمُ سَبَبٌ مِنَ الْكِرَامِ مَوْصُولٌ، يَرْتَعُونَ إِلَيْهِ وَيَتَعَاطَفُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، وَأَقْرَبُ الْأَنْسَابِ، وَإِنَّمَا عَظُمَتِ الْقَرَابَةُ لِعَطْفِهَا، فَأَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْكَ، وَلِذَلِكَ أَقُولُ:

وَلَقَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ سَبَرْتُهُمْ ... وَبَلَوْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا ... وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ"[1]

وقال الشاعر:

ورُبَّ أخ لم يدنه منك والدٌ ... أبرُّ من ابن الأمِّ عند النوائبِ
ورُبَّ بعيدٍ حاضرٍ لك نفعه ... ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثل غائبِ

وقال آخر:

ولا خيرَ في قُربى لغيرك نفعُها ... ولا في صديق لا تزال تعاتبُهْ
يخونُك ذو القربى مراراً وربمّا ... وفي لك عند الجهد من لا تناسبُهْ[2]

(1) شعب الإيمان (11/ 337).

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:165).

10 – التغاضي والتغافل عن المساوئ ونسيان المعايب.

وهذا من أخلاق العظماء، وأسباب بقاء المودة ودوام العشرة الطيبة بين الأقرباء.

قال ابن حبان: "من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب؛ كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء، ومن لم يدار صديق السوء كما يداري صديق الصدق ليس بحازم"[1].

وقال الشاعر:

ولا أدفَع ابنَ العمّ يمشي على شَفًا ... ولو بلغَتْني من أذاهُ الجنادِعُ[2]
ولكن أُواسيهِ وأنسَى ذنوبَه ... لترجِعَه يومًا إليَّ الرَّواجِعُ
وحسبُك من ذُل وسوء صنيعةٍ ... معاداةُ ذي القُربى ولو قيل قاطِعُ
فألْبس ثراكَ الأهلَ تسلمْ صدورُهم ... فلا بدَّ يومًا أن يروعَك رائِعُ
فتبلُوَ ما أسلفتَ حتَّى تردَّه ... إليك الجوازي وافراً والصنائِعُ
فإن تكُ تعفُو يُعفَ عنك وإن تكن ... تُقارِعُ بالأخرى تُصبْكَ القوارِعُ[3]

---

(1) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:72).

(2) **جنادع الشر**: أوائله، واحدها جندعة، **وأصل الجنادع**: دوابّ تكون فِي حجرة الضّباب فإذا جاء المضبّب فرآها، **قَالَ**: هذه جنادعه. أمالي القالي (2/ 233).

(3) حماسة الخالديين (ص:37). **قال المرزوقي** في شرح ذلك: "قوله: "أواسيه" أي: أجعله =

11- المسارعة إلى المصالحة إن حصلت مخاصمة ومهاجرة.

وهذا الأدب يصلح النفوس، ويبعد عنها نماء العداوة والقطيعة؛ لأن الخصام بين الأقارب إذا لم يصلح نما وأثمر ثمرات مرّة.

" وقف أمية بن أبي الأسكر على ابن عم له فقال:

نشدتُك بالبيتِ الذي طاف حولَه ... رجالٌ بَنوْه من لؤيٍّ بن غالبِ

فإنك قد جرّبتني فوجدتني ... أُعينك في الجُلّى وأكفيك جانبي

وإن دبَّ من قومٍ إليك عداوةٌ ... عقاربُهم دبّت إليهم عقاربي

قال: نعم، كذلك أنت. قال: فما بال مئبرك[1] لا يزال إليّ دسيسا[2]؟ قال: لا أعود. قال: قد رضيت، وعفا الله عما سلف"[3].

إسوة نفسي، فأقاسمه مالي وملكي: يقول: لكني أتناسى ذنوبه وهفواته، وأتغابى جرائمه وزلاته، وأحسن التأتي في أثناء ذلك لمواساته، عند ما أنتظر من فيئته وعطفته، حتى يرده إلى ما كان عليه من قبل دواعي الأحوال، وتشابك الأرحام، ورواجع العقب، ولواحق السبب. وهذا الذي وصفه هو الغاية في الإبقاء والاستبقاء.

وحسبك من ذلٍ وسوء صنيعةٍ ... مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

يقول: كافيك من سوء الفعل واكتساء الذل، أن تناوئ أقاربك وإن كانوا قاطعين عاقين، مهاجرين مصارمين. وإنما قال "من ذلٍ" لأن عز الرجل بعشيرته، ومن أمات نفسه الحظ منهم فقد ذل" شرح ديوان الحماسة (ص:293).

(1) المئبر: الإبرة الْكَبِيرَة.

(2) دسيسا: مخفيا. أو داخلا.

(3) العقد الفريد (2/ 176).

12- التواضع ولين الجانب، مهما ارتفع شأن الإنسان في دِين أو دنيا.

وهذا أدب يحبب القريب إلى قريبه، ويجعله في المنزلة الرفيعة.

قال الشاعر:

من كان يأملُ أن يسودَ عشيرةً ... فعليه بالتقوى ولين الجانبِ
ويغض طرفًا عن مساوي من أسى ... منهم ويحلم عند جهل الصاحبِ[1]

13-زيارتهم وترك قطيعتهم وهجرانهم.

خاصة إذا كان لذلك مناسبة؛ كمرض أو قدوم من سفر أو غير ذلك.

حتى ولو قطعوا وهجروا، فلا يعاملون بمثل ذلك.

قال النَّبيُّ ﷺ: (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)[2].

وليس صحيحًا ما قال القائل:

وَلَستُ بِهَيّابٍ لِمَن لا يَهابُني ... وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ ما لا يَرى لِيا
فَإِن تَدنُ مِنّي تَدنُ مِنكَ مَوَدَّتي ... وَإِن تَنأَ عَنّي تَلقَني عَنكَ نائِيا[3]

14- تركُ المنّة عليهم، والبعدُ عن مطالبتهم بالمثل من الفضل.

---

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 583).

(2) رواه البخاري (5991).

(3) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (8/ 13).

قال الشاعر:

وصـاحبٍ سـبقتْ منـهُ إلـيَّ يَـدٌ أبطـتْ عليــهِ مكافـاتِي فَعَـادانِي

لمَّـا تـيقَّنَ أنَّ الـدَّهرَ حَـاربني أبـدَى النَّدامَـةَ فيمـا كـانَ أولانِـي

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ مِنْ نِعَمٍ لـيسَ الكـريمُ إذا أسْـدَى بمنَّـانِ[1]

15 - تجنب الشدة في العتاب.

فإذا وجد ما يستدعي اللوم فليكن بالأسلوب الحسن، والكلمة غير الجارحة، وفي المكان والزمان المناسبين؛ لأن العتاب إذا كان بشدة وفي غير مكانه وزمانه أفسد وزرع العداوة والقطيعة.

16 - الزواج منهم، إذا كان الزواج يعمق صلة القربى، ويقوّي رابطتها.

كتب أردشير إلى رعيّته: ... وتزوّجوا في الأقارب؛ فإنه أمس للرحم، وأثبت للنسب"[2].

وأما إذا كان الزواج سيسبب القطيعة والمشكلات بين الأقارب فلينأ المرء عن ذلك؛ فقد

قال ابن حزم في الزواج من الأصدقاء:" لا تصاهر إلى صديق ولا تبايعه، فما رأينا هذين العملين إلا سببًا للقطيعة، وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيداً

---

(1) حماسة الظرفاء (ص:25).

(2) العقد الفريد (1/ 40).

للصلة، فليس كذلك؛ لأن هذين العقدين داعيان كل واحد إلى طلب حظ نفسه، والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً، فإذا اجتمع طلب كل امرئ حظ نفسه وقعت المنازعة ومع وقوعها فساد المودة[1].

17- البعد عن الأقارب بالمكان إذا كان البعد هو طريق المودة وحسن الصلة والسلامة من نيران العداوة.

فالتجاور والقرب قد يورث الضغائن والأحقاد والحسد، خاصة إذا تفاوتت المنازل الدنيوية بين الأقارب، فأحسن دواء من هذه الأدواء هو البُعد.

قال البرقوقي: "وقد ورد في علاج العداء الذي يحدث بين الأقارب: وهو علاج مسكن. . . ولكنه لا علاج غيره - قول أكثم بن صيفي حكيم العرب: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة. . وكتب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري: مُرْ ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا. . .

وقال في هذا المعنى وزاد شاعر جاهلي من بني أسد - وكان له ابن عم يترصد له مواقع السوء -:

داوِ ابْنَ عمِّ السُّوءِ بالنَّأيِ والغِنى ... كفَى بالغِنى والنَّأيِ عنهُ مُداوِيا

يَسُلُّ الغِنى والنَّأيُ أدْواءَ صَدرِه ... ويُبْدي التَّداني غِلْظَةً وتَقاليا"[2]

قال الغزالي -معلقًا على قول عمر-: "لأن التجاور يورث التزاحم على

(1) مداواة النفوس (1/ 368).

(2) الذخائر والعبقريات (1/ 47).

الحقوق، وربما يورث الوحشة، وقطيعة الرحم"[1].

وفي المثل: "فَرِّقَ بين مَعْدٍّ تَحَابَّ. قَال الأَصمَعي: يقول: إن ذوي القَرابَة إذا تراخت ديارهم كان أَحْرَى أن يتحابوا وإذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا"[2].

خامسًا: طرق الوصول إلى الأدب مع الأقارب:

الأدب مع ذوي القربى هدف حميد، ويعين على الوصول إليه طرق، منها:

1 – معرفة أن ذلك شعيرة دينية فيها الثواب وفي تركها العقاب.

فالمؤمن التقي يبادر إلى هذا العمل الجليل؛ طلبًا لثواب الله، وهروبًا من عقابه، حتى ولو كان في ذلك مخالفة للنفس والهوى؛ فإنه ينتصر عليهما ويجاهدهما حتى يوفي بحق هذا المطلب الشرعي.

2 –أن يعلم الإنسان أن ضعف رابطة القرابة خسارة، وأن المعادة بين أهلها بلاء مستطير، من ربح فيها خسر، ومن انتصر هُزم، ومن شفى غيظ النفس فقد آلمها وأوجعها.

قال المتنبي في ذلك:

وكيف يَتِمُّ بأسُكَ في أُناسٍ   تُصِيبُهمُ فَيُؤْلِمُكَ المُصَابُ

وقال البحتريّ:

(1) إحياء علوم الدين (2/ 216).

(2) مجمع الأمثال (2/ 68).

وفِرسانِ هَيْجاءٍ تَجِيشُ صدُورُها ... بأحقادِها حتى تضيقَ دُرُوعُها
تُقتِّلُ من وِتْرٍ أعَزَّ نُفوسِها ... عليها بأيْدٍ ما تكادُ تُطيعُها
إذا احْترَبتْ يوْمًا ففاضَتْ دِماؤُها ... تَذكَّرَتِ القُرْبى ففاضتْ دموعُها
شَوَاجِرُ أرِمَاحٍ تَقْطَّعُ بَيْنَهَا ... شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوْعُهَا

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين تصفح القتلى يوم الجمل -: شفيت نفسي، وجدعت أنفي(1).

3 -استمرار التواصل واللقاءات، والبعد عن الهجر والقطيعة.

فإن الاجتماعات تجدد ما اندرس من الود وقوة القربى، والتواصل يقوي وشائج القرابة.

وأما التهاجر والقطيعة المقصودة وغير المقصودة فإنها تذبل عروق شجرة هذه الرابطة حتى تؤدي بها إلى الموت، ونسيانِ أن يكون للقاطع والمقطوع ذوو قربى.

4 -التفكر في الثمرات الحسنة المترتبة على الأدب مع ذوي القربى.

فإن ما كان له أثر حسن فإن ذلك يدعو العقلاء إلى سلوك طريقه للظفر بتلك الآثار الحميدة.

5 -التأمل في العواقب الوخيمة الناتجة عن سوء الأدب مع الأقربين.

(1) الذخائر والعبقريات (1/ 46)، نهاية الأرب في فنون الأدب (7/ 97).

فمن نظر في تلك الآثار السيئة نظرة عاقل متيقظ تجنب أسبابها، وغدا موفيًا بحق ذوي القربى.

سادسًا: ثمرات الأدب مع الأقارب:

الأدب مع الأقارب بمعناه العام له ثمرات جليلة دنيوية وأخروية تعود على من تحلى به، فمن ذلك:

1 – حصول القوة والنصرة.

فمن أحسن إلى أقاربه بإيصال الخير لهم، وتحمل أذاهم، وصبر النفس على معوج أخلاقهم؛ كسب ودهم، ومتى كسب ودهم فقد صارت له قوة تنصره عند الحاجة، وتقويه عند الضعف.

قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

وإنّ ابن عمِّ المرء فاعلم جناحُه ... وهل ينهضُ البازيْ بغير جناحِ[1]

وقال آخر:

إِذَا العِبْءُ الثَّقِيْلُ تَوَزَّعَتْهُ ... أَكُفُّ القَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ[2]

قال الماوردي: " تعاطف الأرحام، وحمية القرابة يبعثان على التناصر

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:166).

(2) الدر الفريد وبيت القصيد (2/ 308).

والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة؛ أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيًا من تسلط الغرباء الأجانب... ولذلك حفظت العرب أنسابها لما امتنعت عن سلطان يقهرها، ويكف الأذى عنها؛ لتكون به متظافرة على من ناوأها، متناصرة على من شاقها وعاداها، حتى بلغت بألفة الأنساب تناصرها على القوي الأيِّد، وتحكّمت به تحكم المتسلط المتشطط"[1].

2-بركة العمر والرزق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[2].

وفي رواية للطبراني في الأوسط[3]: **(فليصل ذا قرابته)**.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعُ اللهَ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)**[4].

3-الراحة والسعادة.

فإن الإنسان في راحة وسعادة مادام حسن المعاملة لأقاربه، مؤديًا ما عليه نحوهم، وبعض شقاء الإنسان وتعاسته آتٍ من سوء أدبه مع أقاربه.

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص:148).

(2) رواه البخاري (2067)، ومسلم(2557).

(3) (5626).

(4) رواه البيهقي(19870)، وهو صحيح.

4-صلة الله للواصلين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد: 22])[1].

5- دخول الجنة.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ - أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: (لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ)، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ)[2].

سابعًا: آثار سوء الأدب مع الأقارب:

إن لسوء الأدب مع الأقارب آثاراً سيئة في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

1- اشتعال نار العداوة والحسد واستمرارها.

(1) رواه البخاري (5987)، ومسلم(2554).

(2) رواه البخاري (1396)، ومسلم(13).

فالحسد والبغض وقلة تحمل الأذى -ولاسيما مع قرب الديار- تشتعل بين الأقارب اشتعال النار في الهشيم، وقد يدوم اشتعالها، فإذا كان المرء ذا أدب مع ذوي قرابته خمد نار تلك الأدواء.

قال الشاعر:

بنـــى عمنَـــا إِنَ الْعَـــدَاوَة شَـــرها ... ضـغائن تبقـى في نفـوس الْأَقَـارِب[1]

وقـال الجـاحظ: "وحـسد الأقـارب أشـدّ، وعـداوتهم علـى حـسب حسدهم"[2].

"وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحبك. قال: وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم؟ يريد أنّ الحسد موكّل بالأدنى فالأدنى"[3].

ولما كان الأمر كذلك نطق بعضهم بذم الأقارب الذين لقي منهم العناء؛ قال الشاعر:

آخ الرجـــالَ مـــن الأبـــا ... عـــدِ، والأقـــاربَ لا تقـــاربْ

إن الأقـــــارب كالعقـــــا ... رِبِ بـــل أضـــرُّ مـــن العقـــاربْ[4]

---

(1) الحماسة البصرية (2/ 61).

(2) الحيوان (2/ 301).

(3) العقد الفريد (2/ 177).

(4) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:165).

وقال آخر:

لِلــذُّلِّ بــين الأقــربينَ مَــضاضةٌ ... والــذُّلُّ مــا بــينَ الأباعــدِ أرْوَحُ

وإذا أَتَتْكَ مِن الرجالِ قَوارِصٌ[1] ... فـسِهامُ ذِي القُربـى القريبـةِ أجْـرَحُ[2]

وقال آخر:

يَقُولُـونَ عـزٌّ في الأَقَـارِبِ إن دَنَـت ... وَمـا العِـزُّ إلَّا في فِـراقِ الأَقَـارِبِ

تـرَاهُم جَمِيْعًـا بَـيْنَ حَاسِـدِ نِعْمَـةٍ ... وَبَـيْنَ أَخِـي ضَـغْنٍ وَآخَـرَ عَائِـبِ[3]

وقال أبو نواس:

ومـا أنـا مـسرورٌ بقـربِ الأقـاربِ ... إذا كـان لـي مـنهم قلـوبُ الأباعـدِ[4]

قال ابن الجوزي: "عداوة الأقارب صعبة، وربما دامت، كحرب بكرٍ وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغيض، والأوس والخزرج ابني قيلة. قال الجاحظ: تعدت هذه الحرب أربعين عامًا. والسبب في هذا: أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد. فينبغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم؛ لعله يسلم"[5].

---

(1) قوارص: كلمات مؤذية.

(2) الذخائر والعبقريات (1/ 43).

(3) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:165).

(4) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 434).

(5) صيد الخاطر (ص:476).

وقال ابن هبيرة: "والرحم إنما اشتد الأمر في صلتها ثوابا، وفي قطعها عقابا؛ من حيث إن طباع الآدميين لهِجة بالحسد من الأقرب فالأقرب، والغيظ من الأدنى فالأدنى، ولأن الأقارب قل ما يخلصون من موجبات الشر والخير في المشاركات والمحاورات والمعاملات ونحو ذلك، فللمسلم على المسلم حق، والمسلم على المسلم إذا كان ذا رحم حقان، فإذا قطعه فقد قطع حقين كما أنه إذا وصله وصل سببين أكد الأول منهما الثاني"[1].

2- تفضيل البعيد على القريب والميل إليه.

فحين تسوء العلاقة بين الأقارب يصبح بعضهم يفضل البعيد المحسن على القريب المسيء.

وقد تقدم ما يدل على ذلك.

3- حصول الندم بعد زمن الطيش على سوء المعاملة للأقارب .

قال الشاعر:

شَفَيْتُ النَّفْسَ من حَمَلِ بن بَدرٍ ... وسَيْفي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شفَانِي

قتَلتُ بإخْوَتي ساداتِ قَوْمي ... وقد كانوا لنا حَلْيَ الزَّمانِ

فإنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بهم غَليلي ... فلم أقطَع بِهِمْ إلاَّ بَنَانِي

وقال النّميريّ:

---

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (2/ 247).

فإنَّـــــكَ حِـــــينَ تُـــــبْلِغُهُمْ أَذاةٌ وإن ظَلَمُـــوا لَمُحْتـــرِقُ الــضّميرِ[1]

وقال آخر:

ظللتُ أساقي الهمَّ إخوتيَ الأُلى أبـوهمْ أبـي عنـد المـزاحِ وفي الجـدِّ
كفـى حَزنًـا أنْ لا أزال أرى القَنـا يمـجّ نجيعًا من ذراعي ومن عضدي
وَأَنِّـي وَإِنْ عَـادَيْتُهم وَجَفَـوْتُهُم لتَـأَلَمُ مِمَّـا عَـضَّ أَكْبَـادَهُمْ كَبِـدِي[2]

4- غضب الله واستحقاق عذابه.

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد:23].

5- حصول التفكك الأسري.

فلا تنتظم قرابة إذا انتظم سوء الأدب بينهم، ومتى حصل ذلك عاش الإنسان وحيداً بلا قريب ناصر أو معين.

ثامنًا: نماذج مشرقة:

تقدمت معنا أمثلة مشرقة لامتثال الأدب مع الأقارب، ونضيف إلى ذلك هذا المثل الطيب، وهو شعر خالدٌ للمقنع الكندي في قصيدة له، ومنها قوله:

وَإِنَّ الَّـذِي بَينِـي وَبَـين بَنـي أَبـي وَبَـينَ بَنـي عَمّـي لَمُختَلِـفٌ جِـدّا

---

(1) الذخائر والعبقريات (1/ 45).

(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 439).

أَراهُـم إِلـى نَـصري بِطـاءً وَإِن هُـمُ ... دَعَـوني إِلـى نَـصرٍ أَتيـتُهُمُ شَـدّا
فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم ... وَإِن يَهـدِموا مَجـدي بنيـتُ لَهُـم مَجـدا
وَإِن ضَيَّعوا غيبي حَفظتُ غيوبَهُم ... وَإِن هُـمْ هَـوَوا غَيـيٍّ هَوَيـتُ لَهُـم رُشـدا
وَإِن قَطَعـوا مِنّـي الأَواصِـر ضَـلَّةً ... وَصَـلتُ لَهُـم مِنّـي المَحَبَّـةَ وَالـوُدّا
وَلا أَحمِـلُ الحِقـدَ القَـديمَ عَلَـيهِمُ ... وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا[1]

(1) الحماسة البصرية (2/ 31)، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (1/ 492).

الأدب مع الجِيران

الإنسان في هذه الحياة مدني بطبعه، لا يعيش على راحة إلا باستئناسه بغيره، وعيشِه في نطاق الجمع، ونفرته من حياة الوحدة والانفراد.

وقد جعل الله تعالى في هذه الحياة بين أهلها روابط يزداد فيها الأنس، وتقوى بها العلاقات، ويتم بها قضاء كثير من الحاجات، ومن تلك الروابط: رابطة الجوار.

وهذه الرابطة الحياتية تتسع دائرتها لتشمل الجوار في: المنزل، والمتجر، والعمل، والدراسة، والطريق، والمسجد، والقرية والمدينة، والدولة.

وأدب الجوار يشملها كلها، من غير فرق، وإن كان الغالب هو الجوار في البيوت والمساكن.

وكما تتسع دائرة الجوار بالنسبة للمكان فهي تتسع كذلك في صفة قاطن ذلك المكان؛ **قال ابن حجر**: "واسم الجار يشمل: المسلم والكافر والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي والنافع والضار، والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه"[1].

---

(1) فتح الباري لابن حجر (17/ 154).

وعَنِ الْحَسَنِ: "أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ تُطْعِمَ جَارَكَ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ مِنْ أُضْحِيَّتِكَ"[1].

وهذا تعميم نافع؛ فالجار يؤدى إليه حق الجوار من غير نظر إلى دينه أو صلاحه أو فسقه، ولا نظر إلى قرابته أو بعده، وغير ذلك.

غير أن هذا التعميم فيه مراتب للجيران في الزيادة والنقصان من الحقوق؛ فهناك جار له حق واحد، وهذا هو الجار الكافر له حق الجوار، وجار له حقان وهو الجار المسلم غير القريب له حق الإسلام وحق الجوار، وجار له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم ذو القرابة له حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة، فينبغي مراعاة هذه المراتب.

قال الذهبي: "فإن كان جارك يهودياً أو نصرانياً في الدار أو في السوق أو في البستان فجاوره بالمعروف ولا تؤذه... فإن انضاف إلى جواره كونه قرابتك أو ذوي رحمك فهذا حقه آكد، وكذا إن كان أحد أبويك ذمياً فإن للأبوين وللرحم حقاً فوق حقوق الجوار، فأعط كل ذي حق حقه"[2].

كما أنه ينبغي النظر في مراتب الجيران من ناحية القرب والبعد؛ فيقدم الأقرب فالأقرب، والأولى فالأولى في الإهداء وبذل المعروف.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما

---

(1) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص:56).

(2) حق الجار (ص:48).

أهدي؟ قال: (إلى أقربهما منك بابا)[1].

وإذا جئنا إلى تحديد مسافة الجوار في المنازل ونحوها من مساكن الناس فهذا أمر لا ندركه؛ لأسباب منها: اتصال البناء لاسيما في المدن والحواضر المزدحمة، لكن هناك قول للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا؛ حيث روى البخاري في الأدب المفرد بإسناد حسن[2] أن الحسن سُئل عَنِ الْجَارِ؟ فَقَالَ: "أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يمينه، وأربعين عن يساره".

إن مما ينبغي العناية به قبل بناء الدار: اختيار الجار؛ لأن بعض النفوس لا تقوى على احتمال الأذى، ولأن أذى بعض الجيران قد لا يصلح معه صبر، ولا يجدي في صاحبه عفو.

فمن أعظم السعادة أن يوفّق المسلم لجار صالح؛ فقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع)**[3].

قال بعض العلماء: لقد اختارت زوجة فرعون المؤمنة آسية بنت مزاحم عليها السلام الجارَ قبل الدار، كما قوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[التحريم11][4].

---

(1) رواه البخاري(2259).

(2) (109).

(3) رواه أحمد(15372)، والحاكم(7306)، وهو صحيح.

(4) تفسير ابن كثير (8/ 172).

قال الشاعر:

يقولــون قبــلَ الــدارِ جــارٌ موافِــقٌ وقبلَ الطريقِ النهجِ أُنسُ رفيقِ[1]

وقال الآخر:

اطلــبْ لنفــسِك جيرانــاً تــوافقُهمْ لا تصلحُ الدارُ حتى يصلحَ الجارُ[2].

إن القيام بهذا الأدب حق القيام ليس بالأمر اليسير؛ فهناك عوامل تدفع أناسًا عن الإيفاء به، منها: أن الجيران كالأقارب، فيما يحصل بين الأقارب من الحسد والمنافرة، والكراهية وقلة الصبر بسبب تفاوت المقامات وقرب مكان العيش؛ يحصل بين الجيران.

قال ابن مفلح: "وقال ابن عبد البر كان داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يقول: اللهم إني أعوذ بك من جار سوء عينه تراني، وقلبه لا ينساني. وقال أبو الدرداء: مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه. وقال عكرمة: أزهد الناس في عالم جيرانه. وقال البيهقي وغيره: عن كعب الأحبار: في الكتاب المنزل الأول: أزهد الناس في عالم جيرانه. قال الحسن البصري: وروي مرفوعًا ولا يصح. قال ابن عبد البر: وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني أحبك. فقال: ولِمَ لا تحبني ولست لي بجار ولا ابن عم؟ كان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب"[3].

---

(1) زهر الأكم في الأمثال و الحكم (ص:169).

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 15).

إننا حين ننظر اليوم إلى واقع مجتمعاتنا الإسلامية نجد تقصيراً كبيراً في هذا الأدب العظيم، خاصة في الحواضر، فقد غلب على كثير من الناس فيها العيش لنفسه، والبعد عن جيرانه، ومعرفة أحوالهم، بل قد لا يدري بعض الجيران بجاره!

فكان لابد من إحياء هذه الرابطة بالحديث عنها، ومعرفة ما يتصل بها من الحقوق؛ حتى يتم أداؤها على الوجه الشرعي المطلوب.

وسنتحدث عن هذا الأدب في العناصر الآتية:

أولاً: تعريف الأدب مع الجيران:

هو: إيصال صور الإحسان إليهم، وكف صنوف الإساءة عنهم.

وقال ابن حجر: "امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة؛ كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه، على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية"(1).

وسيأتي التعريف التفصيلي له بذكر صور الأدب معه.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب مع الجيران:

يدعو إلى الحديث عن الأدب الجار أسباب، منها:

(1) فتح الباري لابن حجر (10/ 442).

1 – أن الأدب مع الجار من الأخلاق الإنسانية الكريمة التي تدعو إليها هذه الرابطة العامة.

لأنه سلوك حسن تحث عليه الفطرة الإنسانية السليمة.

2–الأدب مع الجار عادة عربية حسنة أقرها الإسلام، وشجع عليها وضبطها بضوابط حسنة تكمل نقصها.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)**[1]. **وفي رواية: (مكارم الأخلاق)**[2]. **وفي رواية: (حَسَن الأخلاق)**[3].

لقد كان العربي في الجاهلية يفتخر بإحسانه إلى جاره، ويعتز بثناء جاره عليه، خصوصاً إذا كان الجار ضعيفا. فيصير بهذه الرابطة قوياً بعد الضعف، وعزيزاً بعد الذلة، وغنياً بعد القلة، قال السموأل بن عادياء:

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قليلٌ عَديدُنا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكِرامَ قَليلُ

وَمَا ضَرَّنا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيْزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِيْنَ ذَلِيْلُ

---

(1) رواه أحمد(8952)، والبخاري في الأدب المفرد(273)، والبيهقي في الآداب(153)، والحاكم (4221)، والخرائطي في مكارم الأخلاق للخرائطي(1)، وصححه ابن عبد البر. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (24/ 334).

(2) رواه البيهقي في الكبرى(20782)، والبزار(8949).

(3) رواه مالك في الموطأ(686).

لَنـا جَبَـلٌ يَحْتَلُّـهُ مَـنْ نُجِـيرُهُ　　مَنِيـعٌ يَـرُدُّ الطَّـرْفَ وهْـو كَلِيـلُ[1].

ويتمدّحون بكف الأذى عن الجار حيث يقول هدبة بن الخشرم:

ولا نخذلُ المولى ولا نرفعُ العصا　　عليهِ ولا نُزجِيْ إلى الجارِ عَقرْبا [2]

وإذا أصاب الهوانُ جارَهم تألموا لذلك، وعدّوه فاقرة من الفواقر، قال لبيد:

وإنَّ هـوانَ الجَـارِ للجَـارِ مُـؤلِمٌ　　وفـاقرةٌ تـأوي إليْهـا الفَـوَاقِرُ[3].

و" عن أبي حازم بن دينار أنه قال: كان أهل الجاهلية أبرّ بالجار منكم، وهذا قائلهم يقول:

نَـارِي وَنَـارُ الجَـارِ وَاحِـدَةٌ　　وَإِلَيْـهِ قَـبْلِي تَنْـزِلُ القِـدرُ

مَـا ضَرَّ جَـارًا لِيْ أُجَـاوِرُه　　أَنْ لَا يَكُـونَ لِبيتِـهِ سِـترُ

أَعْمَـى إِذَا مَـا جَـارَتِي ظَهَـرَتْ　　حتـى يُـوارِيَ جَارَتِي الخِـدْرُ" [4].

3- الأدب مع الجار تكليف إسلامي، اعتنى به اعتناء كبيراً.

ومما يدل على عنايته به: أنه جعله من الحقوق العشرة التي أمر بالإحسان فيها، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

(1) الحماسة البصرية (ص:19).
(2) منتهى الطلب من أشعار العرب (ص:371).
(3) ديوان لبيد (ص:43).
(4) الاستذكار (8/ 367).

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾[النساء36].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾، يعني: الذي بينك وبينه قرابة ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، ... وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: يعني: الجار المسلم، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ يعني: اليهودي و النصراني، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: يعني: المرأة، وقال مجاهد أيضًا في قوله: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر"(1).

ومما يدل على اعتناء الإسلام بهذه الرابطة: أن جبريل عليه السلام- كان كثير الوصية لرسول الله بها، قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه)**(2).

وعند البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح(3): "عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنْتُ

(1) تفسير ابن كثير (1/ 611).

(2) رواه البخاري (6014)، ومسلم(2625).

(3) (128).

عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَغُلَامُهُ يَسْلُخُ شَاةً فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: الْيَهُودِيُّ أَصْلَحَكَ اللهُ؟! قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يوصى بالجار حتى خشينا أو رُؤِينا أنه سَيُورِّثُه".

قال ابن حجر: "أي: يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره .واختلف في المراد بهذا التوريث: فقيل: يجعل له مشاركة في المال بفرض أسهم معطاه مع الأقارب، وقيل: المراد أن ينزّل منزلة من يرث بالبر والصلة، والأول أظهر؛ فإن الثاني استمر، والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع .ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر نحو حديث الباب بلفظ: (حتى ظننت أنه يجعل له ميراثا)وقال ابن أبي جمرة: الميراث على قسمين: حسي ومعنوي، فالحسي هو المراد هنا، والمعنوي ميراث العلم، ويمكن أن يلحظ هنا أيضًا فإن حق الجار على الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه، والله أعلم [1].

وقال الذهبي: " ويفهم من الحديث المذكور عنه ﷺ تعظيم حق الجار؛ من الإحسان إليه وإكرامه وعدم الأذى له، وإنما جاء الحديث في هذا الأسلوب للمبالغة في حفظ حقوق الجار وعدم الإساءة إليه، حيث أنزله الرسول ﷺ منزلة الوارث؛ تعظيماً لحقه، ووجوب الإحسان إليه، وعدم الإساءة إليه بأي نوع من أنواع الأذى"[2].

---

(1) فتح الباري (17/ 154).

(2) حق الجار (ص:24).

4- أن الأدب مع الجار يثمر ثمرات حسنة في الدنيا والآخرة، كما سيأتي.

5- أن سوء الأدب مع الجار له آثار سيئة في العاجل والآجل، كما سيأتي أيضًا.

ثالثًا: صور من الأدب مع الجيران:

للأدب مع الجار صور كثيرة لا يمكن حصرها، ولكن لعلها أن تجتمع تحت ثلاث صور عامة: الإحسان إلى الجار، كف الأذى عن الجار، احتمال أذى الجار.

وسنذكر بعض الصور المنضوية تحت هذه العناوين العامة.

1- مد يد الإحسان إلى الجار على الدوام.

وهذا الإحسان يكون بالقول، أو بالفعل.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ)[1].

ومن وجوه الإحسان: الإهداء إليه من الطعام وغيره؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)[2]. وفي رواية: (إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ

(1) رواه مسلم (48).

(2) رواه مسلم (2625).

مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ)[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ)[2].

قال حاتم:

إذا ما عملتِ الزادَ فالتمسي له ... أكيلاً فإني لستُ آكلَهُ وحديْ

أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنني ... أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ من بعدي

وكيف يَسيغُ المرءُ زاداً وجارُه ... خفيفُ المِعى باديْ الخصاصةِ والجَهدِ[3]

وقال المعري:

متى نشأتْ ريحٌ لِقدركِ، فابعثي ... لجارتِكِ الدّنيا قليلاً ولا تُملي

فإنّ يَسيرَ الطُّعمِ يقضي مَذَمّةً ... ولا سِيّما للطّفلِ، أو ربّةِ الحملِ[4]

---

(1) رواه البخاري (2566)، ومسلم (1030). (فرسن شاة): ما دون الرسغ من يدها. وقيل: هو عظم قليل اللحم. والمقصود المبالغة في الحث على الإهداء ولو في الشيء اليسير. وخص النساء بالخطاب لأنهن يغلب عليهن استصغار الشيء اليسير والتباهي بالكثرة وأشباه ذلك.

(2) رواه الحاكم(7307)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(3) زهر الأكم في الأمثال و الحكم (ص:196).

(4) ديوان أبي العلاء المعري (ص:1101).

2- حفظ أهله، لاسيما في حال غيابه. وغض البصر عن نسائه.

قال العجير السلولي:

يَبِـينُ الجـارُ حـينَ يَبِـينُ عنِّـي ... ولم تـأنسْ إليَّ كـلابُ جـاريْ

وتظعـنُ جـارتي مـن جنـبِ بيتـي ... ولم تُـستَرْ بـسترٍ مـن جـدارِ

وتـأمنُ أنْ أُطـالعَ حـين آتيْ ... عليهـا وهـي واضـعةُ الخـمارِ

كـذلك عهـدُ آبـائي قـديماً ... توارثَـه النّجَـارُ عـن النجـارِ[1]

وقال أبو جعفر العدوي:

شـراً جـارتي سـتراً فـضولٌ لأنني ... جعلتُ جفوني ما حييتُ لها سترا

ومـا جـارتي إلا كـأُمِّي وإنَّنـي ... لأحفظُهـا سـرّاً وأحفظُهـا جهـرا

بعثـتُ إليهـا: إنعمِـي وتنعّمِـي ... فلستُ مُحلاًّ منكِ وجهاً ولا شَعرا[2]

وقال حاتم:

إذا مـا بـتُّ أختـلُ عِـرْسَ جـاريْ ... ليخفينـي الظـلامُ فـلا خفيـتُ

أأفـضحُ جـارتي وأخـونُ جـاري ... فـلا واللهِ أفعـلُ مـا حييـتُ[3]

ويقول أيضًا:

---

(1) الأغاني (13/ 81).

(2) المنتقى من مكارم الأخلاق (60).

(3) البداية والنهاية (3-4/ 613).

ولا تـــشتكيني جـــارتي غـــيرَ أَنّهـــا إذا غـــابَ عنهـــا بعلُهـــا لا أزورُهـــا
ســـيبلغُها خـــيري ويرجـــعُ بعلُهـــا إليهـــا ولم تقـــصرْ عليهـــا ستـــورُها[1]

3-حمايته من كل مكروه، ونصرته والدفاع عنه بكل مقدور عليه.

قال عنترة:

وإني لأحمـــي الجـــارَ مـــن كـــلِّ ذلـــةٍ وأفـــرحُ بالـــضيفِ المقـــيمِ وأبهَـــجُ

وقالت الخنساء تمدح أخاها بحمايته جاره:

وجـــارُكَ محفـــوظٌ منيـــعٌ بنجـــوةٍ من الـضيمِ لا يـؤذى ولا يتـذللّ[2]

وقالت أيضـًا:

يحـــامي عـــن الحـــيِّ يـــومَ الحفـــا ظِ والجـــارِ والـــضيفِ والنُـــزَّلِ[3]

وقال الشاعر:

هـــمُ المـــانعونَ الجـــارَ حتّـــى كأنمـــا لجـــارهمُ فـــوقَ الـــسماكينِ منـــزلُ[4]

4-حفظ أسراره، وعدم تتبع عثراته وهفواته.

قال الشاعر:

(1) المصدر السابق (3-4/ 612).
(2) ديوان الخنساء (ص:90).
(3) المصدر السابق (ص:99).
(4) التذكرة الفخرية (ص:94).

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراهـــا لـــسر الجـــار تختتـــل [1]

وقال قيس بن عاصم المنقري:

لا يفطنـــون لعيـــبِ جـــارهمُ وهـــمُ لحفـــظِ جـــوارِه فُطُـــنُ [2]

5- إذا كان بين الجارين حق مشترك من طريق أو ماء ثبتت الشفعة لكّل منهما، فلا يبيع أحدهما حتى يستأذن جاره، وإن باع من غير إذنه كان أولى بالمبيع.

على تفصيل في ذلك عند الفقهاء. وهذا من الأدب العظيم.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ يُنْتَظَرُ بِهَا، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا)**[3].

وعن عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(الجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ)**[4].

وعَنْ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ أَوِ الْأَرْضِ)**[5].

---

(1) شرح المعلقات التسع (ص:19). تختتل وتختل واحد [بمعنى تسرق وتخدع] فهي لا تفعل هذا.

(2) ديوان الحماسة (2/ 263).

(3) رواه أبو داود(3518)، وابن ماجه(2494)، وإسناده صحيح.

(4) رواه البخاري (2258)، **قوله:** (بسقبه) السقب: القرب والملاصقة، أي: أحق ببره ومعونته، وعدم إساءته، والمراد به هنا الشفعة.

(5) رواه أبو داود (3517)، والترمذي(1368)، وابن حبان(5182)، وهو صحيح.

6-سماح الجار للجار بوضع خشبته في جداره إذا لم يكن عليه ضرر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ**) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟ وَاللهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ»(1).

قال النووي: " واختلف العلماء في معنى هذا الحديث: هل هو على الندب إلى تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره، أم على الإيجاب؟ وفيه قولان للشافعي وأصحاب مالك أصحهما في المذهبين الندب، وبه قال أبو حنيفة والكوفيون. والثاني: الإيجاب، وبه قال أحمد وأبو ثور وأصحاب الحديث وهو ظاهر الحديث. ومن قال بالندب قال: ظاهر الحديث أنهم توقفوا عن العمل؛ فلهذا قال: "مالي أراكم عنها معرضين" وهذا يدل على أنهم فهموا منه الندب لا الإيجاب، ولو كان واجبًا لما أطبقوا على الإعراض عنه، والله أعلم"(2).

7-كف جميع صنوف الأذى عن الجار.

قال عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من حق الجار: أن تبسط له معروفك، وتكف عنه أذاك. وقال علّي للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ما بقي من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان، وترك أذى الجيران.

---

(1) رواه البخاري (2463)، ومسلم(1609).

(2) شرح النووي على مسلم (11/ 47).

وقال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه:

يــا ســائلي عــن حــسينٍ   وقــد مــضى أشــكالهْ
أقــلّ مــا في حــسينٍ   كــفُّ الأذى واحتمالــهْ[1]

وقال بعض الشعراء:

وللجــار حــق فــاحترز مــن إذائــه   ومـا خيـر جـار لا يـزال مؤاذيـا[2]

8-احتمال أذى الجار، والصبر على ما بدر منه من الزلل والأذى المحتمل.

فإذا ابتلي الإنسان بجار سوء يؤذيه فعليه أن لا يرد الإساءة بمثلها، بل يردها بالصبر والعفو، والإحسان وبذل المعروف.

يـروى أن رجـلاً جـاء ابـنَ مـسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقـال: "إن لـي جـاراً يـؤذيني ويشتمني ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه"[3].

فالجار الصالح حقيقة إنما يبتلى بهذا الحق ويُعرف به.

قال الحسن البصري: "ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على أذى الجار"[4].

وكـان يقـال: "لـيس مـن حـسن الجـوار تـرك الأذى، ولكنـه الـصبر علـى

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(2) أدب الدنيا والدين (ص:336).

(3) إحياء علوم الدين (2/ 212).

(4) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (2/ 250).

الأذى"[1].

فهذه بعض صور الأدب مع الجار، وغيرها يدخل في معناها.

ومما ذكره بعض أهل العلم:

1 -" إن استعانك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر علته، وإن مرض عدته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب الريح عليه إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك، إلا أن تغرف له منها"[2].

2 -وقال الغزالي: "واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى؛ فإن الجار أيضًا إن كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف؛ إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول: يا رب، سل هذا لم منعني معروفه، وسد بابه دوني؟.

وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع

---

(1) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(2) حق الجار، للذهبي (ص:37)، روي مرفوعًا إلى رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن الذهبي ضعفه.

من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه"[1].

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع الجيران:

هناك طرق معينة على تحقيق هذا المطلب العلي، منها:

1-استشعار أن الأدب مع الجار مطلب شرعي، والمؤمن يسارع إلى العمل بما جاء به شرع الله تعالى ولو خالف مراد نفسه وهواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور:51].

2-معرفة حق الجار في النصوص الشرعية.

فالذي يتأمل في هذه الشريعة الغراء وما فيها من نصوص مشرقة تدعو إلى أداء حق الجار وإكرامه؛ فإن ذلك يدعو إلى القيام بهذا العمل الصالح؛ لما في ذلك من الأجور الكثيرة حال الأداء، والآثام العظيمة عند مخالفة هذا الحق.

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 213).

3 – الاقتداء برسول الله ﷺ.

فإنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يحسن إلى جيرانه ولو كانوا كفاراً، كما كان يصنع مع المشركين في مكة، ومع اليهود في المدينة.

4 – القراءة في قصص الإحسان إلى الجيران.

وكيف كان لذلك من الآثار الحسنة. كما سيأتي في النماذج المشرقة.

5 –العناية بإصلاح النفس.

فإن المرء إذا أصلح نفسه، واعتنى بتنمية تقواه حثه ذلك على إكرام جاره، والصبر عليه وكف الأذى عنه، وما يؤتى أحد في ركوب الخطايا والتقصير في الحقوق إلا من قبل نفسه.

خامسًا : ثمرات الأدب مع الجيران :

إذا أحسن المسلم القيام بهذا الأدب على ما ينبغي فإنه سيجني من ذلك ثمرات يانعة في الدنيا والآخرة، ومنها:

1 –أن المكرم لجاره من خيار الناس.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (**خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**)[1].

2 –الجار الصالح من أسباب السعادة.

(1) رواه أحمد(6566)، وابن حبان(519)، وابن خزيمة(2539)، وإسناده قوي.

فقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع**)[1].

3-المحسن إلى جاره يدل بذلك على كرم أصله وحسبه، وصلاح طبعه وخلقه.

قال بعض البلغاء: "من أحسن إلى جاره فقد دل على حسن نجاره"[2].

وقال الأصمعي: ومن أحسن ما قيل في حسن الجوار:

جاورت شيبان فاحلولى جوارهم ... إن الكرام خيار النّاس للجار[3]

4-محبة الجيران للجار الصالح وثناؤهم عليه، وقيامهم على خدمته ومساعدته إن احتاج إلى ذلك.

قال بعضهم:

ومن يقضيِ حَقَّ الجارِ بعد ابن عمه ... وصاحبِهِ الأدنى على القربِ والبعدِ

يعشْ سيداً يستعذبُ الناسُ ذكرَه ... وإِن نابه حقٌ أَتَوْهُ على قَصْدِ[4]

5-نيل رضوان الله تعالى في هذا الباب.

لأن المسلم قد قام بما أمره الله تعالى ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(1) رواه أحمد(15372)، والحاكم(7306)، وهو صحيح.

(2)أدب الدنيا والدين (ص:336).

(3)بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(4) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (2/ 3).

سادسًا: آثار سوء الأدب مع الجيران:

إن إساءة الجوار تجر على صاحبها آثاراً سيئة في الدنيا والآخرة، **فمن ذلك:**

1- إساءة الجار إلى جاره قد تسبب انتقاله من منزله، سواء كان مستأجراً أم مالكًا.

وهذا فيه إيذاء شديد، ولعل المؤذي لا يسلم من دعوة جار مظلوم فتهلكه أو تضره.

ولضرر الجار السيء كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة؛ فإن جار البادية يتحول**)[1].

كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: "ثلاث كلهن فواقر: صديق إن أسديت إليه عارفة لم يشكرها، وإن سمع كلمة لم يغفرها، وجار إن رأى حسنة أخفاها، وإن عثر على سيئة أفشاها، وامرأة إن أقمت عندها آذتك وإن غبت عنها خانتك"، وكان يقال: "من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامة يلبس لك من البغضاء لأمة، لا ينجع فيه عتب ولا يرعوي لملامة"، ومن دعاء الأعمش: "اللهم إني أعوذ بك من جار تراني عيناه، وترعاني أذناه، إن رأى خيراً دفنه، وإن سمع شراً أعلنه"، وقال لقمان لابنه: يا بني، حملت الحجارة والحديد فلم أر شيئًا أثقل من جار سوء في دار مقامة[2].

---

(1) رواه النسائي(5502)، والحاكم(1951)، وإسناده حسن.

(2) غرر الخصائص الواضحة (ص:262).

و كان ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلَيْنِ يَتَصارمان فَوْقَ ثَلَاثَةِ أيام فيهلكَ أحدُهما فماتا وَهُمَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُصارمَة إِلَّا هَلَكَا جَمِيعًا، وَمَا مِنْ جَارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ منزله إلا هلك"[1].

وقد أنشدوا في الانتقال من المنازل بسبب إيذاء الجيران:

يلومنني أن بعتُ بالرخصِ منزلِيْ ... وما علموا جاراً هناك يُنغّصُّ
فقلتُ لهمْ كفّوا الملامةَ إنّها ... بجيرانِها تغلو الديارُ وترخصُ[2].

وقال أبو الفتح الشدوني:

إذا ما الحرُّ هانَ بأرضِ قومٍ ... فليس عليه في هربٍ جُناحُ
وقد هُنَّا بأرضكمُ وصِرنا ... لقى في الأرضِ تذروه الرياحُ[3]

وقال آخر:

تنكّرَ من كُنّا نُسَرُّ بقُربِهِ ... وعادَ زُعافاً بعد ما كان سَلسلا
وحُقَّ لجارٍ لم يوافقْهُ جارُهُ ... ولا لاءمتْه الدارُ أنْ يتحولا[4].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد(127)، وهو صحيح الإسناد.

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(3) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص:61).

(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (4/ 30).

2-إيذاء الجيران من الذنوب الكبيرة التي تذهب من الإيمان جزء كبيراً.

قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**) قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: (**الذي لا يأمن جاره بوائقه**)(1).

وبعض صور الإيذاء مضاعفة الذنب وقريبة من أكبر الذنوب، فعن ابن مسعود قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)، قَالَ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)، قَالَ: ثُمَّ أَيْ؟ قَالَ: (أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)، فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَهَا: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[الفرقان: 68-69] الآيَةَ)(2).

وعن المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سأل رسول الله ﷺ أصحابه عن الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فقال: (**لأن يزني الرجل بِعَشْرِ نسوة أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره**)، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام حرمها الله عز وجل ورسوله فقال: (**لأن يسرق من عَشرَةِ أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**)(3).

---

(1) رواه البخاري (6016)، ومسلم(46).

(2) رواه البخاري (7532)، ومسلم(86).

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد(103)، والطبراني في الأوسط(6333)، وهو صحيح.

3-إيذاء الجار سبب للعن الله للمؤذي.

فعن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، قال: (**اطرح متاعك على طريق**)، فطرحه فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لقيت من الناس ما لقيت، قال: (**وما لقيت منهم؟**) قال: يلعنونني، قال: (**قد لعنك الله قبل الناس**) فقال: إني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي ﷺ فقال: (**ارفع متاعك؛ فقد كفيت**)[1].

4-حصول الوعيد يوم القيامة في حق من أساء إلى جاره.

فعن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب، هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه**)[2].

وقال رسول الله ﷺ: (**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**)[3].

والبوائق الشرور.

5-استحقاق دخول النار.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ

(1) رواه الطبراني في الكبير(356)، وهو حسن.

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد(111)، وهو حسن.

(3) رواه مسلم(46).

اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا خير فيها هي من أهل النار) وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ[1]، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (هي من أهل الجنة)[2].

سابعاً: نماذج مشرقة:

1-**رأى أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولده عبد الرحمن وهو يناصي -يأخذ بناصيته- جارًا له، فقال: لا تناص جارك؛ فإن هذا يبقى والناس يذهبون[3].

2-**قيل**: إنه كان لأبي حنيفة جار إسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع، فإذا جنه الليل، رجع إلى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم، ويشوي السمك، فإذا دب فيه السكر أنشد:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

ولا يزال يشرب ويردد البيت إلى أن يغلبه السكر وينام، وكان الإمام أبو حنيفة يصلي الليل كله، ويسمع حديثه وإنشاده ففقد صوته بعض الليالي فسأل عنه فقيل: أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس، فصلى الإمام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الأمير فقال أئذنوا له وأقبلوا به راكبًا حتى يطأ البساط، فلما دخل على الأمير أجلسه مكانه وقال: ما حاجة الإمام؟ فقال: لي جار إسكاف أخذه

---

(1) الأثوار-اللبن المجفف.

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد(119)، والبيهقي في الشعب(9098)، وهو حسن.

(3) إحياء علوم الدين (2/ 214).

العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا، ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين، فركب الإمام وتبعه جاره الإسكاف فلما وصل إلى داره قال له الإمام أبو حنيفة: أترانا أضعناك؟! قال: لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار ورعايته، ولله عليَّ أن لا أشرب بعدها خمرًا، فتاب من يومه ولم يعد إلى ما كان عليه[1].

3- **قال التلمساني**: "وحكى غير واحد منهم ابن داود البلوي أن القاضي أبا البركات لما عزم على الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابن خاتمة:

أشمسَ الغربِ حقًا ما سمعْنا ... بأنّك قد سئمتَ من الإقامهْ

وأنّك قد عزمتَ على طلوعٍ ... إلى شرقٍ سموتَ به، علامهْ؟

لقد زلزلتَ منّا كلَّ قلبٍ ... بحقِّ اللهِ لا تُقمِ القيامهْ

قال الحاكي: فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا"[2].

4- **شكا بعضهم** كثرة الفأر في داره فقيل له: لو اقتنيت هرًا. فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي[3].

---

(1) طيب المذاق من ثمرات الأوراق (ص:36).

(2) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (5/ 482).

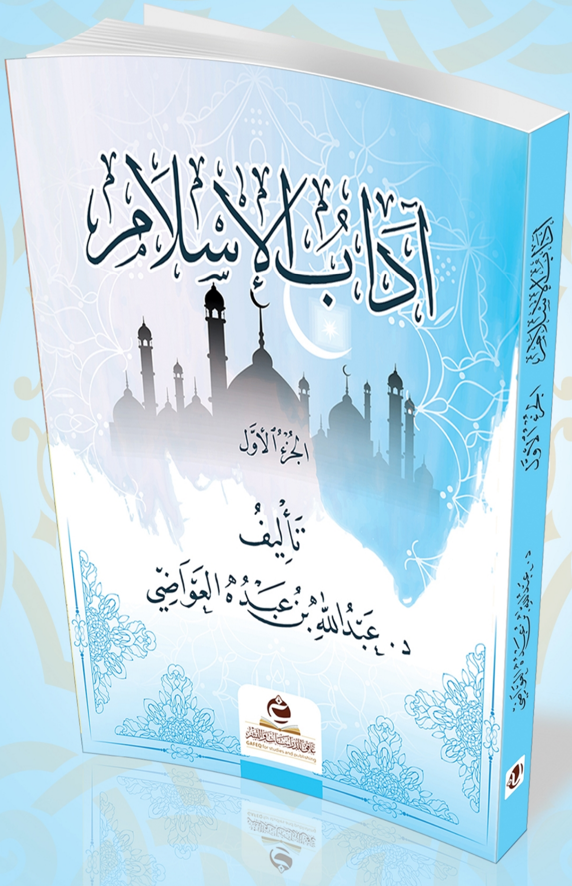
(3) إحياء علوم الدين (2/ 213).

فهرس المحتويات

آداب الإسلام

الجزء الأول

د. عبدالله بن عبده العواضي



آدابُ الإسلامِ

الجُزْءُ الثاني

تأليفُ

د. عبدُاللهِ بنُ عبدُهُ العواضي

غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

آداب الإسلام

الجزء الثاني

العنوان: **آدَابُ الْإِسْلَام** – الجزء الثاني

تأليف: د. عبد الله عبد الله بن عبده العواضي.

الصفحات: (330 صفحة).

قياس القطع: 17× 24.

الطَّبْعة: الأولى، 1445هـ– 2024م.

النَّاشِر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

إخراج فني وإلكتروني:
هشام بن حسين الأهدل

782 16 12 14 | 71 71 72 770

آداب الإسلام

الجزء الثاني

تأليف

د. عبدالله بن عبده العواضي

غافق للدراسات والنشر

GAFEQ for studies and publishing

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

لربِّنا الحمدُ على جزيل إنعامه، وسابغِ آلائه وإكرامه، فكم مِننٍ قد أسدى، ومِنح قد أعطى، ومكروه قد دفع، ومصاب قد رفع، فله الحمد عدد ما برأ، وله الشكر عدد الحصى والثرى.

وأشهد أنْ لا إله إلا هو الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة، وسراج الأمة، ومخرجها من دياجير الظلمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتابي "آداب الإسلام "الذي يتضمن الحديث عن عشرة آداب إسلامية أخرى كما تضمن الجزء الأول مثلها في العدد.

أُخرجه اليوم للقراء بعد أن أعددتُ هذه الآداب وألقيتها على بعض الدعاة وطلبة العلم على نظام محاضرة واحدة كل شهر تتناول أدبًا من هذه الآداب العشرة.

وهذه الآداب العشرة في هذا الجزء هي:

1- الأدب مع العلماء ومعلِّمي الناس الخير.

2- الأدب في الضيافة.

3- الأدب مع اليتامى.

4- الأدب مع الإخوان والأصحاب.

5- الأدب في الحديث.

6- الأدب في الحوار.

7- الأدب في اللباس.

8- الأدب في المجالس.

9- الأدب مع الأموات.

10- الأدب مع الحيوان البهيم.

ولعلي سأضع القلم عن مواصلة تعداد آداب الإسلام وشرحها، مكتفيًا بهذا العدد (20) أدبًا تضمنها الكتاب بجزئيه؛ لتكون نموذجًا لغيرها من الآداب الإسلامية الكثيرة.

وما أحوجَ المسلم إلى امتثال هذه الآداب، وتربية نفسه عليها وصبغها بها؛ حتى يصلح بها علاقته مع ربه تعالى، وعلاقته مع الناس، ويجد انشراح الصدر، ولذة العيش تحت ظلالها الباردة في لفح الحياة المتقدة بلهيب الشهوات والأهواء، وتباين الطبائع الإنسانية وأخلاق أهلها، وميولهم المتنوعة، وقناعاتهم المختلفة.

فواقع المسلمين اليوم يرزح تحت أفق التبعية المقيتة والانحراف الكبير عن جادة

الاستقلال الثقافي، ويشكو الصالحون المصلحون فيه من كثرة إقبال الجم الغفير من الأمة على لهو الدنيا ونسيان الآخرة.

مما نتج عن ذلك: البعدُ عن التحلي بآداب الإسلام، أو التقصير في الظهور بها على المستويين: الفردي والجماعي.

فكان من العقل والحكمة والدين: أن يعتني المسلم بهذه الآداب، ويعرض نفسه عليها، ومن ثَم يبني أفكاره، ويصوغ أفعاله وسلوكه على قاعدة العمل بها، والتخلي عن أضدادها، ثم يدعو إليها بعد ذلك سواه؛ كأهله وأولاده وأقاربه وطلابه وزملائه وسائر الناس.

نسأل الله أن يعيننا على امتثال هذه الآداب في أنفسنا، وأن يعيننا على تبليغها لغيرنا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده العواضي

7/ 7/ 1445هـ، 19/ 1/ 2023م.

الأدب مع العلماء ومعلِّمي الناس الخير

العلم بدين الله تعالى منزلته عظيمة في الإسلام، والحاملون له العاملون به لهم فضل على سائر الأنام؛ وذلك أنه نور يضيء الحياة، وينير درب النجاة، ويسعد صاحبه والعاملين به في الدنيا والآخرة، ويكشف لهم الأمور على حقيقتها فلا يبقون يخبطون في دياجي الجهالة كما يخبط الجهلاء.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:114].

قال ابن حجر: "وقوله عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:114] واضح الدلالة في فضل العلم ؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه"[1].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ)**[2].

---

(1) فتح الباري (1/ 141).

(2) رواه الحاكم(317)، والطبراني في الأوسط(3960)، **قال الهيثمي:** "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 120)، رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه عبد الله بن عبد القدوس، وثقه =

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11].

"قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل؛ إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة. وفي صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي - وكان عامل عمر على مكة - أنه لقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال: استخلفت ابن أبزى مولى لنا. فقال عمر: استخلفت مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: (**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**). وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾[الأنعام: 83]. قال: بالعلم"[1].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي**

البخاري وابن حبان، وضعفه ابن معين وجماعة". وحسنه المنذري، وقال الألباني: "صحيح لغيره" صحيح الترغيب والترهيب (1/ 137).

(1) فتح الباري (1/ 141).

السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)(1).

قال الحسن البصري: "العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم؛ فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا"(2).

"**وذُكر عن الأوزاعي قال:** جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي الأعمال أفضل؟ قال: العلم، ثم سأله: أي الأعمال أفضل؟ قال: العلم، قال: أنا أسألك عن أفضل الأعمال، وأنت تقول: العلم؟! قال: ويحك، إن مع العلم بالله ينفعك قليل العمل وكثيره، ومع الجهل بالله لا ينفعك قليل العمل ولا كثيره. وقال ابن عيينة في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾[مريم: 31]، قال: معلمًا للخير"(3).

فهذا ونحوه مما يدل على فضل العلم وسمو مكانة أهله.

---

(1) رواه أحمد(21715)، وأبو داود(3641)، والترمذي(2682)، وابن ماجه(223)، وابن حبان(88)، وابن أبي شيبة في مسنده(47)، وصححه الألباني.

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 271).

(3) شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال (1/ 133).

وسنتحدث عن هذا الأدب في العناوين الآتية:

أولاً: التعريف:

أ-تعريف العلماء:

العلماء جمع عالم، وتحديد معناه المرتبط بالشرع تناوله أهل العلم من عدة جوانب، وقد كتبت مقالاً قبل مدة بعنوان" من هو العالم"[1] ذكرت فيه أقوالاً كثيرة، ويمكن أن ألخص من مجموعها تعريفًا للعالم، **فأقول:**

العالم هو: من يخشى الله في السر والعلن، ويعمل بعلمه، ويدور مع الحق حيث كان، ويثبت في الفتن إذا وردت، ويعظم الكتاب والسنة، ويتبع الأثر، ويكون قدوة في دينه وعلمه، ويعرف نصوص الشريعة ومقاصدها ويزداد من علومها، ويسلِّم لها، ويؤثر الآخرة على الدنيا.

ويقول الآجري في صفة العالم: "لِهَذَا الْعَالِمِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّى، وَمَقَامَاتٌ لَابُدَّ لَهُ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا، فَهُوَ مُسْتَعْمِلٌ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ. فَلَهُ صِفَةٌ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: كَيْفَ يَطْلُبُهُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُلْزِمَهُ نَفْسَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا جَالَسَ الْعُلَمَاءَ: كَيْفَ يُجَالِسُهُمْ؟. وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا نَاظَرَ فِي الْعِلْمِ: كَيْفَ يُنَاظِرُ؟ . وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا أَفْتَى النَّاسَ: كَيْفَ يُفْتِي؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُجَالِسُ الْأُمَرَاءَ، إِذَا ابْتُلِيَ بِمُجَالَسَتِهِمْ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَالِسَهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؟. وَلَهُ

(1) منشور على شبكة الألوكة.

صِفَةٌ عِنْدَ مُعَاشَرَتِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يَعْبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؟ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُهُ مَا يُقَوِّيهِ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا فِي دِينِهِ، عَالِمٌ بِمَا يَجْتَلِبُ بِهِ الطَّاعَاتِ، عَالِمٌ بِمَا يَدْفَعُ بِهِ الْبَلِيَّاتِ، قَدِ اعْتَقَدَ الْأَخْلَاقَ السَّنِيَّةَ، وَاعْتَزَلَ الْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ"(1).

ب-تعريف الأدب مع العلماء ومعلِّمي الناس الخير:

هو: لزوم طريق التبجيل لهم، وحفظ حقوقهم، وحسن أخذ العلم عنهم، وطاعتهم في الحق، وغير ذلك.

ثانيًا: أسباب الأدب مع العلماء ومعلِّمي الناس الخير:

هناك أسباب تدعونا إلى الأدب الجم مع العلماء ومعلمينا الخير، منها:

1-أن الأدب معهم من تعظيم الإسلام وعلومه وشرائعه التي هم حملتها.

فمن احترام المحمول احترام الحامل له.

2-أن رسول الله ﷺ أمرنا بالأدب معهم بمعرفة حقهم علينا.

فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)**(2).

(1) أخلاق العلماء للآجري (ص: 46).

(2) رواه أحمد(22755)، والبزار(2718)، والطبراني في الكبير(7703)، ومكارم الأخلاق (147)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(1328)، والشاشي في مسنده(1273)، قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 127)

"وذلك بمعرفة حق العلم بأن يعرف حقه بما رفع الله من قدره؛ فإنه قال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:11]. فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية، واهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران"(1).

3-أن الأدب معهم شكر لمعروف التعليم والإفادة.

ولا يشكر الله من لا يشكر الناس.

4-أن الأدب معهم من البر المطلوب شرعًا وعقلا.

فإذا كان المرء مأموراً ببر والديه؛ لإحسانهم إليه في التربية؛ فإنه مأمور كذلك ببر أهل العلم؛ لكونهم يربونه ويعلمونه.

قال النووي: ".. فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يَقبحُ جهلُ الإنسان والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرهم، وذكر مآثرهم، والثناء عليهم وشكرهم"(2).

وقال أيضًا: "... ومنها: أنهم أئمتنا وأسلافنا؛ كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم"(3).

قال بعضهم:

---

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير (2/ 331).

(2) تهذيب الأسماء واللغات (1/ 18).

(3) تهذيب الأسماء واللغات (1/ 11).

أُفَـضِّلُ أُسْـتَاذِي علـى فـضل والِـدِي | وَإن نـالني مـن والـدي المجـدُّ والـشرفْ
فهـذا مُربـي الـروحِ والـروحُ جَـوْهَرٌ | وذاكَ مربي الجسمِ والجسمُ كالصَّدَفْ[1]

قال الماوردي: "وَقَدْ رَجَّحَ كَثِيرٌ مِنْ الْحُكَمَاءِ حَقَّ الْعَالِمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَـا فَـاخِرًا لِلـسَّفَاهِ بِالـسَّلَفِ | وَتَارِكًـا لِلْعَـلَاءِ وَالـشَّرَفِ
آبَـاءُ أَجْـسَادِنَا هُـمُ سَـبَبٌ | لَأَنْ جُعِلْنَـا عَـرَائِضَ التَّلَـفِ
مَـنْ عَلَّـمَ النَّـاسَ كَـانَ خَيْـرَ أَبٍ | ذَاكَ أَبُـو الـرُّوحِ لَا أَبُـو النُّطَـفِ"[2]

"قيل: للإسكندر: إنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك! فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب الحياة الباقية"[3].

5- الأدب معهم إغلاق للطريق أمام أعداء الإسلام والعلم الذين مازالوا يطعنون في العلماء، ويقلّلون من أقدارهم بوسائل وأساليب عديدة؛ لإسقاط مكانتهم من نفوس المسلمين، فإذا أُسقطوا استهان الناس بالعلم والدين، وغدوا سراة بلا هُداة، وسالكين أذلة بلا قادة وأدلة.

ثالثًا: صور الأدب مع العلماء ومعلمي الناس الخير:

هناك صور كثيرة، منها: ما يكون من الطالب مع شيخه ومعلمه، **ومنها** ما يكون

(1) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام (ص: 199).
(2) أدب الدنيا والدين (ص: 69).
(3) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 66).

منه ومن عموم المسلمين، **ومجمل ذلك:**

1 -توقيرهم وتعظيمهم وإجلالهم وهيبتهم.

بوّب الإمام النووي في كتابه: "رياض الصالحين": (باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم عَلَى غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم)[1].

وساق تحت هذا الباب عدة أحاديث، منها:

عن أَبي مسعودٍ عقبةَ بن عمرو البدري الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **(يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإنْ كَانُوا فِي القِراءةِ سَوَاءً، فأَعْلَمُهُمْ بالسُّنَّةِ، فَإنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلاَ يُؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إلاَّ بِإذْنِهِ)**[2].

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، ويَقُولُ: (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[3].

قال الليث بن سعد: "كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين، ثم يجلس فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فلا يجترئ أحد منهم أن يسأله شيئًا إلا أن يبتدئهم بحديث، أو يجيئه سائل فيسأل فيسمعون"[4].

(1) رياض الصالحين (ص: 129).

(2) رواه مسلم(673).

(3) رواه مسلم(432).

(4) أدب الإملاء والاستملاء (ص: 35).

وقال ابن حرملة: "ما كان إنسان يجترئ على أن يسأل سعيدًا عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير"[1].

وعن مغيرة قال: "كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير"[2].

وقال طاوس: "إن من السُّنة: أن توقر العالم"[3].

وعن ابن المبارك قال: "من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته"[4].

وقال بعضهم:

وَقِّرْ مَشَايِخَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً ... حَتَّى تُوَقَّرَ إِنْ أَفْضَى بِكَ الْكِبَرُ

وَاخْدُمْ أَكَابِرَهُمْ حَتَّى تَنَالَ بِهِ ... مِثْلاً بِمِثْلٍ إِذَا مَا شَارَفَ الْعُمُرُ[5]

قال ابن حزم: "اتفقوا على توقير أهل القرآن والإسلام، والنبيِّ ﷺ، وكذلك الخليفة، والفاضل، والعالم"[6].

ومن التوقير: ما قاله ابن جماعة: "وينبغي أن لا يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه مِنْ بُعْدٍ، بل يقول: يا سيدي، ويا أستاذي.

(1) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: 778).

(2) الطبقات الكبرى (6/ 280).

(3) جامع بيان العلم وفضله (1/ 459).

(4) تاريخ دمشق لابن عساكر (32/ 444).

(5) أدب الإملاء والاستملاء (ص: 136).

(6) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 408).

وقال الخطيب: يقول: أيها العالم، وأيها الحافظ ونحو ذلك، وما تقولون في كذا، وما رأيكم في كذا وشبه ذلك، ولا يسميه في غيبته أيضًا باسمه إلا مقرونًا بما يشعر بتعظيمه كقوله: قال الشيخ أو الأستاذ كذا، وقال شيخنا، أو قال حجة الإسلام، أو نحو ذلك"[1].

" غير أن هذا التعظيم لا يجوز أن يصل إلى التقديس والتنزيه عن الأخطاء، وأخذ كل ما يقولونه على أنه الحق، ولو كان مخالفاً للشرع. قال الذهبي في نهاية ترجمة الغزالي: "فرحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليدَ في الأصول" أ هـ. "قيل لأفلاطون: مالك تعارض سقراط في أقواله وأنت تحبه؟! قال: أحب سقراط، ولكني أحب الحق أكثر منه"[2].

2-إكرامهم والإحسان إليهم في الغَيبة والحضور.

قال الماوردي: "وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

إنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَاهُمَا ... لَا يَنْصَحَانِ إذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا

فَاصْبِرْ لِدَائِك إنْ أَهَنْتَ طَبِيبَهُ ... وَاصْبِرْ لِجَهْلِك إنْ جَفَوْت مُعَلِّمَا

وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ عُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ إنْ كَانَتْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْعَالِمُ خَامِلًا؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ قَدْ اسْتَحَقُّوا التَّعْظِيمَ لَا بِالْقُدْرَةِ وَالْمَالِ.

---

(1) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص: 41).

(2) ينظر: آداب العالم والمتعلم من فتح الباري (59).

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ:

لَا تَحْقِـــرَنْ عَالِمًـــا وَإِنْ خَلِقَـــتْ ... أَثْوَابُـــهُ فِـــي عُيُـــونِ رَامِقِـــهِ
وَانْظُـــرْ إِلَيْـــهِ بِعَـــيْنِ ذِي أَدَبٍ ... مُهَـــذَّبِ الـــرَّأْيِ فِـــي طَرَائِقِـــهِ
فَالْمِـــسْكُ بَيْنـــا تَـــرَاهُ مُمْتَهَنًـــا ... بِفِهْـــرِ عَطَّـــارِهِ وَسَـــاحِقِهِ
حَتَّـــى تَـــرَاهُ فِـــي عَارِضَـــيْ مَلِـــكٍ ... وَمَوْضِـــعِ التَّـــاجِ مِـــنْ مَفَارِقِـــهِ"[1]

3 – حبُّهم والتواضع ولين الجانب لهم.

قال حرملة: سمعت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:" لَا يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ أَحَدٌ بِالْمَالِ وَعِزِّ النَّفْسِ فَيُفْلِح، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذِلَّةِ النَّفْسِ وَضِيقِ الْعَيْشِ وَحُرْمَةِ الْعِلْمِ أَفْلَحَ"[2].

وقال الغزالي: "فلا يُنال العلم إلا بالتواضع، وإلقاء السمع"[3].

4 –ترك الوقيعة فيهم.

قال القاضي عياض: "قال سليمان بن سالم: قال لي أبو سنان: إذا كان طالب العلم لا يتعلم أو قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس؛ متى يفلح، وكان لا يتكلم أحد في مجلسه بعينه في أحد، فإذا تكلم بذلك نهاه وأسكته"[4].

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 67).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 412).

(3) إحياء علوم الدين (1/ 50).

(4) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (4/ 104).

وقال جعفر بن سليمان: "سمعت مالك بن دينار يقول: "كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحا، وهو يقع في الصالحين "[(1)].

وقال ابن عساكر: "واعلم -يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم، والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم؛ إذ قال مثنيًا عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليم: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[الحشر:10]. والارتكاب لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب وسب الأموات جسيم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"[(2)].

وقال الذهبي: "وقال الحافظ ابن عساكر: كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيهًا داوديًا، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعته وقد ذُكر مالكٌ، فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدِّرة، وقرأت عليه (الأموال) لأبي عبيد، فقال - وقد مر قول لأبي عبيد -:ما كان إلا حمارًا مغفلاً، لا يعرف الفقه. وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء. فاجتمعنا يومًا

---

(1) شعب الإيمان (9/ 121).

(2) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص: 29).

عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب (الكامل)، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له: فهو السعدي. فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟!

فغضب وأخذته الرعدة، وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر إلى أن تقول فيّ هذا؟! فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك. فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة"(1).

5-ذِكرُهم بالجميل، وردُّ المعروف إليهم وإلى ذويهم.

قال الطحاوي: "وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فهو على غير السبيل"(2).

وقال ابن جماعة: "الرابع: أن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله. قال شعبة: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدًا ما يحيا. وقال: ما سمعت من أحد شيئًا إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه.

ومن ذلك: أن يعظم حرمته، ويرد غيبته، ويغضب له، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس.

---

(1) سير أعلام النبلاء (19/ 581).

(2) متن الطحاوية (ص: 82).

وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه وأودّاءه بعد وفاته، ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه، ويسلك في السمت والهدي مسلكه، ويراعي في العلم والدين عادته، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعباداته، ويتأدب بآدابه ولا يدع الاقتداء به"[1].

ومِن ذِكرهم بالجميل وردِّ بعض جميلهم: الترحم عليهم والدعاء لهم، ونشر آثارهم العلمية وسيرهم العطرة الزكية بين الناس.

6- التزام الأدب في مجالس العلماء.

فـ" مجالس العلماء مجالس الملوك، بل أعظم منها؛ لأن الحديث فيها عن كلام الله ورسوله؛ ولذلك ينبغي مراعاة الأدب في الجلوس فيها حتى يفرق بينها وبين مجالس الدنيا؛ لكي ينال فيها الخير والهدى، فعلى طالب العلم أن يجلس الجلسة التي تناسب الطلب ويلزم الوقار والسكينة. ففي كشف المغطا في فضل الموطا (ص: 31) عن محمد بن عبد الوهاب بن حبيب العبدي قال: سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كنا نأتي مالك بن أنس فنجلس في دهليز له وعليه مصراعان، فتجيء بنو هاشم فتجلس، وتجيء قريش فتجلس على منازلها، ثم نجيء نحن فنجلس، وتخرج جارية له بالمراوح فيأخذ الناس فيتروحون، فتقول: الشيخ بالباب، فتفتحه فيخرج فينظر إلى قريش كأنما على رؤوسهم الطير اذا نظروا إليه إجلالاً، قال: وفي ذلك **يقول الشاعر:**

---

(1) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص: 42).

يـأبى الجـوابَ فمـا يُراجـع هيبـةً ... والـسائلون نـواكسُ الأذقـانِ
أدبُ الوقـارِ وعـزُّ سـلطانِ التُّقـى ... فهـو المطـاعُ ولـيس ذا سـلطانِ"[1]

قال ابن جماعة: "أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ، أو متربعًا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه، ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله، بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدّامه بغير حاجة، ولاسيما عند بحثه له أو عند كلامه معه.

فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت إليها، ولاسيما عند بحث له، ولا ينفض كميه، ولا يحسر عن ذراعيه، ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه، ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه أو يستخرج منها شيئًا، ولا يفتح فاه، ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيديه أو يعبث بأزراره. ولا يسند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة أو درابزين، أو يجعل يده عليها، ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره، ولا يعتمد على يده إلى ورائه أو جنبه، ولا يكثر كلامه من غير حاجة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب، ولا يضحك لغير عجب، ولا يعجب دون الشيخ، فإن غلبه تبسم تبسمًا بغير صوت البتة.

ولا يكثر التنحنح من غير حاجة ولا يبصق ولا يتنخع ما أمكنه، ولا يلفظ

---

(1) ينظر: آداب العالم والمتعلم من فتح الباري (61).

النخامة من فيه بل يأخذها من فيه بمنديل أو خرقة أو طرف ثوبه، ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاء ثيابه، وسكون يديه عند بحثه أو مذاكرته، وإذا عطس خفض صوته جهده وستر وجهه بمنديل أو نحوه، وإذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده"[1].

7- الرفق بالعالم وعدم الإكثار عليه.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (سألت النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثَني بهن، ولو استزدته لزادني)[2].

قوله: (ولو استزدته لزادني)، **قال ابن حجر:** "أي: شفقة عليه؛ لئلا يسأم. وفي الحديث: الرفق بالعالم، والتوقف عن الإكثار عليه؛ خشية ملاله، وما كان عليه الصحابة من تعظيم النبي ﷺ والشفقة عليه"[3].

8- الإنكار على العالم إذا رُئي منه ما يُستنكر، ولكن بأدب ولطف.

فـ" احترام المشايخ والأدب معهم لا يعني السكوت عن الأخطاء الصادرة عنهم، والتي لا تقبل التأويل والتماس الأعذار لهم؛ فالعلماء بشر يصيبون ويخطئون، فإنكار الطالب على شيخه في المسائل التي أخطأ فيها بأدب وهدوء أمر مطلوب شرعاً وأدباً مع العلم والشيخ الذي يتلقى عنه؛ لأن العالم قد يصدر عنه

(1) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص: 44).

(2) رواه البخاري/ كتاب مواقيت الصلاة/ باب فضل الصلاة لوقتها (1/ 197) رقم (504)، ومسلم، (1/ 540) رقم (782).

(3) فتح الباري (2/ 10).

شيء خاطئ كان يظنه صواباً، أو يتكلم بكلام له معنى آخر غير الذي فهم عنه من لفظه حيث لم يسعفه اللفظ الذي نطقه إلى الوصول إلى مراده الصحيح. وقد ينقذ الله العالم بطالبه أو قرينه من مهلكة"(1).

9- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ: أَلَّا تُكْثِرَ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَلَا تُعْنِتَهُ بِالْجَوَابِ، وَأَنْ لَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسِلَ، وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ إِذَا نَهَضَ، وَلَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تَطْلُبَنَّ عَثْرَتَهُ، وَإِنْ زَلَّ قَبِلْتَ مَعْذِرَتَهُ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُوَقِّرَهُ وَتُعَظِّمَهُ لِلَّهِ مَا دَامَ يَحْفَظُ أَمْرَ اللهِ، وَلَا تَجْلِسَنَّ أَمَامَهُ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَبَقْتَ الْقَوْمَ إِلَى خِدْمَتِهِ"(2).

10- قال النووي: "وينبغي أن يعظم شيخه ومن يسمع منه، فذلك من إجلال العلم وأسباب الانتفاع، ويعتقد جلالة شيخه ورجحانه، ويتحرى رضاه، ولا يطول عليه بحيث يضجره، وليستشره في أموره وما يشتغل فيه، وكيفية اشتغاله"(3).

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع العلماء:

هناك طرق لهذه الغاية العظيمة، منها:

1- الاستقامة على طاعة الله تعالى.

فإن الإنسان الطائع على سبيل مستقيمة يحب أهل العلم، ويدين لله بتوقير

(1) آداب العالم والمتعلم من فتح الباري (65).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 519).

(3) التقريب والتيسير للنووي (ص: 82).

العلماء ومشايخ الدين؛ لأنهم أنوار مضيئة في طريقه إلى ربه. والبعيد عن الاستقامة على الدين بعيد عن هذا الأدب.

2-مجالسة أهل العلم.

فالذي لا يجالسهم، بل يصغي أذنيه لتشويههم فإنه سيطبع ذلك في نفسه عنهم صورة منفرة تدعو إلى بغضهم وترك توقيرهم.

لكن من يجالسهم ويرى هديهم وصلاحهم وكثرة الخير فيهم سيحبهم ويجلهم.

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ"(1).

3-قراءة سير العلماء العاملين وأهل الأدب منهم مع مشايخهم.

فإن القراءة في هذا الحقل العلمي تثمر ثمرات جليلة منها: حسن الأدب مع العلماء والمعلمين. وسيأتي في النماذج أمثلة لهذا.

وقد حث أهل العلم على هذا الطريق لصلاح النفس، ومن صلاحها: صلاحها تجاه العلماء، يقول ابن الجوزي: "رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب؛ إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين.

فأما مجرد العلم بالحلال والحرام، فليس له كبير عمل في رقة القلب؛ وإنما ترق

(1) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: 89).

القلوب بذكر رقائق الأحاديث، وأخبار السلف الصالحين؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها"[1].

4-التفكر في العواقب السيئة لسوء الأدب مع العلماء ومعلمي الناس الخير.

فإن من نظر فيها رأى ما يدعوه إلى الأدب الجم مع أهل العلم والتعليم.

5-تعلم دين الله وعلومه النافعة.

فإن بعض من يسوء أدبه مع العلماء يأتيه ذلك من جهله بالعلم وبقدر أهله، أو من دراسته بعض جوانب المعرفة دون دراسة أخلاق طلاب العلم وآدابهم مع حملة العلم في حال صوابهم، وفي حال خطئهم، درسوا عندهم أو لم يدرسوا.
وكم بُليت الأمة اليوم بنماذج سيئة سلطت ألسنة السوء وأقلامه في نهش أهل العلم من مشايخهم وغيرهم، دون انطلاق من قواعد راسخة منيرة في معرفة الأغلاط وكيفية التعامل معها.

خامسًا: ثمرات الأدب مع العلماء ومعلمي الناس الخير:

هناك ثمرات لهذا الأدب، منها:

1-الأدب معهم يساعد على كثرة انتفاع الناس بهم والالتفات إليهم والإفادة مما عندهم.

2- الأدب معهم يدخل السرور عليهم ويحثهم على الاستمرار في بذل الخير للناس.

---

(1) صيد الخاطر (ص: 228).

3 -الأدب معهم يعين على الاقتداء بهم والسير على منوالهم الصالح.

4 - الأدب معهم يجعلهم مرجعًا للمجتمع يستنير بآرائهم ويعتمد على نصحائهم.

5 -يرجى من وراء الأدب معهم ثواب الله تعالى.

لأن هذا العمل من تعظيم شعائر الله، واحترام العلم النافع الذي يحملونه لهداية الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:32].

سادسًا: آثار سوء الأدب مع العلماء ومعلمي الناس الخير:

حين لا ينال العلماء حقهم من الأدب من المجتمع المسلم فإن ذلك ينتج آثاراً سيئة، فمن ذلك:

1 -ضعف هيبة الدِّين من القلوب.

فحين يفشو الطعن في العلماء، وتشويههم والسخرية بهم وسوء الأدب معهم؛ فستسقط من القلوب هيبة الإسلام الذي يحمله أولئك العلماء.

2 -إعراض الناس عن العلماء والرجوع إليهم.

3 -تحقيق غاية أعداء الإسلام الذين عملوا على أن يهبط العلماء عن أعين المسلمين وتنزل مكانتهم عن الاحترام، وعملوا لذلك عدة أعمال لتحقيق هذا الهدف.

3- انتشار الجهل والفساد.

وكيف لا يحصل ذلك وقد انصرف الناس عن تعلم الدين والرجوع إلى أهله، وغُيِّب العلماء عن دورهم، وصار الناس لا يهابونهم ولا يثقون بهم ولا يخشون إنكارهم عليهم.

4- التعدي على العلماء ومحاربتهم بشتى وسائل الحرب دون أن يغار لهم المجتمع المسلم.

5- ابتعاد العلماء عن ساحات التأثير؛ طلبًا للسلامة.

وذلك حين لا يجدون لهم ناصراً، ولا يسمع الناس منهم ولا يستجيبون لهم، فحينئذ يلجأ بعض العلماء إلى السكوت والانزواء؛ خوف الأذى.

6- تغير أخلاق بعض العلماء وذهاب الانتفاع بهم؛ جراء سوء الأدب معهم.

قال السيوطي: "فإن الإضجار يغير الأفهام، ويفسد الأخلاق، ويحيل الطباع. وقد كان إسماعيل بن أبي خالد من أحسن الناس خُلقًا، فلم يزالوا به حتى ساء خلقه.

وروينا عن ابن سيرين أنه سأله رجل عن حديث وقد أراد أن يقوم، **فقال**:

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ ... سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ

قال ابن الصلاح: ويخشى على فاعل ذلك أن يحرم من الانتفاع"(1).

(1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (2/ 590).

و" قد روى الخليلي في الإرشاد عن أبي يوسف القاضي قال: سمعت السلف يقولون: من لا يعرف لأستاذه لا يفلح"[1].

سابعًا: نماذج مشرقة:

1- **عَن** ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ. إِنْ كُنْتُ لَأَقِيلُ بِبَابِ أَحَدِهِمْ، وَلَوْ شِئْتُ أُذِنَ لِي، وَلَكِنْ أَبْغِي بِذَلِكَ طِيبَ نَفْسِهِ"[2].

2- **وعَنْ** أَبِي سَلَمَةَ: "أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَامَ إِلَى زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ، فَأَخَذَ لَهُ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ: تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: إِنَّا هَكَذَا نَفْعَلُ بِعُلَمَائِنَا وَكُبَرَائِنَا"[3].

3- **وعن** حرملة قال: سمعت الشافعي يقول -وذُكر له أصحاب الحديث، وأنهم لا يستعملون الأدب- فقال: "ما أعلم أني أخذت شيئًا من الحديث ولا القرآن أو النحو أو غير ذلك من الأشياء، مما كنت أستفيد؛ إلا استعملتُ فيه الأدب، وكان ذلك طبعي إلى أن قدمت المدينة، فرأيت من مالك ما رأيت من هيبته وإجلاله العلم، فازددتُ من ذلك، حتى ربما كنت أكون في مجلسه، فأصفِّح الورقة تصفحًا رفيقًا؛ هيبةً له؛ لئلا يسمع وقعها "[4].

4- **وقال الربيع بن سليمان:** "والله ما اجترأتُ أن أشرب الماء والشافعيّ ينظر

(1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (2/ 590).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 408).

(3) سير أعلام النبلاء (4/ 72).

(4) توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس " ص (153).

إليَّ؛ هيبةً له"[1].

5- وقال أحمد بن إسحاق الفقيه: "ما رأيت في المحدثين أهيب من إبراهيم بن أبي طالب، كنا نجلس كأن على رءوسنا الطير، لقد عطس أبو زكريا العنبري فأخفى عطاسه، فقلت له سرًا: لا تخف؛ فلست بين يدي الله تعالى"[2].

6- وقال نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: "غَفَرَ اللهُ لَكَ، أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ، تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ فَتَجْلِسُ مَعَهُ -يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ-؟! فَقَالَ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يُتْبَعَ حَيْثُمَا كَانَ"[3].

(1) مناقب الشافعي للبيهقي (2/ 145).

(2) تذكرة الحفاظ (2/ 157).

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 137).

الأدب في الضيافة

الجود صفة حسنة من أحسن صفات الإنسان، وأجمل ما تكون مع من له حق عليه، ورأى كرام الناس أن من أحق الناس بالجود: الضيف.

وقد عد العرب من صفات المدح في المرء: إكرامه لأضيافه، وحسن أدبه معهم، كما جعلوا من صفات الذم فيه: بخله عن قرى ضيفه وسوء أدبه معهم، وأصبحوا حين يمدحون شخصًا يذكرونه بإكرام الضيف، حتى بالغ الفرزدق في العذافر بن زيد، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة حين **قال فيه:**

لعمـرُك مـا الأرزاقُ يـومَ اكتيالهـا ... بـأكثرَ خيـرًا مـن خـوانِ العـذافرِ

ولـو ضـافه الـدجّالُ يلـتمسُ القِـرى ... وحـلّ علـى خبّـازه بالعـساكرِ

بعـدِّةِ يـأجوجٍ ومـأجوجَ جُوّعـا ... لأشـبعهمْ شـهرًا غـداءُ العـذافرِ [1]

بل إنهم غدوا يقدمون الضيف على الولد، وصاروا يفتخرون بإكرامه وجميل الأدب معه، ويخشون أشد الخشية أن يرحل ضيفهم بذمهم.

قال عقبة بن مسكين الدارميّ:

---

(1) البخلاء للجاحظ (ص: 290).

لحـافي لحـافُ الـضّيفِ والبيـتُ بيتُـه ... ولـم يُلهنـي عنـه غـزالٌ مُقنّـعُ
أُحادِثُـه إنّ الحـديثَ مـن القِـرى ... وتعلـمُ نفسي أنـه سـوف يَهجـعُ[1]

وقال الحطيئة يصف أعرابيًا أتاه ضيف:

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مُرمِلٍ ... بتيهاءَ لم يعرف بها ساكنٌ رَسْمَا
أخي جفوةٍ فيه من الإنسِ وحشةٌ ... يرى البؤس فيها مِنْ شراسته نُعمى
وأُفرِدِ في شِعْبٍ عَجوزاً إزاءها ... ثلاثةُ أشباحٍ تخالهمُ بُهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز مَلّةٍ ... ولا عرفوا للبُرِّ مذ خلقوا طَعما
رأى شبحًا وسْط الظّلام فراعهُ ... فلما بدا ضيفًا تهيّأَ واهتمّا
فقال ابنهُ لمَّا رآه بحَيرةٍ ... أيا أبتِ اذبحني ويسِّرْ له طُعما
ولا تعتذرْ بالعُدْمِ عَلَّ الذي طرا ... يظنُّ لنا مالاً فيوسعنا ذمَّا
فروَّى قليلاً ثمَّ أحجمَ برهةً ... وإنْ هو لم يَذبَح فَتاهُ فَقَدْ هَمَّا
وقال: هيا رباهُ ضيفٌ ولا قِرى! ... بحقِّك لا تحرمه تا الليلةَ اللحما
فبينا هُما عَنَّتْ على البُعْدِ عانةٌ ... قد انتظمتْ من خلفِ مِسحلِها نظما
عطاشًا تريدُ الماء فانساب نحوها ... على أنَّه منها إلى دمها أظْمَا
فأمهلها حتى تروَّت عطاشها ... فأرسل فيها من كنانته سهما
فَخرَّتْ نَحُوصٌ ذاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٌ ... قد اكتنزت لحمًا وقد طُبِّقتْ شحما

(1) أمالي ابن الشجري (2/ 500).

فيـــا بِـــشرهُ إذ جرَّهـــا نحـــو أهلِـــه ... ويـا بِـشْرَهمْ لمّـا رأوْا كَلْمَهـا يَـدْمَى
فبـاتوا كِرامـًا قـد قَـضَوْا حَـقَّ ضَـيْفَهمْ ... ولـم يَغرَمـوا غُرمـًا وقـد غَنِمـوا غُنمـا
وبـــات أبـــوهمْ مـــن بـــشاشته أبـــًا ... لــضيفهمُ والأُمُّ مــن بِــشْرها أُمَّــا[1]

ولما جاء الإسلام أكد الدعوة إلى إكرام الضيف، وجعل له حقًا على من نـزل به، حتى قال العلماء: إن الضيافة مستحبة، وقال آخرون منهم: بل واجبة.

قـال النـووي: "وقـد أجمـع المـسلمون علـى الـضيافة وأنهـا مـن متأكـدات الإسلام. ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى والجمهور: هـي سنة ليست بواجبة، وقال الليث وأحمد: هي واجبة يومًا وليلة. قال أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي واجبة يومًا وليلة على أهل البادية، وأهل القرى دون أهل المدن"[2].

وقال الشوكاني: "والحق وجوب الضيافة لأمور: الأول: إباحة العقوبة بأخـذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجـب. والثاني: التأكيـد البـالغ بجعـل ذلك فرع الإيمان بالله واليوم الآخر، ويفيد أن فعـل خلافـه فعـل مـن لا يـؤمن بـالله واليوم الآخر، ومعلوم أن فروع الإيمان مـأمور بهـا، ثـم تعليـق ذلـك بـالإكرام وهـو أخص من الضيافة فهو دال على لزومهـا بـالأولى. والثالـث: قولـه: (فمـا كـان وراء ذلك فهو صدقة) فإنه صريح أن ما قبل ذلـك غيـر صـدقة، بـل واجـب شـرعا. قـال الخطابي: يريد أنه يتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر وألطاف، ويقدم له في

(1) ديوان الحطيئة (ص: 136).
(2) شرح النووي على مسلم (12/ 30).

اليوم الثاني ما كان بحضرته ولا يزيد على عادته، فما جاوز الثلاث فهو معروف وصدقة إن شاء فعل وإن شاء ترك"[1].

وقد بلغ بعض الصالحين من إكرام الضيف ما جاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "إِنَّ زَكَاةَ الرَّجُلِ فِي دَارِهِ أَنْ يَجْعَلَ فِيهَا بَيْتًا لِلضِّيَافَةِ"[2].

وقال شقيق البلخي: "ليس شيءٌ أحب إلي من الضيف؛ لأن مؤونته على الله تعالى، ومحمدته لي، وقال يحيى بن معاذ: لو كانت الدنيا لقمةً في يدي لوضعتها في فم ضيفي"[3].

إننا حين نذكر حق الضيف وندعو إلى إكرامه وحسن الأدب معه لابد أن نقول كذلك عدلاً وإنصافًا: وعلى الضيف كذلك أن يحسن تعامله مع مضيفه، ويفقه آداب الضيافة؛ لأن هناك ضيوفًا ثقلاء، لا يعرفون كيف السلوك الحسن مع المضيف.

وهذا من شأنه أن يضيّق دائرة إكرام الضيف بين الناس، حتى غدا بعض الأضياف على البيوت همًا ثقيلاً لدى أهلها، فأدى ذلك إلى تكدير الصفاء وحصول الضغينة والقطيعة.

لذلك سيكون حديثنا في هذا الأدب عن آداب المضيف وآداب الضيف، ويكون الكلام على النحو الآتي:

---

(1) نيل الأوطار (8/ 179).

(2) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 47).

(3) التمثيل والمحاضرة (ص: 430).

أولاً: تعريف أدب الضيافة:

هو: لزوم أقوال وأفعال حسنة من الضيف مع مضيفه، ومن المضيف مع ضيفه من كرم اللقاء ولطف المعاملة التي يأمر بها الشرع الحكيم، والخلق الكريم.

ثانيًا: أسباب العناية بأدب الضيافة:

هناك أسباب تدعونا إلى الحديث عن هذا الأدب العظيم، منها:

1- أن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق التي يتسابق إليها نبلاء الناس وعِليتُهم ويفتخرون بها.

"**قال الأصمعي**: سألت عنبسة بن وهب الدارمي عن مكارم الأخلاق فقال: أما سمعت **قول عاصم بن وائل المنقري**:

وإنا لنَقري الضيف قبل نزوله ... ونُشبعه بالبِشْر من وجهِ ضاحكِ[1]

وقال حاتم الطائي المشهور بإكرام الضيف:

أيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ ... وَيَا ابْنَةَ ذِي الجدَّيْنِ وَالفَرَسِ الوَرْدِ
إِذَا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيْلًا فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وحْدِي
قَصِيًّا كَرِيْمًا أَو قَرِيْبًا فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيْثِ مِنْ بَعْدِي
وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ ما دام ثاويًا ... وما فيّ إلاّ تلكَ من شيمةِ العَبدِ[2]

---

(1) التذكرة الحمدونية (2/ 228).

(2) ديوان حاتم الطائي (ص: 19).

2-إكرام الضيف شعيرة من شعائر ديننا، وحق مأمور به فيه.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ تَبْعَثُنَا، فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ لاَ يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَنَا: (إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**)[2].

3-ظهور التقصير الكبير في هذا الأدب من قبل كثير من الناس، لاسيما في المدن والحواضر، أما في القرى والبوادي فلازالت لهذا الأدب أعلام بادية.

4-قلة فقهِ الضيوف آدابَ الضيافة.

فهناك ضيوف لا يعلمون من الضيافة إلا أن على المضيف حقًا في إكرامهم والإحسان إليهم، دون أن يفقهوا أن هناك آدابًا عليهم أن يلتزموا بها أيضًا.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ**)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: (**يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ**)[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (لِلضَّيْفِ عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ

---

(1) رواه البخاري(2461)، ومسلم(1727).

(2) رواه البخاري(6135)، ومسلم(47).

(3) رواه مسلم(48).

مِنَ الْحَقِّ ثَلَاثٌ، فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَعَلَى الضَّيْفِ أَنْ يَرْتَحِلَ لَا يُؤْثِمُ أَهْلَ مَنْزِلِهِ)[1].

5-شكوى عدد من الناس من الضيوف والمضيفين في قلة التحلي بآداب الضيافة.

فهناك ضيوف لا يلقون ما ينبغي لهم من الإكرام والأدب عند من أضافهم.

وهناك أرباب منازل يشكون من سوء أدب بعض الأضياف، وقلة مراعاتهم لمشاعرهم وحقوقهم.

ثالثًا: صور أدب الضيافة:

سنقسم هذه الصور إلى قسمين:

القسم الأول: صور أدب المضيف:

1-أن لا يهمل دعوة أقاربه وجيرانه وخلّانه، لاسيما في الضيافة العامة التي تكون ذات مناسبة؛ لأن تركهم من ذلك يوغر الصدور ويدعو إلى القطيعة.

قال الغزالي: "وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته؛ فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه؛ فإن في تخصيص البعض

---

(1) رواه أبو يعلى(6134)، والبزار(9674)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(346)، قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبزار، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات". "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 176)، وقال الألباني: " صحيح لغيره" صحيح الترغيب والترهيب (2/ 694).

إيحاشًا لقلوب الباقين"[1].

فإن جاوزت الدعوة بعض الأقارب والأصدقاء فليلتمسوا لصاحبها العذر؛ فقد يكون ذلك عن نسيان، أو مصلحة معتبرة لديه.

2-أن لا يدعو من تشق إجابته.

كأن يكون في مكان بعيد، أو يكون في وقت الدعوة مشغولاً بأمر يهمه، ولكن إذا ظن أنه سيجد في نفسه عليه فيكفي إعلامه بالدعوة.

"قال ابن الجوزي: لا ندعو من تشق عليه الإجابة"[2].

3 - أن لا يدعو من يتأذى الحاضرون بحضوره؛ لفحشه أو ظلمه أو سوء أدبه، أو غير ذلك.

4-ترك الحلف على الضيف.

فربما يكون لديه موانع من الإجابة. وقد يحلف بعضهم بالحرام والطلاق، وهذه مصيبة فوق أخرى.

4-طلاقة الوجه وحسن استقبال الضيف.

سئل الأوزاعي: مَا إكرام الضيف؟ قَالَ: طلاقة الوجه، وطيب الكلام[3].

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 13).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 295).

(3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 261).

وقالت العرب: "تمام الضيافة: الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة"[1].

قال الشاعر:

سَلِي الطَّارِقَ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ خَالِدٍ ... إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمِجْزَرِي

أَأَبْذُلُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى ... وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُمْ دُونَ مُنْكَرِي[2]

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: أَضَافَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ طَارِقًا فَنَحَرَ لَهُ، **فَقَالَ:**

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي السَّمَاءِ طُرُوقُ

تَأَلَّقَ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمُزْنِ وَادِقٍ ... لَهُ هَيْدَبٌ جَمُّ السِّجَالِ دَفُوقُ

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ

أَضَفْتُ فَلَمْ أُفْحِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ ... لِأَحْرِمَهُ: إِنَّ الْفِنَاءَ يَضِيقُ

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ[3]

وقال الآخر:

وإني لطلْقُ الوجهِ للمبتغي القِرى ... وإنّ فنائي للقرى لرحيبُ

أضاحِكُ ضيفي عند إنزالِ رَحلِهِ ... فيخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ[4]

---

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 192).

(2) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 22).

(3) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 40).

(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 261).

وقال آخر:

إذَا الْمَـرْءُ وَافَـى مَنْـزِلًا مِنْـكَ طَالِبًـا ... قِـرَاكَ وَأَرْمَتْـهُ إِلَيْـكَ الْمَسَـالِكُ
فَكُـنْ بَاسِـمًا فِـي وَجْهِـهِ مُـتَهَلِّلًا ... وَقُـلْ مَرْحَبًـا أَهْـلًا وَيَـوْمٌ مُبَـارَكُ
وَقَـدِّمْ لَـهُ مَـا تَـسْتَطِيعُ مِـنْ الْقِـرَى ... عُجُـولًا وَلَا تَبْخَـلْ بِمَـا هُـوَ هَالِـكُ
فَقَـدْ قِيـلَ بَيْـتٌ سَـالِفٌ مُتَقَـدِّمٌ ... تَدَاوَلَـهُ زَيْـدٌ وَعَمْـرٌو وَمَالِـكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ الْقِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ[1]

5- الحديث مع الضيف واختيار ما يحبه منه؛ فإن حسن الحديث هو الشطر الآخر من القرى.

قَالَ الشَّمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ:

إِنَّـكَ يَـا ابْـنَ جَعْفَـرٍ نِعْـمَ الْفَتَـى ... وَنِعْـمَ مَـأْوَى طَـارِقٍ إِذَا أَتَـى
وَرُبَّ ضَـيْفٍ طَـرَقَ الْحَـيَّ سُـرًى ... صَـادَفَ زَادًا وَحَـدِيثًا مَـا اشْـتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى

قَالَ خَلَفٌ: وَمِنَ سُنَّةِ الْأَعْرَابِ إِذَا حَادَثُوا الْغَرِيبَ وَنَهِمُوا إِلَيْهِ وَفَاكَهُوهُ أَيْقَنَ بِالْقِرَى، وَإِذَا أَعْرَضُوا عَنْهُ أَيْقَنَ بِالْحِرْمَانِ، فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى[2].

(1) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (2/ 151).
(2) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 23).

قال الإبشيهي: "ومن آداب المضيف: أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وأن لا يحدث بما يروعهم به. كما حكي عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه إلى بستانه، وعمل لهم سماطًا، وكان له ولد جميل الطلعة، فكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويأنسون به، ففي آخر النهار صعد إلى السطح، فسقط فمات لوقته، فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكي إلى أن تصبح، فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده، **فقال:**

هو نائم، فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم: إن رأيتم أن نصلي على ولدي؛ فإنه بالأمس سقط من على السطح، فمات لساعته، فقالوا له: لم لا أخبرتنا حين سألناك؟

فقال: ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في التذاذهم، ولا يكدر عليهم في عيشهم، فتعجبوا من صبره وتجلده، ومكارم أخلاقه، ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه، وبكوا عليه وانصرفوا"[1].

6-ترك التكلف في إكرام الضيف.

عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (**لَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ لِضَيْفِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ**)[2].

---

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 192).

(2) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (1/ 82)، وهو حسن.

وعَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي عَلَى سَلْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَقَرَّبَ إِلَيْنَا خُبْزًا وَمِلْحًا فَقَالَ: "لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا عَنِ التَّكَلُّفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ"(1).

وقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: "إِذَا نَزَلَ بِكَ ضَيْفٌ فَلَا تَكَلَّفْ لَهُ مَا لَا تُطِيقُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ إِطْعَامِ أَهْلِكَ، وَالْقَهُ بِوَجْهٍ طَلْقٍ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكَلَّفْ لَهُ مَا لَا تُطِيقُ أَوْشَكَ أَنْ تَلْقَاهُ بِوَجْهٍ يَكْرَهُهُ"(2).

وعن عُبَيْدِ بْنِ جُنَادٍ قال: سَمِعْتُ الْمُفَضَّلَ، وَصِيَّ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ يَقُولُ: "إِنَّمَا تَقَاطَعَ النَّاسُ بِالتَّكَلُّفِ"(3).

وقال بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيّ: "إِذَا أَتَاكَ ضَيْفٌ فَلَا تَنْتَظِرْ بِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، وَتَمْنَعْهُ مَا عِنْدَكَ، قَدِّمْ إِلَيْهِ مَا حَضَرَ، وَانْتَظِرْ بِهِ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مَا تُرِيدُ مِنْ إِكْرَامِهِ"(4).

"**وسُئل أقْرى أهلِ اليمامة للضيف:** كيف ضبطتم القِرى؟ قال: بأن لا نتكلّفَ ما ليس عندنا"(5).

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط(5935) والكبير(6083)، الحاكم(7146)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَلَهُ شَاهِدٌ بِمِثْلِ هَذَا الْإِسْنَادِ"، ووافقه الذهبي. **وقال الهيثمي:** "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الطوسي، وهو ثقة". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 179).

(2) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 37).

(3) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 45).

(4) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 46).

(5) الذخائر والعبقريات (1/ 131).

7-القيام بمدة الضيافة المذكورة في السنة واحتساب الصدقة فيما زاد على ذلك.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**) قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**)(1).

قال النووي: "قال العلماء: معناه الاهتمام به في اليوم والليلة، وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف"(2).

8- أن يستمر المضيف في الأكل حتى يشبع الضيف؛ إذ لو قام المضيف قبل ضيفه لاستحيا الضيف ونهض قبل أن يقضي نهمته من الأكل.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا)(3).

وقال ابن عبد البر عند حديث أنس بن مالك: "قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟..."

---

(1) رواه البخاري(6019)، ومسلم(48).

(2) شرح النووي على مسلم (12/ 31).

(3) رواه البيهقي (9187) **قال البيهقي**: "قُلْتُ: وَهَذَا مُرْسَلٌ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى الْحَدِيثُ الثَّابِتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ**". شعب الإيمان (12/ 146). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (12/ 547).

الحديث: "وفيه إباحة الشبع للصالحين، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان آخرهم أكلاً، وذلك من مكارم الأخلاق"[1].

9-ترك المباهاة بضيافته وقصدِ التفاخر وحب الصيت.

قال الغزالي: "وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر، بل استمالة قلوب الإخوان، والتسنن بسنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين"[2].

وقال أيضًا: قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه. وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة[3].

10 -استحباب فطر المضيف في الصيام المستحب من أجل ضيفه؛ لما في ذلك من الإيناس. ما لم يشق عليه ذلك.

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)**[4].

"**والزَّائر هو:** الضَّيف، ففيه أنَّ ربَّ المنزِل إذا نزَل به ضَيْفٌ يُفطِر لأجله؛ إيناسًا له وبَسْطًا"[5].

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (1/ 292).
(2) إحياء علوم الدين (2/ 13).
(3) إحياء علوم الدين (2/ 17).
(4) رواه البخاري(1974)، ومسلم(1159).
(5) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (6/ 443).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: (**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**). قَالَ: فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الدُّخَانُ نَهَارًا إِلَّا إِذَا نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ[1].

وعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَلْمَانَ بْنَ مُوسَى: "أَكَانَ يُفْطِرُ الرَّجُلُ لِضَيْفِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يُرَخِّصُ لِلرَّجُلِ الصَّائِمِ إِذَا نَزَلَ بِهِ الضَّيْفُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيَقْضِيَ يَوْمًا مَكَانَهُ"[2].

11-خدمة الضيف بما يحتاج إليه مدة ضيافته.

قال أبو حاتم: "ومن إكرام الضيف: طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس؛ فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم، أو طلب لِقراه أجرا"[3].

وقال إبراهيم بن الجنيد: "كان يقال: أربع للشّريف لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميرا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم يتعلم منه، وإن سئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم"[4].

---

(1) رواه ابن حبان(3425)، وابن أبي شيبة(8895)، وهو صحيح.

(2) مصنف ابن أبي شيبة (2/ 340).

(3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 261).

(4) الإمتاع والمؤانسة (ص: 202).

وقال المقنع الكندي:

وإنّـي لعبـدُ الـضَّيْف مَـا دَامَ ثاويًـا وَمَـا شِـيمَة لـي غَيرهَـا تـشبه العبـدا[1]

12 – اختيار أحسن المجالس للضيف.

"**قال أبو عبيد القاسم بن سلام:** زرت أحمد بن حنبل، فلما دخلت عليه بيته قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس يقال: صاحب البيت والمجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه؟ قال: نعم، يقعد ويقعِد من يريد. قال: قلت في نفسي: خذ يا أبا عبيد، إليك فائدة. ثم قلت: يا أبا عبد الله، لو كنت آتيك على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم، فقال: لا تقل ذلك؛ فإن لي إخوانًا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم. قلت: هذه أخرى يا أبا عبيد. فلما أردت القيام قام معي قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، قال: فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر: أن تمشي معه إلى باب الدار، وتأخذ بركابه. قال: قلت يا أبا عبد الله، من عن الشعبي؟ قال: ابن زائدة عن مجالد عن الشعبي. قال: قلت: يا أبا عبيد، هذه ثالثة"[2].

13 –أن لا يكدِّر ضيوفه بقول أو فعل، جداً كان أو هزلا.

" فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن، ولا يغضب على أحد بحضورهم، ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه، ولا يعبس بوجهه ولا يظهر

---

(1) الحماسة البصرية (2/ 31).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 238).

نكدا، ولا ينهر أحدًا ولا يشتمه بحضرتهم، بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن"[1].

14- إيثار الضيف بما يحب من طعام وشراب وفراش وغير ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا)**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **(ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا)** فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[الحشر:9][2].

15- تعجيل الطعام وعدم تأخيره؛ فإن التأخير من غير عذر صحيح يؤذي الضيف.

قال الغزالي: "وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة:

الأول: تعجيل الطعام؛ فذلك من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)**.

---

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 192).

(2) رواه البخاري(3798)، ومسلم(2054) واللفظ له.

ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود؛ فحق الحاضر في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير، إلا أن يكون المتأخر فقيرًا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير، وأحد المعنيين في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[الذاريات:24] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[هود:69]. وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[الذاريات:26].

والروغان: الذهاب بسرعة، **وقيل:** في خفية، **وقيل:** جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلاً لأنه عجله ولم يلبث.

قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة؛ فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب"[1].

16 -ترتيب الطعام حسب عادة الضيف.

فإن كان من عادة الضيف تقديم صنف من أصناف الطعام أو الشراب قدمه على غيره، كمن عادته تقديم الفاكهة على سائر الطعام، وإن كان من عادته تأخيرها أخرها.

قال الغزالي -وهو يذكر آداب إحضار الطعام-: "**الثاني:** ترتيب الأطعمة، بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت؛ فذلك أوفق في الطب؛ فإنها أسرع استحالة، فينبغي

(1) إحياء علوم الدين (2/ 16).

أن تقع في أسفل المعدة.

وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة:20]، ثم قال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[الواقعة:21]، ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة: اللحم والثريد"(1).

17 - تقديم الطعام دفعة واحدة؛ ليختار الضيف ما شاء.

قال الغزالي: "الثالث: أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد، ولا يكثر الأكل بعده. وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة؛ فإنه حيلة في استكثار الأكل. وكان من سنة المتقدمين: أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة،ويصففوا القصاع من الطعام على المائدة؛ ليأكل كل واحد مما يشتهي،

وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره؛ ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه.

ويحكى عن بعض أصحاب المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان...وقال آخر: كنا جماعة في ضيافة، فقدِّم إلينا ألوان من الرؤوس المشوية طبيخًا وقديدًا، فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونًا أو حملاً، فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ- وكان مزاحًا-: إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤوسًا بلا أبدان. قال: وبتنا تلك الليلة جياعًا نطلب فتيتًا إلى السحور؛ فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده"(2).

(1) إحياء علوم الدين (2/ 13).

(2) إحياء علوم الدين (2/ 17).

18 - أن يقدم ما يكفيهم بلا إسراف ولا تقتير.

" فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة، والزيادة عليه تصنع ومرآءة..." وكان" لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط؛ لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة، ولا يأكلون تمام الشبع"(1).

19 -تنويع الطعام بقدر الحاجة، ولاسيما من الجيد منه.

فقد لا يعجب الضيفَ صنفٌ، ويعجبه صنف آخر وبذلك يتم شبعه.

" **قيل للأوزاعي**: رجل قدّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون، وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

قال أبو ذؤيب:

لا درَّ درِّيَ إن أطعمتُ نازلهمْ ... خبزَ الشَّعيرِ وعندي البرُّ مكنوز"(2)

20 - الأكل مع الضيف من خوان واحد؛ فإن ذلك أدعى للأُنس وأبلغ في الإكرام والإعظام.

وكان العرب " لكرمهم يفضلون الاجتماع على الأكلِ، ويستقبحون التفرّد"(3).

(1) إحياء علوم الدين (2/ 17).

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: 62).

(3) الذخائر والعبقريات (1/ 134).

20- أن لا يبادر إلى رفع نوع الطعام قبل تمكنهم من قضاء حاجتهم منه.

قال الغزالي: "الرابع: أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء؛ حتى يرفعوا الأيدي عنها؛ فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه، أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة"[1].

21- أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار.

لأن هذا من دلائل الفرح بنزول الضيف وإعظامه.

قال الغزالي: "فأما الانصراف فله ثلاثة آداب:

الأول: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة، وذلك من إكرام الضيف"[2].

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال:" إن من السنة: إذا دعوت أحدًا إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج"[3].

22- السمر مع الضيف في الحديث الصالح إن أحب ذلك وكان لا يشق على المضيف.

وقد بوب الإمام البخاري: "بَاب السَّمَرِ مَعَ الضَّيْفِ وَالأَهْلِ"[4]، وساق تحته قصة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وضيوفه من أهل الصفة.

(1) إحياء علوم الدين (2/ 17).
(2) إحياء علوم الدين (2/ 18).
(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 238).
(4) صحيح البخاري (1/ 124).

23–تفقد دابة الضيف ووضعها في المكان اللائق بها.

وهذا يشمل اليوم المراكب الحديثة، فالمضيف يختار لسيارة ضيفه موقفًا آمنًا بعيداً عن طريق الناس، ومواقفهم الخاصة. وهذا من تمام الكرم.

قال الأبشيهي: "ومن آداب الضيف: أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل إكرام الضيف، **قال الشاعر:**

مطيّةُ الضيفِ عندي تلو صاحبِها   لن يأمنَ الضيفُ حتى تُكرِمِ الفرسا"[(1)]

24–عدم استخدام الضيف حتى ولو كان المضيف كبير الشأن، بل ذلك يعد من الإهانة.

فليس من الأدب والإكرام: أن يقول المضيف لضيفه: افعل كذا وأحضر كذا.

إلا إذا نهض ضيف بنفسه من بين الأضياف لخدمة ما؛ لقلة من يساعد رب المنزل في القيام بحق ضيوفه فلا بأس.

قال رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: "سَهِرْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَةً فَجَفَّ الْقِنْدِيلُ مِنَ الدُّهْنِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَ الْغُلَامَ فَصَبَّ فِي الْقِنْدِيلِ مِنَ الدُّهْنِ، قَالَ لَهُ: قَدْ دَأَبَ يَوْمَهُ وَإِنَّمَا أَخَذَ فِي نَوْمِهِ السَّاعَةَ، قُلْتُ: أَفَلَا أَقُومُ أَنَا فَأَصُبُّ فِي الْقِنْدِيلِ مِنَ الدُّهْنِ؟ قَالَ: لَا. فَقَامَ هُوَ فَصَبَّ فِي الْقِنْدِيلِ مِنَ الدُّهْنِ ثُمَّ رَجَعَ، ثُمَّ قَالَ: قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. يَا رَجَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ مُرُوءَةِ الرَّجُلِ اسْتِخْدَامُ ضَيْفِهِ "[(2)].

---

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 192).

(2) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: 238).

القسم الثاني: صور أدب الضيف:

1 -أن يحرص على إجابة من دعاه لضيافته؛ فإن ذلك من أسباب تآلف القلوب، إلا إذا كان له عذر صحيح من ترك إجابته.

فالإجابة سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع، قال ﷺ: **(لو دعيت إلى كُراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت)**.

وللإجابة خمسة آداب:

الأول: أن لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير. فذلك هو التكبر المنهي عنه، ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء، وهو خلاف السنة، كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين.

ومر الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطريق وقد نشروا كِسرًا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته، فسلم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: نعم، إن الله لا يحب المستكبرين. فنزل وقعد معهم على الأرض، وأكل ثم سلم عليهم وركب، وقال: قد أجبتكم فأجيبوني قالوا: نعم، فوعدهم وقتًا معلومًا فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام، وجلس يأكل معهم.

الثاني: أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة؛ لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك.

الثالث: أن لا يمتنع لكونه صائمًا، بل يحضر، فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر، وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل، وذلك في صوم التطوع.

وقد قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: من أفضل الحسنات: إكرام الجلساء بالإفطار، فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق.

الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر.

الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا، بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للآخرة؛ وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله: (**لو دعيت إلى كراع لأجبت**) وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله ﷺ: (**من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله**) وينوي إكرام أخيه المؤمن.

وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتاحبين في الله؛ إذ شرط رسول الله ﷺ فيه التزاور[1].

2- استئذان الضيفِ المضيفَ إن كان مع الضيف أحد آتٍ معه.

لأن المضيف قد لا يكون معه طعام كاف للجميع، أو يكون منزله ضيقًا، أو يريد أن يسارّ ضيفه وحده.

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 13-15) بتصرف.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شُعَيْبٍ، كَانَ لَهُ غُلامٌ لَحَّامٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ: اصْنَعْ لِي طَعَامَ خَمْسَةٍ لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَأَبْصَرَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الجُوعَ، فَدَعَاهُ فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**إِنَّ هَذَا قَدِ اتَّبَعَنَا، أَتَأْذَنُ لَهُ؟**)، قَالَ: نَعَمْ[1].

3- اختيار الوقت المناسب للزيارة وإعلام المضيف بذلك قبل النزول به؛ حتى يستعد لحسن استقباله وإكرامه.

وليس من الأدب أن يفجأ المرء أخاه بضيافته؛ فقد لا يكون عنده وقت للقيام بحقه، أو لديه موانع أخرى لا يستطيع معها أن يكرم من نزل به.

4- أن يترك تصدر المجلس واختيار أحسن المواضع فيه؛ فربما يكون ذلك المكان هو مجلس رب المنزل أو ضيفٍ كبير ذي شأن.

وإنما عليه أن يجلس حيث انتهى به المجلس أو أجلسه المضيف.

5- أن يدع الجلوس في المكان المقابل للباب أو الذي يرى فيه حركة أهل المضيف أو يسمع أصواتهم فيه.

6- أن لا يطيل النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، ولا يحدق في السفرة التي تساق إليها أصنافه؛ فإن ذلك دليل الشره والطمع.

7- أن لا يتصرف في الطعام بأكل أو ترتيب أو صنع شيء ما إلا بإذن المضيف.

---

(1) رواه البخاري(2456)، ومسلم(2036).

8-أن يترك السؤال عن الأطعمة من أين هي ومن طبخها ونحو ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَأَطْعَمَهُ طَعَامًا، فَلْيَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِ، وَلَا يَسْأَلْهُ عَنْهُ، فَإِنْ سَقَاهُ شَرَابًا مِنْ شَرَابِهِ، فَلْيَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ، وَلَا يَسْأَلْهُ عَنْهُ**)[1].

9-أن يترك كثرة التلفت والتحديق في نواحي المنزل في أثاثه وبنائه وغيرهما، أو السؤال عما يتعلق بذلك؛ فإن المضيف قد يشعر من هذه التصرفات بوجود حسد من ضيفه له، فيتمنى أنه لم يدع ذلك الضيف إلى منزله.

10- أن يترك الإفراط في الأكل، لاسيما إذا كان الطعام قليلاً والآكلون كثيرين.

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لاَ يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لاَ تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**)[2].

11-أن يحذر قبح المؤاكلة.

بل يستعمل الآداب النبوية في الأكل؛ مثل: الأكل والشرب باليمين، وعدم

(1) رواه أحمد(9184)، والطبراني في الأوسط(5305)، والدارقطني(4675)، والحاكم (7160)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَحْدَهُ". **وقال الهيثمي:** "رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه مسلم بن خالد الزنجي وثقه ابن معين وغيره وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجالهما رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 180).

(2) رواه البخاري(5393).

الشرب من فم السقاء والتنفس فيه، والأكل مما يليه، واستعمال النظافة في تناول الطعام، وعدم إبقاء آثار الطعام على الأصابع وحوالي الفم.

12 - أن يبادر إلى الأكل والشرب؛ تطييبًا للمضيف حتى ولو كان ذا شبع وري.

ويمكن أن يتناول من ذلك القليل حتى يبعد عن مضيفه سوء الظنون.

فـ" ترك الأكل عند الإباحة إساءة ودليل على العداوة، حتى أوجس الخليل صلوات الله عليه خيفة في نفسه من الضيف إذ لم يأكلوا من ضيافته" قال تعالى: ﴿**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**﴾[الذاريات:27-28]"[1].

13 -أن لا يتقدم على صاحب البيت في إمامة الصلاة.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)**[2].

إلا إذا طلب صاحب البيت منه ذلك.

14 -أن يحذر أن يتلف شيئًا أو يعطله أو يسرقه من بيت الضيافة.

سواء كان ذلك من الضيف أم زوجته أم أولاده أم رفاقه.

---

(1) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (2/ 165).

(2) رواه مسلم(673).

15-أن يترك الضيف الحديث الذي يغضب زوجة المضيف ويسبب له مشكلات معها.

فقد يضعف الحياء عند بعض الأضياف حين يطلق لسانه بالحديث عن أمور الفراش والمعاشرة الزوجية، ويصل ذلك إلى مسمع النساء داخل البيت، أو يتحدث عن تزويج رب المنزل، أو يمزح بالكذب بأن للمضيف زوجة أخرى حين يعلم أن كلامه يبلغ زوجة مضيفه.

16-أن لا يطيل الإقامة في منزل الضيافة.

إلا إذا كان لأمر يستدعي ذلك وكان برضا من أضافه أو رغبته.

وإذا أراد الانصراف فليستأذن المضيف.

قال الغزالي: "**الثالث**: أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه، ويراعي قلبه في قدر الإقامة، وإذا نزل ضيفًا فلا يزيد على ثلاثة أيام، فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه. نعم لو ألحّ رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك"[1].

17- أن ينصرف الضيف طيبَ النفس وإن جرى في حقه تقصير، فذلك من حسن الخلق والتواضع منه[2].

18-أن يحفظ لسانه عن ذم صاحب المنزل إن رأى منه ما يكره ويحفظ أسراره ويستر عوراته.

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 18).

(2) إحياء علوم الدين (2/ 18).

رابعًا: طرق الوصول إلى أدب الضيافة:

1-تعلم الشريعة الإسلامية والعمل بها؛ فإن شريعتنا أولت هذا الأدب عناية كبيرة.

2-القراءة في كتب الأدب والأخلاق والتاريخ والتراجم والسير؛ ففيها قصص ومواقف تستحث المرء على لزوم هذا الأدب.

3-مجالسة أهل الكرم ومرافقة من يقدِّرون هذا الأدب حق قدره مضيفين كانوا أو وضيوفا.

4-الحرص على طلب الثواب؛ فإن في هذا الأدب ما يوصل إلى جزيله.

5-معالجة طبائع السوء في النفس وتغييرها إلى خلائق حسنة.

6-الانتفاع من رؤية أخلاق الناس.

"قيل لبعض الكرماء: كيف اكتسبت مكارم الأخلاق، والتأدب مع الأضياف؟ فقال: كانت الأسفار تحوجني إلى أن أفد على الناس، فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته، وما استقبحته اجتنبته"(1).

خامسًا: ثمرات العمل بأدب الضيافة:

1-الظفر بالأجر إن شاء الله.

2- تفريج كربات بعض الضيوف.

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 191).

3–استمرار معروف الضيافة بين الناس.

لأن بعض المضيفين قد يقطع ضيافته بسبب سوء أدب بعض الضيوف، ولكن متى كانوا ذوي أدب فإن هذا المعروف سيبقى.

4–تعميق المحبة بين الناس.

5– نيل حب الناس وثنائهم والرفعة بينهم وبقاء السمعة الطيبة فيهم، والظفر بقضاء هذا المعروف؛ إذ جزاء الإحسان الإحسان.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ:" كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ إِذَا أَمْسَوْا انْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالرَّجُلِ، وَالرَّجُلُ بِالرَّجُلَيْنِ، وَالرَّجُلُ بِالْخَمْسَةِ، فَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْطَلِقُ بِثَمَانِينَ كُلَّ لَيْلَةٍ "[1].

قال أَبُو حاتم: "إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام، والمواظبة على قري الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى، ومن أعظم مراتب ذوي الحجا، ومن أحسن خصال أولي النهى، ومن عُرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب، وقصده الراضي والعاتب، وقري الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلى منتهى بغيته، ونهاية محبته، ويشرفه برفيع الذِّكر وكمال الذخر"[2].

سادسًا: أضرار سوء الأدب في الضيافة:

1–انقطاع المعروف بين الناس

---

(1) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 29).

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 258).

2 –دنو منزلة المرء عند الخلق.

3 –فوات الأجر.

4 –الإشقاق على بعض الناس المحتاجين إلى الضيافة.

5 –بقاء السيرة السيئة بين البشر لمن أساء ضيفًا كان أو مضيفًا.

سابعًا: نموذج مشرق:

إبراهيم عليه السلام:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: "كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلَ مَنْ أَضَافَ الضَّيْفَ"(1).

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود:69-70].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات:24-28].

قال ابن القيم:" فَفِي هَذَا الثَّنَاءُ على إِبْرَاهِيم من وُجُوه مُتعَدِّدَة:

أَحدهَا: أَنه وصف ضَيفه بِأَنَّهُم مكرمون، وَهَذَا على أحد الْقَوْلَيْنِ أَنه إكرام

(1) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (ص: 18).

إِبْرَاهِيم لَهُم. وَالثَّانِي: أَنهم المكرمون عِنْد الله. وَلَا تنَافِي بَين الْقَوْلَيْنِ؛ فالآية تدل على الْمَعْنيين.

الثَّانِي: قَوْله تَعَالَى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فَلم يذكر استئذانهم. فَفِي هَذَا دَلِيل على أَنه ﷺ كَانَ قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم، فَبَقِي مَنْزِلُ ضَيْفِهِ مطروقًا لمن ورده لَا يحْتَاج إِلَى الاسْتِئْذَان، بَلْ اسْتِئْذَانُ الدَّاخِلِ دُخُولُهُ. وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنْ الْكَرَمِ.

الثَّالِث: قَوْله لَهُم: ﴿سَلَامٌ﴾ بِالرَّفْع وهم سلمُوا عَلَيْهِ بِالنّصب، وَالسَّلَام بِالرَّفْع أكمل؛ فَإِنَّهُ يدل على الْجُمْلَة الاسمية الدَّالَّة على الثُّبُوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدَّالَّة على الْحُدُوث والتجدد، فإبراهيم حياهم أحسن من تحيتهم؛ فَإِنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿سَلَامًا﴾ يَدُلُّ عَلَى: سَلَّمْنَا سَلَامًا. وَقَوْلَهُ: ﴿سَلَامٌ﴾ أَيْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.

الرَّابِع: أَنه حَذف من قَوْله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ فَإِنَّهُ لما أنكرهم وَلم يعرفهُمْ احتشم من مواجهتهم بِلَفْظ ينفر الضَّيْف لَو قَالَ: أَنْتُم قوم منكرون، فَحذفُ الْمُبْتَدَأ هُنَا من ألطف الْكَلَام.

الْخَامِس: أَنه بنى الْفِعْل للْمَفْعُول وَحذف فَاعله فَقَالَ: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ وَلم يقل: إِنِّي أنكركم، وَهُوَ أحسن فِي هَذَا الْمقَام، وَأبْعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السَّادِس: أَنه راغ إِلَى أَهله ليجيئهم بنزلهم، **والروغان هُوَ:** الذّهاب فِي اختفاء بِحَيْثُ لَا يكَاد يشْعر بِهِ الضَّيْف، وَهَذَا من كرم رب الْمنزل المضيف أَن يذهب فِي

اختفاء بِحَيْثُ لَا يشْعر بِهِ الضَّيْف فَيشق عَلَيْهِ ويستحي فَلَا يشْعر بِهِ إِلَّا وَقد جَاءَهُ بِالطَّعَامِ، بِخِلَاف من يُسمع ضَيفه وَيَقُول لَهُ أَو لمن حضر: مَكَانكُمْ حَتَّى آتيكم بِالطَّعَامِ وَنَحْو ذَلِك، مِمَّا يُوجب حَيَاء الضَّيْف واحتشامه.

السَّابِع: أَنه ذهب إِلَى أَهله فجَاء بالضيافة، فَدلَّ على أَن ذَلِك كَانَ معدًا عِنْدهم مهيئًا للضيفان، وَلم يحْتَج أَن يذهب إِلَى غَيرهم من جِيرَانه أَو غَيرهم فيشتريه أَو يستقرضه.

الثَّامِن: قَوْله تَعَالَى: ﴿**فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾ دلّ على خدمته للضيف بِنَفسِهِ وَلم يقل: فَأمر لَهُم، بل هُوَ الَّذِي ذهب وَجَاء بِهِ بِنَفسِهِ وَلم يَبْعَثهُ مَعَ خادمه، وَهَذَا أبلغ فِي إكرام الضَّيْف.

التَّاسِع: أَنه جَاءَ بعجل كَامِل وَلم يَأْتِ ببضعة مِنْهُ، وَهَذَا من تَمام كرمه ﷺ.

الْعَاشِر: أَنه سمين لَا هزيل، وَمَعْلُوم أَن ذَلِك من أَفْخَر أَمْوَالهم، وَمثله يتَّخذ للاقتناء والتربية فآثر بِهِ ضيفانه.

الْحَادِي عشر: أَنه قربه إِلَيْهِم بِنَفسِهِ وَلم يَأْمر خادمه بذلك.

الثَّانِي عشر: أَنه قربه وَلم يقربهُمْ إِلَيْهِ، وَهَذَا أبلغ فِي الْكَرَامَة أَن يجلس الضَّيْف ثمَّ يقرب الطَّعَام إِلَيْهِ، ويحمله إِلَى حَضرته، وَلَا يضع الطَّعَام فِي نَاحيَة، ثمَّ يَأْمر الضَّيْف بِأَن يتَقرَّب إِلَيْهِ.

الثَّالِث عشر: أَنه قَالَ: ﴿**أَلا تَأْكُلُونَ**﴾ وَهَذَا عرض وتلطف فِي القَوْل، وَهُوَ أحسن من قَوْله: كلوا أَو مدوا أَيْدِيكُم. وَهَذَا مِمَّا يعلم النَّاس بعقولهم حسنه

ولطفه؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: بِسم الله، أَو أَلا تَتَصَدَّق، أَو أَلا تجبر، وَنَحْو ذَلِك... فقد جمعت هَذِه الْآيَة آدَاب الضِّيَافَة الَّتِي هِيَ أشرف الْآدَاب، وَمَا عَداهَا من التكلفات الَّتِي هِيَ تخلف وتكلف إِنَّمَا هِيَ من أوضاع النَّاس وعوائدهم، وَكفى بِهَذِهِ الْآدَاب شرفًا وفخراً، فصلى الله على نَبينَا وعَلى إِبْرَاهِيم وعَلى آلهم وعَلى سَائِر النَّبِيين"(1).

(1) جلاء الأفهام (ص: 271-274).

الأدب مع اليتامى

يعيش الأطفال -في ظل بقاء الأُبوّة- في أمان وطمأنينة، وأُنس وسعادة. فإذا نابتهم نائبة، أو نزلت بهم نازلة فالأب هو من يتلقاها عنهم، أو يخفف وطأتها عليهم، أو يأخذ بأيديهم للخروج منها، وأمهم في تلك الأحوال تهون عليها المكاره، ويخف عليها حملها، وتقل عليها التبعات، وتعيش في عز وأمن ما دام أبو أولادها حيًا يقوم بواجبه تجاه أسرته.

والأب في تلك المهمة الحياتية السامية تجاه زوجته وأولاده لا يطالب بجزائه، ولا يمنّ عليهم بعطائه، بل يراه فرضًا عليه يقوم به.

هذه حال كل أب من بني آدم، إلا من شذ عن ذلك، والشاذ لا حكم له.

ولكن حين يموت الأب وأولاده مازالوا صغاراً فإنهم يفقدون تلك السحابة التي تسقيهم غيث السعادة، وتظلهم من حرارة الحياة وقسوتها، واعتداءات أشرارها ومضراتها، وتنفلت من أيديهم تلك اليد الحانية التي كانت تأخذ بهم إلى سبل الرشاد والخير في الدين والدنيا، وتأخذ بحجزهم حتى لا يتفلتوا في المهالك، وتغيب بموته تلك الابتسامة التي كانت تؤنسهم في وحشة دروب الحياة، وأما أمهم فلا تسل عن حزنها ودموعها المتصلة، وقلة أمنها وكثرة مخاوفها، وشدة حاجتها، وثقل المهمة على كاهلها، ومخاوف المستقبل المجهول التي تؤرقها.

إن اليتم عندما كان ظاهرة في كل مجتمع إنساني، وكان قِبلةً للتعرض للحاجة، وضياع الصغار؛ فقد اعتنى الإسلام بهذه الظاهرة المجتمعية اعتناء كبيراً بالأمر برعاية الأدب مع اليتامى من جميع الجوانب، وليس من جانب الحاجة المادية فحسب. كما سيتضح معنا في هذا الأدب.

وسنتحدث عن الأدب مع اليتامى في هذه العناوين:

أولاً: تعريف الأدب مع اليتامى:

أ-معنى اليُتم:

اليُتْمُ-بِالضَّمِّ-: الانْفِرَادُ، وَهَذَا هُوَ أَصْلُ المَعْنَى، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ مُنْفَرِدٍ: يَتِيمٌ، حَتَّى قَالُوا: بَيْتٌ يَتِيمٌ، يعني: البيت الواحد من الشِّعْرِ.

واليَتيمةُ: الرَّمْلة المنفردة، وكل مُنفرد ومُنفردة عِنْد الْعَرَب يَتيمٌ ويَتيمة، وَقَالَ المفضّل: أصل اليتْمِ: الْغَفْلَة، قَالَ: وَبِه يُسمى الْيَتِيم يَتِيماً؛ لأَنَّه يُتغافلُ عَن برّه، وَقَالَ أَبُو عَمْرو: اليُتْمُ الإبطاء، وَمِنْه أُخذ اليَتيمُ؛ لِأَن البرّ يبْطِئ عَنهُ.

والْيُتْمُ فِي النَّاسِ: فقدانُ الْأَبِ، وَفِي سَائِرِ الْحَيَوَانِ: فقدانُ الْأُمِّ. **قَالَ الشَّاعِرُ** -يَصِفُ رَامِيًا أَصَابَ أَتَانًا وَأَيْتَمَ أَطْفَالَهَا-:

فَنَاطَ بِهَا سَهْمًا شِدَادًا غِرَارُهُ ... وَأَيْتَمَتِ الْأَطْفَالَ مِنْهَا وُجُوبُهَا.

وَقَالَ ابنُ خَالَوَيْه: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اليُتْمُ فِي الطَّيْرِ مِنْ قِبَلِ الأَبِ والأُمِّ؛ لأَنَّهُمَا كِلَيْهِما يَزُقَّانِ فِرَاخَهُما.

وَلاَ يُقَالُ لِمَنْ فَقَدَ الأُمَّ مِنَ النَّاسِ: يَتِيمٌ، ولكِنْ: مُنْقَطِعٌ، وقَالَ ابنُ بَرِّي: اليَتِيمُ:

الذِي يَمُوتُ أَبُوهُ، والعَجِيُّ: الذِي تَمُوتُ أُمُّهُ، واللَّطِيمُ: الذِي يَمُوتُ أبَوَاهُ.

واليُتْمُ: فِقْدَانُ الأَبِ حِينَ الحَاجَةِ؛ ولِذلِكَ أَثْبَتَهُ مُثْبِتٌ فِي الذَّكَرِ إِلَى البُلُوغِ، والأنْثى إِلَى الثُّيُوبَةِ؛ لِبَقَاءِ حَاجَتِها بَعْدَ البُلُوغِ[1].

قلت: ويصدق هذا حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ (**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ**)[2] **وزاد الطبراني** في الكبير: (**وَلَا يُتْمَ عَلَى جَارِيَةٍ إِذَا هِيَ حَاضَتْ**).

ب-معنى الأدب مع اليتيم:

هو: القيام على اليتيم بحسن التربية والرعاية، وبذل حقوقه المالية إليه، بلا بخس ولا مطل، حين يبلغ ويرشد، وترك قهره وظلمه، ومعاملتُه معاملة الأب الحازم الشفيق على أولاده، سواء كان ذلك من الوصي أم من سائر الناس.

ثانيًا: أسباب العناية بالحديث عن الأدب مع اليتامى:

1- أن حق اليتيم من الحقوق التي دعت الشريعة الإسلامية إلى أدائها، والإحسان إلى أهلها، وحذرت من التقصير فيها، وذلك عبر صور شتى:

أ-ذكر القرآن أن الإحسان إلى اليتامى شريعة دائمة، فهي ليست في أمة محمد ﷺ فحسب، بل هي كذلك فيمن قبلها، فقد أخذ الله تعالى على بني إسرائيل عهداً

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (6/ 154)، تاج العروس (34/ 134-135)، تهذيب اللغة (14/ 242)، أغلاط العوام (ص: 61).

(2) رواه أبو داود(2873)، والبيهقي في الكبرى(11309)، والطبراني في المعجم الكبير(3502)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 226).

مؤكداً على أن يحسنوا إلى اليتامى، **فقال تعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[البقرة:83].

كما جعل الإحسان إليهم وإصلاح أحوالهم من البر، **فقال تعالى**: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾[البقرة: 177].

ب- أمر الله تعالى بصنع الأنفع لليتيم في ماله، وإيتائه إياه من غير ظلم، **فقال**: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[البقرة:220].

وقال: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[النساء:2].

ج- جعلهم الله من الجهات التي ينبغي صرف النفقة إليها، **فقال تعالى**: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[البقرة:215].

د- **ذكر الله** أن إطعام اليتيم ابتغاء وجه الله من صفات الأبرار التي نالوا بها بالجنة، **فقال**: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان:8].

هـ- **أمر الله جل وعلا** بحسن الوصاية على مال اليتيم إن كان له مال بعد أبيه؛ فنهى عن قربان ماله إلا بالحال التي تصلحه حتى يبلغ سن البلوغ والرشد، **فقال**:

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الإسراء:34].

و- جعل الله لليتامى نصيبًا من مال الغنيمة ومال الفيء، **فقال:** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ [الأنفال:41]، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[الحشر:7].

ز- أنكر الله عدم إكرام اليتيم وتركَ الإحسان إليه، **فقال:** ﴿كَلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[الفجر:17].

ح- جعل الله تعالى حق اليتيم من الحقوق العشرة التي أمر بالإحسان إلى أهلها. **قال تعالى:** ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[النساء:36].

ط-نهى الله تعالى عن قهر اليتيم **فقال تعالى:** ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:9].

قال ابن عاشور: "إن أهل الجاهلية قد تأصل فيهم الكِبْر على الضعيف، وتوقير القوي، فلما عدم اليتيمُ ناصرَه ومن يذب عنه كان بحيث يعرض للمهانة والإضاعة، ويُتخذ كالعبد لوليّه، من أجل ذلك كله صار وصف اليتيم عندهم ملازمًا لمعنى الخصاصة والإهمال والذل، وبه يظهر معنى امتنان الله تعالى على نبيه أن حفظه في حال اليتم مما ينال اليتامى في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:6] فلما جاء الإسلام أمرَهم بإصلاح حال اليتامى في أموالهم وسائر أحوالهم"[1].

(1) التحرير والتنوير (2/ 364).

وقد يسأل سائل: لماذا قدّر الله تعالى أن يكون رسوله الكريم يتيمًا؟

الجواب: لعل من حِكم ذلك: أن يعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم وصلاح أمرهم، وليكون اليتيم مشاركًا له في الاسم فيُكرم لأجل ذلك، وأن من كان له أب أو أم كان اعتماده عليهما، فسُلب عنه الوالدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله، وأن العادة جارية بأن اليتيم لا تخفى عيوبه، بل تظهر، وربما زادوا على الموجود، فاختار تعالى له اليتم، ليتأمل كل أحد في أحواله، ثم لا يجدوا عليه عيبًا فيتفقون على نزاهته، فإذا اختاره الله للرسالة لم يجدوا عليه مطعنًا، وليعلم كل أحد أن فضيلته من الله ابتداء؛ لأن من كان له أب فإن أباه يسعى في تعليمه وتأديبه، وأن اليتم والفقر نقص في حق الخلق، فلما صار محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع هذين الوصفين أكرم الخلق، كان ذلك قلبًا للعادة، فكان من جنس المعجزات[1].

ي- ألحق رسول الله ﷺ الحرج والإثم بمن ضيع حق اليتيم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ)**[2].

---

(1) تفسير الرازي (ص: 4777) بتصرف.

(2) رواه أحمد(9666)، والنسائي في الكبرى(9104)، وابن ماجه(3678)، وابن حبان(5565)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(654)، والبيهقي في الكبرى(20452)، والحاكم(211)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. **وقال البوصيري:** "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات" مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/ 103).

2 –ضياع حقوق اليتامى على أيدي بعض الأوصياء، وعدم التفات المجتمع إلى رعايتهم الرعاية التي تصلح حالهم ومآلهم، إلا على صور قليلة من أفراد أو مؤسسات خيرية.

3 – ضعف الفقه في الأدب مع اليتامى.

فإن الأدب النافع لهم ليس معناه الرحمة المطلقة بهم من غير حزم ولا تأديب؛ فلذلك أردنا أن نبين في الحديث عن اليتامى في باب الآداب أن الشدة التأديبية في مكانها لابد منها في تربية الأيتام؛ حتى ينضجوا ويستقيم شأنهم، كما سيأتي معنا.

4 –أن الأدب التام مع الأيتام فيه ثمرات كثيرة تعود بالخير عليهم، وعلى من أحسن الأدب معهم، في الدنيا والآخرة.

5 –أن إساءة الأدب مع اليتامى له أضرار كثيرة على: اليتامى، وعلى المجتمع، وعلى من أساء الأدب معهم.

ثالثًا: صور من الأدب مع اليتامى:

للأدب مع اليتامى صور كثيرة، منها:

1 –الإحسان إلى اليتامى بكل ما يمكن من وجوه الإحسان.

فقد راعى الإسلام الجوانب النفسية التي يعانيها اليتيم بفقد من يرعاه، ومن يقوم سنداً له في مواجهة أعباء الحياة، فحث على الإحسان إليه، والوقوف بجانبه؛ حتى يعوض بعض النقص الذي أصابه برحيل والده.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[النساء:36].

وللإحسان إلى اليتامى صور كثيرة، منها:

أ- كفالته والقيام عليه قيام الوالد على ولده.

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا) وَقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[1].

وعند مسلم[2] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

وزاد أحمد -بسند صحيح-[3]: (أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا اتَّقَى اللهَ).

قال ابن بطال: "حق على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به؛ ليكون في الجنة رفيقًا للنبي عليه السلام ولجماعة النبيين والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين -، ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء"[4].

ب- الإحسان بالإطعام؛ لأن الطعام قوام الحياة، والساعي إليه غالبًا الوالد.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان:8].

---

(1) رواه البخاري(6005)

(2)(2983).

(3)(8881).

(4) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (9/ 217).

ج- مساعدتهم على أعباء الحياة، ومن أعظم ذلك بناء المساكن لهم، أو التكفل بدفع الإيجار عنهم، وتأمين وسائل العيش المستقر الذي يخفف عنهم ألم فقد عائلهم.

خصوصاً في هذا الزمن الصعب الذي عزّت فيه المساكن، وضاق العيش بالساكن، ومن الأعمال العظيمة: بناء دور الأيتام ورعايتهم فيها، والاهتمام بهم حتى يبلغوا.

ولقد قام النبيان الكريمان موسى والخضر عليهما السلام بإصلاح جدار يتيمين كما **قال تعالى**: **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** [الكهف:82].

د-مداواتهم عند المرض، وتعليمهم العلم النافع الذي ينفعهم في دينهم ودنياهم، ورعاية مشاعرهم، وجبر خواطرهم.

فقد دعا الله تعالى إلى إعطائهم شيئًا من المال على وجه الاستحباب إذا حضروا قسمة تركة قريب لهم لا يرثون منه، **فقال تعالى**: **﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾**[النساء:8].

هـ- تربيتهم تربية صالحة قائمة على مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب،

وإبعادهم عن أماكن الضياع وجلساء السوء.

ز-رعـايتهم رعاية نفـسية بتعويـضهم عـن حنـان الأب بحـبهم ورحمـتهم، وإذهاب الأحزان من وجه حياتهم.

فعن عبـد الـرحمن بـن أبْزى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كُـنَّ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ"[1].

فاليتيم "إنسان مقرور يهرؤه فقد الحنان، امسح رأسه، اقترب منـه، ابتـسم لـه، طيّـب خـاطره، أدخـل البهجـة علـى روحـه الظّامئـة، بكلمـة، بلمـسة، ببـسمة، إنّ العلاقات الإنسانيّة تحقّق كلّ مجد لها حين تضفي على هـذا اليتيم المحـروم مـن حنانها ودفئها"[2].

2 – الحذر من التعدي على أموالهم، والقيامُ بما هو أنفع لهم فيها.

فمن صار وصيًا على يتيم-مـن قريـب أو بعيـد- فإنـه قـد حمِّـل أمانـة عظيمـة فليتقِ الله في هذه الأمانة التي قـد تحملهـا، ولـيعلم أن التعـدي علـى مـال اليتـيم مـن أعظم الكبائر؛ لضعف اليتيم وعجزه عن الـدفاع عـن حقـه؛ فلـذلك نهـى الله تعـالى عن قربان مال اليتيم بالـسوء، **فقـال تعـالى**: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَـالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[الإسراء:34].

ولـم يذكر الله من العاقبة السيئة لمالٍ حرام كمـا ذكـر في حق مـال اليتـيم ومـال

(1) الأدب المفرد (ص: 74).

(2) كما تحدث الرسول، لخالد محمد خالد (2/ 204- 205).

الربا، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:10].

وهذا النهي عن التعدي على مال اليتيم يشمل كل من تعدى عليه من وصي أم من غيره، بقوة أو خديعة أو حيلة، أو غير ذلك من وسائل أخذ مال اليتيم وإتلافه.

فعلى من قام على يتامى في مالهم أن يحفظه حتى يسلمه إليهم عند رشدهم، فإن كان هذا المال بيد وصي غني فليستعفف عن الأخذ منه جزاء القيام عليه، ويحتسب أجره عند الله، وإن كان بيد فقير مضطر أن يتناول منه جزاء القيام عليه لفقره وحاجته فليأخذ منه بالمعروف، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[النساء:6]. **قال البخاري:** "﴿حَسِيبًا﴾ [النساء: 6] "يَعْنِي: كَافِيًا، وَلِلْوَصِيِّ أَنْ يَعْمَلَ فِي مَالِ اليَتِيمِ وَمَا يَأْكُلُ مِنْهُ بِقَدْرِ عُمَالَتِهِ"(1).

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت-" ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا، فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا، فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء: 6]-: أُنْزِلَتْ فِي وَالِي اليَتِيمِ الَّذِي يُقِيمُ عَلَيْهِ وَيُصْلِحُ فِي مَالِهِ، إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَكَلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ"(2).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي

(1) صحيح البخاري (4/ 10).

(2) رواه البخاري(2212)، ومسلم(3019).

فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ. قَالَ: فَقَالَ: (كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلَا مُبَادِرٍ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ)[1].

زاد أحمد: (وَلَا تَفْدِي مَالَكَ بِمَالِهِ)، وعند ابن ماجه: (وَلَا تَقِي مَالَكَ بِمَالِهِ).

وقال البخاري: "وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ فِي مَالِ اليَتِيمِ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ نُصَحَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ، فَيَنْظُرُوا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَكَانَ طَاوُسٌ: إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اليَتَامَى قَرَأَ: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[البقرة: 220] وَقَالَ عَطَاءٌ فِي يَتَامَى الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ: يُنْفِقُ الوَلِيُّ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ بِقَدْرِهِ مِنْ حِصَّتِهِ"[2].

فإن كان مال اليتيم مختلطًا بمال وصيه وشق فصله فليخلطه بماله إن كان ذلك هو الأصلح لمال اليتيم، وليس على وصيه مضرة، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:220].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام: 152] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: 10]، الْآيَةَ، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ

(1) رواه أحمد(6747)، وأبو داود(2872)، وابن ماجه(2718)، والنسائي(3668)، والبيهقي في الكبرى(12669)، قال الألباني: "حسن صحيح".

(2) صحيح البخاري (4/ 10).

إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[البقرة: 220]، فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ "(1).

فمن خاف على نفسه التقصير في هذه الأمانة المالية فليدعها لغيره؛ فإن مهمتها عظيمة، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم**)(2).

"أي: لا تكن واليًا عليه؛ لأن خطره عظيم، ووباله جسيم"(3).

3- البعد عن الإساءة إلى اليتيم بالقول أو بالفعل.

فيجتنب المرء معه قهره وإذلاله والتعدي عليه، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾[الضحى:9]، ﴿فلا تقهر﴾ أي: تغلبه على شيء، فإنما أذقتك اليتم تأديبًا بأحسن الآداب؛ لتعرف ضعف اليتيم وذله، وفوق ذلك كفالته، وهي خلافة عن الله؛ لأن اليتيم لا كافل له إلا الله"(4).

فد ذكر سبحانه نعمه على رسوله من إيوائه بعد يتمه، وهدايته بعد الضلالة،

---

(1) رواه أحمد(3000)، وأبو داود(2871)، والنسائي(3669)، والبيهقي في الصغرى(2340)، والطبراني في الكبير(13020)، والبزار(5065)، والحاكم(3103)، **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. وحسنه شاكر والألباني.

(2) رواه مسلم(1826).

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا على القاري (11/ 319).

(4) نظم الدرر (8/ 683).

وإغنائه بعد الفقر، فكان محتاجًا إلى من يؤويه ويهديه ويغنيه، فآواه ربه وهداه وأغناه، فأمره سبحانه أن يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر: فنهاه أن يقهر اليتيم، وأن ينهر السائل، وأن يكتم النعمة، بل يحدث بها، فأوصاه سبحانه باليتامى والفقراء والمتعلمين، قال مجاهد ومقاتل: لا تحقر اليتيم؛ فقد كنت يتيمًا، وقال الفراء: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذلك كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم، فغلظ الخطاب في أمر اليتيم، وكذلك من لا ناصر له يغلظ في أمره، وهو نهي لجميع المكلفين"(1).

وقال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون:1-2]. "أي: يدفعه بعنف، وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه، وهذا أشد"(2).

"**يقول تعالى:** أرأيت يا محمد، الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه"(3).

"وهذا يفيد تشويه إنكار البعث بما ينشأ عن إنكاره من المذام، ومن مخالفة للحق، ومنافيًا لما تقتضيه الحكمة من التكليف، وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الاقتراب من إحدى هاتين الصفتين بأنهما من صفات الذين لا

(1) التبيان في أقسام القرآن (2/ 75).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (3/ 363).
(3) تفسير ابن كثير (4/ 681).

يؤمنون بالجزاء"[1].

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم ؛ فإنها تسري بالليل والناس نيام"[2].

4 – عدم ظلم اليتيمات إذا بلغن سن الزواج.

فإن كان في اليتامى أنثى فبلغت سن الزواج فأراد الوصي تزوُجها –إن كان ممن يحل له الزواج بها– فلا يظلمها في مهرها وحقوقها؛ لكونها يتيمة، بل عليه أن يعطيها ما يعطي غيرها من النساء، فإن أراد تزويجها لغيره فليحسن اختيار الزوج لها كما يختار لبنته، **قال تعالى**: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾[النساء:3]، **وقال**: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا**﴾[النساء:127].

"كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾[النساء: 3]، قَالَتْ: هِيَ الْيَتِيمَةُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا، فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَدْنَى مِنْ سُنَّةِ نِسَائِهَا، فَنُهُوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ، إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا بِنِكَاحِ

(1) التحرير والتنوير (30/ 496).

(2) البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي (5/ 158).

مَنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ اسْتَفْتَى النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾[النساء: 127]، قَالَتْ: "فَبَيَّنَ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ اليَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ، وَمَالٍ رَغِبُوا فِي نِكَاحِهَا، وَلَمْ يُلْحِقُوهَا بِسُنَّتِهَا بِإِكْمَالِ الصَّدَاقِ، فَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قِلَّةِ المَالِ وَالجَمَالِ تَرَكُوهَا وَالتَمَسُوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ"، قَالَ: فَكَمَا يَتْرُكُونَهَا حِينَ يَرْغَبُونَ عَنْهَا، فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوهَا إِذَا رَغِبُوا فِيهَا، إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا الأَوْفَى مِنَ الصَّدَاقِ وَيُعْطُوهَا حَقَّهَا"[1].

5 –تأديب اليتيم إذا احتاج إلى ذلك.

فالإحسان إلى اليتيم لا يعني ترك تأديبه وتقويمه، وزجره عن مساوئ الأمور، فالوصي أو المعلم أو المربي أو القريب إن رآه على مكروه عامله كما يعامل ولده من الزجر وحسن الأدب، قال النخعي: "حكِّم اليتيم كما تحكِّم ولدك"[2]. قيل: معناه: امْنَعه من الفساد كما تمنع ولدك، وقيل: أرادَ حَكّمه في ماله إذا صلح كما تُحَكّم ولدك[3].

بل إن احتاج الوصي أو المربي إلى ضرب اليتيم ضربًا غير مبرِّح من أجل التأديب فلا بأس بذلك؛ فقد بوَّب الإمام البخاري في كتابه" الأدب المفرد": باب أدب اليتيم، وساق بسنده أنه: ذُكر أدب اليتيم عند عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فقالت: "إني

(1) رواه البخاري(2763).

(2) شرح السنة ـ للإمام البغوي (8/ 307).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 1023).

لأضرب اليتيم حتى ينبسط"[1].

وعن خَوْلَةَ قَالَتْ: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ ضَرْبِ الْيَتِيمِ فَقَالَتْ: أَثْلِغِيهِ؛ فَإِنَّ الْيَتِيمَ أَحَقُّ بِالثَّلْغِ مِنَ الْأَفْعَى"[2].

و"كَانَ مَيْمُونٌ يَضْرِبُ يَتِيمًا لَهُ عِنْدَهُ وَالْيَتِيمُ يَقُولُ: لَا تَرْحَمُ هَذَا الْيَتِيمَ، اتَّقِ اللهَ فِي هَذَا الْيَتِيمِ، وَمَيْمُونٌ يَضْرِبُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ هَذَا الْيَتِيمَ"[3].

"**وعَنْ** أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، أَنَّ أَبَاهُ، سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَوْ قَالَ: أَرْسَلَ مَوْلًى لَهُ وَأَنَا مَعَهُ، يَسْأَلُهُ: مِمَّ يَضْرِبُ الرَّجُلُ يَتِيمَهُ؟ قَالَ: «مِمَّ يَضْرِبُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ» قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَسَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ"[4].

فكما أن الرحمة باليتيم مطلوبة في موضعها فكذلك الحزم مطلوب أيضًا في موضعه.

قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازمًا ... فليقسُ أحيانًا على من يرحمُ[5]

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع اليتامى:

---

(1) الأدب المفرد، للبخاري (ص: 62).

(2) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (2/ 835).

(3) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (2/ 836).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (5/ 340).

(5) نهاية الأرب في فنون الأدب(7/ 219).

1 –قوة الإيمان والخوف من الله تعالى.

فإن قوة الإيمان والخوف من الله تعالى يدفعان الإنسان إلى أن يحسن إلى اليتامى، ويبتعد عن ظلمهم وهضم حقوقهم؛ إذ البغي على اليتيم والسطو على ماله إنما يجيء من قلة الإيمان، وضعف الخوف من الله تعالى، وكم وزع الإيمان والخوف عن الخطيئة والعدوان، قال تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة:28].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ**)[1].

2 –الاقتداء بمن ضرب أحسن الأمثلة في الأدب مع اليتامى.

فإن في ذلك دعوة إلى السير الصالح على منوال أولئك المحسنين.

كما سيأتي ذكر نماذج في ذلك.

3 –تنمية الجانب الأخلاقي في النفس.

فإن الأخلاق الحسنة تدعو صاحبها إلى حسن معاملة اليتيم، وكمال الأدب معه، وتصبير النفس على احتمال المشقة والمكروه حتى يعطى اليتيم حقه من الإحسان والإكرام.

---

(1) رواه أحمد(1426)، وأبو داود(2769)، والطبراني في الكبير(723) والأوسط(6143) وابن أبي شيبة(37435)، والحاكم(8037)، **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. وصححه الألباني.

وما أوتي من أساء إلى اليتيم إلا من قبل سوء أخلاق نفسه، فجعل القسوة مكان الرحمة، والظلم بدل العدل والفضل، والعدوان بدلاً من الحياطة والنصرة.

4-الطمع في ثواب الآخرة.

فإن في الإحسان إلى اليتامى من الأجور الكثيرة، والموعودات الحسنة في الآخرة ما يدعو إلى القيام بهذا الحق.

وسيأتي شيء من ذلك في الثمرات.

5-التفكر في أن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يُدان.

فيتأمل الوصي على اليتامى -وغيره ممن له صلة بهم- أنه قد يدهمه الموت في أي لحظة وله أولاد سيكونون يتامى بعده فربما عاملهم الناس كما عامل هو الأيتام.

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[النساء:9].

يقول الحقّ جلّ جلاله للأوصياء الذين في ولايتهم أولاد الناس: ﴿وَلْيَخْشَ﴾ الذين يتولون يتامى الناس، فليحفظوا مالهم، وليحسنوا تنميته لهم ولا يضيعوه، وليخافوا عليهم الضيعة، كما يخافون على أولادهم؛ فإنهم لو ماتوا وتركوا ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾، فكما يخافون على أولادهم بعدهم كذلك يخافون على أولاد الناس، ﴿فَلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ في شأنهم، وليحفظوا عليهم أموالهم، وليرفقوا بهم

ويلاطفوهم في الكلام، كما يُحبون أن يلاطف بأولادهم... [1].

"وإن الله تعالى يحفظ الأولاد ببركة الأجداد. وقد تذاكر بعض التابعين ما يكون في آخر الزمان من الفتن والفساد، فقال بعضهم: يا ليتني كنت عقيمًا أو لم أتزوج، فقال له من هو أكبر منه: ألا أدلك على ما يحفظ الله عقبك؟ قال: نعم، دلني، قال: قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا...﴾ [النِّساء: 9] الآية" [2].

وقال ابن حجر الهيتمي: "وقد نبه تعالى على تأكد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[النساء:9]؛ إذ المراد بشهادة السياق – خلافًا لمن حمل الآية على أنها في الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك – الحمل لمن كان في حجره يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطاب، فلا يخاطبه إلا بنحو: يا بني، مما يخاطب به أولاده، ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله وبذريته من بعده؛ فإن الجزاء من جنس العمل ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: 4] أي: الجزاء. كما تدين تدان: أي: كما تفعل يفعل معك. بينما الإنسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره، وإذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. فليخش العاقل على أولاده وماله إن لم يكن له خشية

(1) البحر المديد، لابن عجيبة(2/ 16).

(2) البحر المديد (2/ 565).

على دينه، ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتامًا عليهم في ماله"(1).

خامسًا: ثمرات الأدب مع اليتامى:

1-إطعام اليتيم مما يعين على تجاوز مشقة الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾[البلد:11-16].

عَنْ فَرْقَدٍ السَّبَخِيِّ، قَالَ: "مَا خَلْقُ مَائِدَةٍ أَعْظَمُ شَرَفًا مِنْ مَائِدَةٍ يُطْعَمُ عَلَيْهَا يَتِيمٌ"(2).

2-نيل المنزلة العالية في الجنة بمرافقة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**) وَقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى(3).

وعند مسلم(4) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**) وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

فالذي له: أن يكون قريبًا له؛ كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله

---

(1) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 417).

(2) النفقة على العيال، لابن أبي الدنيا (2/ 819).

(3) رواه البخاري(6005)

(4) (2983).

وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه، والذى لغيره: أن يكون أجنبيًا[1].

3 –الإحسان إلى اليتيم ولو بمسح رأسه من أسباب إزالة قسوة القلب وقضاء الحاجات.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: **(امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ)**[2].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ: أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ: أَنَّ رَجُلًا شَكَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمْهُ)**[3].

وعند الخرائطي[4]: **(أدْنِ اليَتِيمَ مِنْكَ، وأَلْطِفْهُ، وامْسَحْ بِرَأسِهِ، وأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ؛ فإنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، ويُدْرِكُ حاجَتَكَ)**.

4 –نماء المال وطهارته وبركته ودفع الآفات عنه.

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(وَإِنَّ هَذَا المَالَ**

---

(1) شرح النووي على مسلم (18/ 113).

(2) رواه أحمد(9018)، والخرائطي في اعتلال القلوب(52) **قال الألباني** في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2/ 508): "للحديث شاهد يمكن أن يرتقي به إلى درجة الحسن".

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان(10524)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 214)، وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2/ 509).

(4) مكارم الأخلاق للخرائطي(661).

خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ المِسْكِينَ وَاليَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ)[1].

5-البعث في زمرة المجاهدين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**) وَأَحْسِبُهُ قَالَ: (**كَالقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ**)[2].

واليتيم يدخل في المسكين، وأمه قد تكون أرملة.

قال ابن بطال: "من عجز عن الجهاد في سبيل الله، وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث، وليسعَ على الأرامل والمساكين؛ ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة، أو ينفق درهمًا، أو يلقى عدواً يرتاع بلقائه، أو ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم وهو طاعم نهاره، نائم ليله أيام حياته، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى، فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[3].

إضافة إلى ذلك فإن الأدب مع اليتيم والإحسان إليه يصلح المجتمع، ويبعد منه الفساد، ويتضاعف الأجر لمن كفل يتيمًا قريبًا؛ فله أجر الصدقة وأجر القرابة.

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البخاري(6007)، ومسلم(2982).

(3) شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال (9/ 218).

سادسًا: أضرار سوء الأدب مع اليتامى:

1-أخذ مال اليتيم ظلمًا يؤدي إلى دخول النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:10].

قال أبو حيان: "لَمَّا كَانَ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ يَجُرُّ إِلَى النَّارِ وَالتَّعْذِيبِ، بِهَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْأَكْلِ فِي الْبَطْنِ، وَنَبَّهَ عَلَى الْحَامِلِ عَلَى أَخْذِ الْمَالِ وَهُوَ الْبَطْنُ الَّذِي هُوَ أَخَسُّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُنْتَفَعُ بِالْمَالِ لِأَجْلِهَا؛ إِذْ مَآلُ مَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَى الِاضْمِحْلَالِ وَالذَّهَابِ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: (مَا مَلَأَ الْإِنْسَانُ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ)"[1].

"وأفاد كونه ظرفًا لـ(يأكلون) أن بطونهم أوعية النار، إما حقيقة بأن يخلق الله لهم نارًا يأكلونها في بطونهم، أو مجازًا من إطلاق المسبب وإرادة السبب؛ لكونه يفضي إليه ويستلزمه.

والمراد سائر أنواع الإتلاف؛ فإن ضرر اليتيم لا يختلف بكون إتلاف ماله بأكل أو غيره، وخص الأكل بالذكر لأن عامة أموالهم في ذلك الوقت الأنعام، وهي يؤكل لحمها ويشرب لبنها، أو لكونه هو المقصود من التصرفات، والسعير: الجمر المتقد من سعرت النار أوقدتها، ولشدة الوعيد الذي تضمنته هذه الآية قال ابن دقيق العيد: أكل مال اليتيم مجرب لسوء الخاتمة، والعياذ بالله"[2].

---

(1) البحر المحيط في التفسير (3/ 531).

(2) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 416).

2 – أكل مال اليتيم من الذنوب الموبقة التي تهلك أصحابها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**) وذكر منها: (**أَكْل مَالِ اليَتِيمِ**)[1].

3 – أخذ مال اليتيم ظلمًا من أكل أموال الناس بالباطل ومن المال الحرام على صاحبه.

وآثار المال الحرام وأضراره معلومة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**)[2].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَشَرَّ الْمَآكِلِ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ"[3].

4 –حصول الذم وانتشار السمعة السيئة للمعتدي على اليتامى أو على أموالهم.

فإن المرء إذا عُددت مذامه بين الناس وكان من بينها تعديه على اليتيم ذُكرت تلك المذمة في طليعة المذام.

(1) رواه البخاري(2766)، ومسلم(89).

(2) رواه أحمد(14441)، وابن حبان(1723)، والبيهقي في الشعب(8952)، والدارمي (2818)، والطبراني في الكبير(625)، والحاكم(8302) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ"، **وقال الهيثمي:** "رواه أحمد والبزار وزاد: "«لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به» "ورجالهما رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (5/ 247).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 106).

قال خالد بن عبّاد يهجو أبا بكر بن يزيد بن معاوية:

سـمينُ البغـلِ مـن مـالِ اليتـامى رخـيُّ البـالِ مهـزولُ الـصّديقِ[1]

5 –فساد المجتمع.

فإذا لم يجد اليتامى يداً أمينة تربيهم وترعاهم وتحفظهم انطلقت بهم الأهواء إلى مهاوي السوء، وتلقفهم شياطين الإنس فكوّنوا عصابات العدوان على الدماء والأموال والأعراض.

وأما اليتيمات حين لا يجدن الرعاية الصالحة والحراسة الأمينة فستأخذهن الأيدي الخبيثة فتلعب بهن، فإذا تزوجن فإنهن قد لا يجدن أزواجًا كرماء، وحينئذ يسومونهن سوء العذاب وألوان الإهانة.

سابعًا: نماذج مشرق:

1 –نبينا محمد ﷺ:

فإنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان باليتيم رحيما، وإليه محسنا، وله كافلاً؛ فعن عبد الله بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا استعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إن قُتل زيد أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة...وفيه أنه ﷺ قال: **(اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** قالها ثلاث مرات، قال: -أي: عبد الله- فجاءت أمُّنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له[2] فقال:

(1) البغال (ص: 105).

(2) **قال ابن الأثير**: "قَالَ أَبُو مُوسَى: هَكَذَا وجَدْته بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَقَدْ أضْرَب الطَّبَرانيُّ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فترَكَها مِنَ الْحَدِيثِ، فَإِنْ كَانَ بِالْحَاءِ فَهُوَ مِنْ أَفْرَحه إِذَا غَمَّه وَأَزَالَ عَنْهُ الفَرَح، وأَفْرَحه =

العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!)[1].

وعن عبد الله بن جعفر أيضًا قال: لو رأيتني وقُثَمَ وعبيد الله بن عباس ونحن صبيان نلعب، إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال: (**ارفعوا هذا إليّ**)، قال: فحملني أمامه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثًا، وقال كلما مسح: (**اللهم اخلف جعفراً في ولده**)[2].

وصدق فيه عمه أبو طالب حين قال فيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ[3]
يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وفَواضِلِ[4]

2- داود الطائي:

قالت مولاة لداود الطائي: "لو طبخت لك دسماً. قال: فافعلي، فطبخت له

الدَّين إِذَا أثْقَله، وَإِنْ كَانَتْ بِالْجِيم فَهُوَ مِنَ الْمُفْرَج الَّذِي لَا عَشِيرة لَهُ، فَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنَّ أباهُم تُوُفِّي وَلَا عَشِيرَةَ لَهُمْ" النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 424).

(1) رواه أحمد (1750)، والطبراني في المعجم الكبير (1461)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(5169)، والضياء في المختارة(139)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6/ 157).

(2) رواه أحمد(1760)، والبيهقي في الكبرى(7093)، والنسائي في الكبرى(10838)، والحاكم (1378)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 286).

(3) **الثمال**: هو العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافي. **وقوله**: "عصمة للأرامل" أي: يمنعهم مما يضرهم. فتح الباري لابن حجر (3/ 442).

(4) صحيح البخاري (2/ 27)، الحماسة البصرية (ص: 49).

شحمًا، ثم جاءته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي به إليهم، قالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء من المطهرة[1] قال: إني إذا أكلته كان في الحُش[2]، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً"[3].

3- عَمِيرَةُ بْنُ أَبِي نَاجِيَةَ:

عن الليث بن سعد عن عَمِيرَةَ بْنَ أَبِي نَاجِيَةَ قَالَ: "أَخَذْتُ يَتِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ فَانْقَلَبْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي وَأَطْعَمْتُهُ وَدَهَنْتُهُ وَوَهَبْتُ لَهُ فُلُوسًا، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَشْرِكْ أُمِّي مَعِي فِيمَا صَنَعْتُ بِهَذَا الْيَتِيمِ. قَالَ: ثُمَّ نِمْتُ فَرَأَيْتُ أُمِّي أَقْبَلَتْ مُلْتَبِسَةً عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ مَعَهَا ذَلِكَ الْيَتِيمُ، حَتَّى وَقَفَتْ ثُمَّ قَالَتْ: أَيْ بُنَيَّ، لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ بِي هَذَا الْغُلَامُ مُنْذُ الْيَوْمِ! قَالَ اللَّيْثُ: تَقُولُ: أَصَبْتُ بِهِ خَيْرًا، لِلَّذِي كَانَ مِنْ عَمِيرَةَ ابْنِهَا لِلْيَتِيمِ"[4].

4- نساء قريش:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **(خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أو: نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ)**[5].

---

(1) **يعني**: إذا ذهبت به إليهم لم يبق لك إلا خبز وماء، **والمطهرة**: كل إناء يتطهر منه كالإبريق والسطل.

(2) **الحش**: مكان قضاء الحاجة.

(3) التذكرة الحمدونية (1/ 43).

(4) النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (2/ 824).

(5) رواه البخاري(3434)، ومسلم(2527)، واللفظ له.

الأدب مع الإخوان والأصحاب

إن الحياة البشرية حياة جماعية تقوم على روابط ووشائج تعين على أُنس الحياة والاستقرار الآمن فيها، وتلك العلاقات الإنسانية إذا استقامت وصل الإنسان عبرها إلى مصالحه بأيسر طريق وأقربه، واندفع عنه بها كثير من المكاره والمضار.

غير أن أكثر الناس إفادةً من تلك العلاقات البشرية وأسلمهم مضرة منها: من بناها على أسس صحيحة، وأحسن التعامل معها بعد قيامها، وعرف الطرق المعينة على ثباتها متينةً حسنة فسلكها، والطرق الموهية لعراها والمعكرة لصفائها فتجنبها.

وغير خاف على الناس أن من تلك الروابط التي تحقق المنافع السابقة: رابطة الإخاء والصحبة والصداقة.

فإن للإنسان في هذه الدنيا حاجة شديدة للإخوان والأصدقاء لصلاح أمر دينه ودنياه، **قال الغزالي**: ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية؛ **أما الدنيوية** فكالانتفاع بالمال أو الجاه، أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة، وليس ذلك من أغراضنا.

وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة؛ إذ منها الاستفادة من العلم

والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه؛ تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب، وقوة في الأحوال، ومنها التبرك بمجرد الدعاء، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة؛ فقد قال السلف: استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك[1].

وهذه الحاجة للأخ تختلف من أخ إلى آخر؛ فهناك أخ يحتاجه المرؤ دائمًا، وآخر يحتاجه أحيانًا، وأخ يحتاجه في أمر الدين، وآخر في أمر الدنيا.

قال الماوردي: "وَقَالَ الْمَأْمُونُ: الْإِخْوَانُ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ: طَبَقَةٌ كَالْغِذَاءِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَطَبَقَةٌ كَالدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إلَيْهِ أَحْيَانًا، وَطَبَقَةٌ كَالدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ أَبَدًا. وَلَعَمْرِي إنَّ النَّاسَ عَلَى مَا وَصَفَهُمْ، لَا الْإِخْوَانُ مِنْهُمْ. وَلَيْسَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَالدَّاءِ، مِنْ الْإِخْوَانِ الْمَعْدُودِينَ، بَلْ هُمْ مِنْ الْأَعْدَاءِ الْمَحْذُورِينَ. وَإِنَّمَا يُدَاجُونَ الْمَوَدَّةَ اسْتِكْفَافًا لِشَرِّهِمْ، وَتَحَرُّزًا مِنْ مُكَاشَفَتِهِمْ، فَدَخَلُوا فِي عِدَادِ الْإِخْوَانِ بِالْمُظَاهَرَةِ وَالْمُسَاتَرَةِ، وَفِي الْأَعْدَاءِ عِنْدَ الْمُكَاشَفَةِ وَالْمُجَاهَرَةِ"[2].

وقال الغزالي: "قال بشر: الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدنياك، وأخ لتأنس به، وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد، بل تتفرق على جمع، فتتفرق الشروط فيهم لا محالة"[3].

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 170) بتصرف.

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 169).

(3) إحياء علوم الدين (2/ 172).

وكما أن هذه الأمور لا تجتمع في شخص -كما قال أبو حامد- كذلك قل أن يجد الإنسان أخًا وصديقًا تجتمع فيه كل صفات المدح؛ لأن هذا في البشر عزيز، "قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَأْمُونُ حَدِيثًا، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حدثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَلْقَمَةَ الْعُطَارِدِيَّ الْوَفَاةُ دَعَا بِابْنِهِ فَقَالَ: "يَا بُنَيَّ، إِنْ عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَانْظُرْ مَنْ إِنْ حَدَّثْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا، وَإِذَا سَأَلْتَ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَّ ابْتَدَاكَ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ: تَعْلَمُ لِمَ أَوْصَاهُ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ لَا يَصْحَبَ أَحَدًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ لَا تَجْتَمِعُ فِي إِنْسَانٍ الْآنَ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: وَأَيْنَ هَذَا؟"[1].

حتى جر هذا بعض الناس إلى اليأس من وجود الصديق التام في خصال فضله على أرض الواقع،" قيل لرويم: ما الذي أقعدك عن طلب الصديق؟ قال: يأسي من وجدانه.

وقيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: أما صديق فلا، ولكن نصف صديق، قيل: فكيف انتفاعك به؟ قال: انتفاع العريان بالثوب البالي"[2].

و"**قيل لفيلسوف**: من أطول الناس سفراً؟ قال: من سافر في طلب صديق"[3].

---

(1) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 110).

(2) الصداقة والصديق (ص: 87).

(3) الصداقة والصديق (ص: 68).

و"**قال سفيان الثوري** للحسن البصري: دلني على من أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد. وقيل لبعضهم: ما الصديق؟ قال: اسم وضع على غير مسمى، وحيوان غير موجود. **وقال الشاعر:**

سمعنا بالصديقِ ولا نراهُ ... على التحقيقِ يوجد في الأنامِ
وأحسبُهُ محالاً نمّقوهُ ... على وجهِ المجازِ من الكلامِ"(1)

وقال آخر:

لما رأيتُ بني الزمانِ وما بهمْ ... خلٌّ وفيٌّ للشدائدِ أصطفي
أيقنتُ أنّ المستحيل ثلاثة ... الغُولُ والعنقاءُ والخلُّ الوفي(2)

ولهذا حصل خلاف بين الحكماء في أيهما أفضل: الاستكثار من الإخوان والأصدقاء، أم التقليل منهم؟

قال الماوردي: "وَقَدْ اخْتَلَفَتْ مَذَاهِبُ النَّاسِ فِي اتِّخَاذِ الْإِخْوَانِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ الِاسْتِكْثَارَ مِنْهُمْ أَوْلَى؛ لِيَكُونُوا أَقْوَى مَنَعَةً وَيَدًا، وَأَوْفَرَ تَحَبُّبًا وَتَوَدُّدًا، وَأَكْثَرَ تَعَاوُنًا وَتَفَقُّدًا. وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا الْعَيْشُ؟ قَالَ: إقْبَالُ الزَّمَانِ، وَعِزُّ السُّلْطَانِ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ. وَقِيلَ: حِلْيَةُ الْمَرْءِ كَثْرَةُ إخْوَانِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ الْإِقْلَالَ مِنْهُمْ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ أَخَفُّ إثْقَالًا وَكُلَفًا، وَأَقَلُّ تَنَازُعًا وَخُلْفًا. وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ: الْمُسْتَكْثِرُ مِنْ الْإِخْوَانِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ كَالْمُسْتَوْفِرِ مِنْ

(1) غرر الخصائص الواضحة (ص: 584).

(2) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص: 201).

الْحِجَارَةِ، وَالْمُقِلُّ مِنْ الْإِخْوَانِ الْمُتَخَيِّرُ لَهُمْ كَالَّذِي يَتَخَيَّرُ الْجَوْهَرَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: مَنْ كَثُرَ إخْوَانُهُ كَثُرَ غُرَمَاؤُهُ. وَقَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ: مَثَلُ الْإِخْوَانِ كَالنَّارِ قَلِيلُهَا مَتَاعٌ، وَكَثِيرُهَا بَوَارٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَنَبَّهَ عَلَى الْعِلَّةِ، حَيْثُ يَقُولُ:

عَدُوُّك مِنْ صَدِّيقِك مُسْتَفَادٌ ... فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنْ الصِّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنْ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وَدَعْ عَنْك الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٍ ... يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٍ مُسْتَطَابِ

فَمَا اللُّجَجُ الْمِلَاحُ بِمُرْوِيَاتٍ ... وَتَلْقَى الرِّيَّ فِي النُّطَفِ الْعِذَابِ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: لِيَكُنْ غَرَضُك فِي اتِّخَاذِ الْإِخْوَانِ، وَاصْطِنَاعِ النُّصَحَاءِ تَكْثِيرَ الْعُدَّةِ لَا تَكْثِيرَ الْعِدَّةِ، وَتَحْصِيلَ النَّفْعِ لَا تَحْصِيلَ الْجَمْعِ، فَوَاحِدٌ يَحْصُلُ بِهِ الْمُرَادُ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ تُكَثِّرُ الْأَعْدَادَ"(1).

ونحن في هذا الأدب سنمضي على سنن الآداب السابقة في موضوعاتها؛ لعلنا من خلاله نبين الوجهة الصحيحة لهذه الرابطة باعتدال من غير يأس من وجود إخوة صالحين، وأصدقاء نافعين، مع شعورنا بأن الكمال في خصال الحمد عزيز، ومن غير غفلة عما تحصل من المضرات بسبب الصحبة، لكن ببيان الأدب في هذه الرابطة والتزامه في إخاء الناس يصل المرء إلى المنافع ويسلم من الأضرار، أو على أقل الأحوال يقل الضرر عنه، ويكثر النفع له.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 170).

أولاً: تعريف الأدب مع الإخوان والأصحاب:

الإخوان جمع أخ وهو: الصديق، وَفِي الْمثل: "إِن أَخَاك من آساك" و"رب أَخ لَك لم تلده أمك" وَيُقَال: "إِخْوَان الوداد أقرب من إِخْوَة الولاد[1].

والأصحاب: جمع صاحب، وهو: الْمرَافِق والمُعَاشِرُ[2].

والأدب مع الإخوان والأصحاب يعني: حسن معاملتهم، وحفظ مودتهم، والقيام بحقوقهم، وكف الأذى عنهم، ومد يد الندى إليهم، والحفاظ على أسباب دوام عشرتهم.

ثانيًا: أسباب العناية بالأدب مع الإخوان والأصحاب:

هناك أسباب تدعونا إلى الحديث عن هذا الأدب، فمنها:

1- أن حق الأصحاب والإخوان من الحقوق العظيمة الشأن التي ينبغي مراعاتها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[النساء:36].

قال الماوردي: " ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرفيق في السفر، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها زوجة الرجل التي

(1) المعجم الوسيط (1/ 9).

(2) المعجم الوسيط (1/ 507)، تاج العروس (3/ 185).

تكون في جنبه، وهو قول ابن مسعود. **والثالث:** أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك، وهو قول ابن زيد"[1].

2 -حاجة الإنسان لاتخاذ الأصحاب ومخالطة الإخوان لإصلاح شؤون دينه ودنياه.

فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه. **قال الشاعر:**

وَمَا المَرءُ إِلَّا بِإخوَانِهِ ... كَمَا تَقبِضُ الكَفُّ بالمعصَمِ
وَلَا خَيْرَ فِي الكَفِّ مَقْطُوْعَةً ... وَلَا خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الأَجْذَمِ[2]

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "اصْطَفِ مِنْ الْإِخْوَانِ ذَا الدِّينِ وَالْحَسَبِ وَالرَّأْيِ وَالْأَدَبِ؛ فَإِنَّهُ رِدْءٌ لَك عِنْدَ حَاجَتِك، وَيَدٌ عِنْدَ نَائِبَتِك، وَأُنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِك، وَزَيْنٌ عِنْدَ عَافِيَتِك"[3].

وقال عليّ بن الحسين: "لا تعادينّ أحدًا وإن ظننت أنّه لا يضرّك، ولا تزهدنّ في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك؛ فإنك لا تدري متى ترجو صديقك، ولا تدري متى تخاف عدوّك"[4].

وقَالَ الْحَسَنُ: "الْمُؤْمِنُ مَرْآةُ أَخِيهِ؛ إنْ رَأَى فِيهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وَقَوَّمَهُ،

---

(1) تفسير الماوردي = النكت والعيون (1/ 485).

(2) الصداقة والصديق (ص: 216).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 167).

(4) التذكرة الحمدونية (4/ 357).

وَحَاطَهُ وَحَفِظَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، إِنَّ لَكَ مِنْ خَلِيلِكَ نَصِيبًا، وَإِنَّ لَكَ نَصِيبًا مِنْ ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَثِقُوا بِالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ وَالْمَجَالِسِ"(1).

3-مشاهدة كثرة حصول التنافر والجفوة وسوء العلاقة بعد المودة والقرب والصحبة.

ومن أقوى أسباب ذلك: قلة المعرفة بأدب هذه العلاقة، وترك القيام بحقوقها.

4-من أجل أن يسير المرء على طريق صحيح في اختيار أصدقائه والتعامل معهم.

فليس كل امرئ يصلح للصداقة وطول الصحبة، فمعرفة هذا الأدب الذي نحن بصدد بيانه طريق لاختيار الأصدقاء، واصطفاء الإخوان.

5-عظم أثر الصديق على صديقه والأخ على أخيه في الخير والشر.

فالصاحب ساحب، والقرين يقتدي بقرينه، ويقاس به بين الناس، فالصديق الدائم هو الصورة لصديقه عند غيره.

ولهذا ورد في الشريعة الحث على اختيار الصحبة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)**(2).

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 107).

(2) رواه أحمد(8417)، وأبو داود(4833)، والترمذي(2378)، **قال النووي:** "رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح، **وَقالَ الترمذي:** «حديث حسن»". رياض الصالحين (ص: 133).

قال السلمي (المتوفى: 412هـ) عند هذا الحديث: "كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى دِينِ أَصْحَابِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عَبِيدِهِ خَيْرًا وَفَّقَهُ لِمُعَاشَرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَهْلِ السِّتْرِ وَالصَّلَاحِ وَالدِّينِ، وَيَرُدُّهُ عَنْ صُحْبَةِ أَهْلِ الْهَوَى وَالْبِدَعِ وَالْمُخَالِفِينَ"[1].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَدَلُّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا الدُّخَانِ عَلَى النَّارِ مِنْ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ".

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي"[2]

ثالثًا: صور من الأدب مع الإخوان والأصحاب:

للأدب مع الإخوان والأصحاب صور متعددة، منها:

1- حسن المعاملة، وطيب المعاشرة التي يجمعها خُلق حسن في السر والعلن.

قال السلمي: "فَمِنْ آدَابِ الْعِشْرَةِ: حُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ الْإِخْوَانِ وَالْأَقْرَانِ وَالْأَصْحَابِ؛ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ"[3].

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ

(1) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 41).

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 165).

(3) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 43).

الْمُسْلِمُ قال: (حسن الخلق)[1][2].

2- حفظ الأسرار، وترك إشاعة الأخبار التي يحب كتمانها عن الأصحاب.

قال الشاعر:

إذا لم يكن في الورى صاحبٌ ... وفيه ثلاثُ خصالٍ حميدهْ
وفاءٌ وسرٌّ وحفظُ الولا ... فصحبتُه قطُّ ليستْ مفيده[3]

ويعظم حفظ السر عند الاختلاف وحصول العداوة، فالصاحب الكريم لا يفشي الأسرار ولو حصل الفراق وذهبت المودة.

قال الشاعر:

لَيسَ الكَريمُ الَّذي إِن زَلَّ صاحِبُهُ ... بَثَّ الَّذي كانَ مِن أَسرارِهِ عَلِما
إِنَّ الكَريمَ الَّذي تَبقى مَودَّتُهُ ... وَيَحفَظُ السِرَّ إِن صافى وَإِن صَرَما[4]

---

(1) رواه ابن أبي شيبة(25315)، والطبراني في الكبير(470)، ابن حبان(478)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(4423)، وصححه الألباني والأرناؤوط. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/ 466).

(2) **فائدة**: قال الطحاوي: "قال قائل منكرًا لهذا الحديث: فقد وجدنا العبد يعطى الإيمان، أفيجوز أن يكون حسن الخلق خيرًا منه؟ فكان جوابنا له: أن حسن الخلق قد يقع على أشياء مختلفة، منها لين العريكة، ومنها السجية التي يحمدها بعض الناس من بعض، ومنها الدين، ومنها قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:4]. أي: على دين عظيم.. وأهل العربية يميلون إلى هذا التأويل، منهم الفراء، فكان معنى الخلق الذي جعله رسول الله ﷺ خير ما أعطي العبد هو: الدين الحسن..". شرح مشكل الآثار (11/ 253).

(3) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار (ص: 243).

(4) آداب العشرة، للغزي (23).

وَقَالَ آخَرُ:

أُدَارِي خَلِيلِــي مَــا اسْــتَقَامَ بِــوُدِّهِ ... وَأَمْنَحُـــــهُ وُدِّي إِذَا يَتَجَنَّـــــبُ
وَلَــسْتُ بِبَــادٍ صَــاحِبِي بِقَطِيعَــةٍ ... وَلَا أَنَــا مُبْـدٍ سِـرَّهُ حِـينَ يَغْـضَبُ(1)

3 -المحادثة والمؤانسة عند اللقاء -خاصة إذا كان بعد انقطاع- وتركُ الانشغال بالجوال عن الصاحب إلا فيما لابد منه.

قال الشاعر:

لِحَـافِي لِحَـافُ الـضَّيْفِ والبيـتُ بيتُـهُ ... ولـمْ يُلْهِنـي عنـه الغَـزالُ المُقنّـعُ
أُحَدِّثُــهُ إنَّ الحــديثَ مِــنَ القِــرَى ... وتَعْلَـمُ نفسي أنّـه سـوف يَهْجَـعُ(2)

4- حفظ الوداد عند الغياب، وخلفه بخير عند الذهاب.

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ لِأَخٍ لَهُ:

الْعَــيْنُ تُبْــصِرُ مَــا تَهْــوَى وَتَفْقِــدُهُ ... فَنَـاظِرُ الْقَلْـبِ لَا يَخْلُـو مِـنَ النَّظَـرِ
إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِي فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِي ... يَـرَاكَ قَلْبِـي وَإِنْ غُيِّبْـتَ عَـنْ بَـصَرِي(3)

وقال بَعْضَ الشُّعَرَاءِ لِأَخٍ لَهُ:

أَمَــا وَالَّــذِي شَــاءَ لَــمْ يَخْلُــقِ النَّــوَى ... لَئِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غِبْتَ عَنْ قَلْبِي
أَخِــي رَعَــاكَ اللهُ فِــي كُــلِّ وِجْهَــةٍ ... تَوَجَّهْتَهَـا مَـا بَـيْنَ شَـرْقٍ إِلَـى غَـرْبِ

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 269).
(2) الذخائر والعبقريات (1/ 134).
(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 140).

تَـوَهَّمُ مِنْـكَ الـشَّوْقَ حَتَّـى كَـأَنَّنِي أُنَاجِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُـنْ قُرْبِي[1]

وقال **أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ**: "أَوْصَى رَجُلٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَخًا لَهُ فَقَالَ: أَيْ أَخِي، آخِ الْكَرِيمَ الْأُخُوَّةِ، الْأَكْمَلَ الْمُرُوءَةِ، وَالَّذِي إِنْ غِبْتَ خَلْفَكَ، وَإِنْ حَضَرْتَ كَنَفَكَ، وَإِنْ لَقِيَ لَكَ صَدِيقًا اسْتَزَادَهُ، وَإِنْ لَقِيَ لَكَ عَدُوًّا كَفَّ عَنْكَ مَعَرَّتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ ابْتَهَجْتَ بِهِ، وَإِنْ نَاسَبْتَهُ اسْتَرَحْتَ"[2].

5–المساعدة المادية مع الاقتدار، عند الحاجة من غير انتظار السؤال.

فعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ – أَوْ قَالَ: حِينٌ – وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ"[3].

وعن طُعْمَةَ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ: "كَانَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ يَأْتِينِي بِالْأَلْفِ دِينَارٍ وَالْأَلْفَيْ دِينَارٍ وَيَقُولُ: اقْسِمْهَا عَلَى إِخْوَانِكَ، وَلَا تُعْلِمْهُمْ أَنَّهَا مِنْ قِبَلِي. وَكَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا رَأَيْتُ لَكَ عَلَيَّ فَضْلًا بِقَضَاءِ حَوَائِجِي. قَالَ طُعْمَةُ: وَإِنَّمَا قَضَاءُ حَوَائِجِهِ: أَنْ يُعْطِيَنِي الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ أُقَسِّمُهَا عَلَى الْفُقَهَاءِ"[4].

وعَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: رُئِيَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثَوْبٌ كَأَنَّهُ يُكْثِرُ لبسَهُ،

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 140).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 110).

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد(111)، وأحمد(5562)، والطبراني في الكبير(13585)، وحسنه الألباني.

(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 208).

فَقِيلَ لَهُ فِيهِ فَقَالَ: "هَذَا كَسَانِيَهُ خَلِيلِي وَصَفِيِّي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إِنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللهَ فَنَصَحَهُ اللهُ"(1).

وقال **مَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ**: "كَانَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ يَأْتِينِي بِالنَّفَقَةِ فَيَقُولُ: خُذْهَا، فَإِنْ لَمْ تَحْتَجْ إِلَيْهَا فَأَعْطِهَا مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ "(2).

ومن تمام هذا المعروف من الأخ لأخيه: أن لا يمن به عليه، ولا يحسب أنه قد أفضل عليه، بل ينسى ذلك المعروف، فعن الْمُفَضَّلِ بْنِ غَسَّانَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "كَانَ يُقَالُ: اصْحَبْ مَنْ يَنْسَى مَعْرُوفَهُ عِنْدَكَ "(3).

6-المشاركة في الأفراح والأتراح، وإبداء البِشر بالسرور، والأسفِ بالحزن، ولو بالرسالة والاتصال إن تعذر اللقاء.

7-الزيارة.

لاسيما عند مناسبة؛ كقدوم من سفر، أو مرض، أو فرح أو حزن، واحتساب ذلك عند الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 208).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 248).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 99).

عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[1].

لكن ينبغي أن تتوفر في الزيارة آدابها، ومن تلك الآداب: الإقلال منها وعدم الإكثار.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (زُرْ غِبًّا[2] تَزْدَدْ حُبًّا)[3].

قال الشاعر:

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقَ وَلَا تُطِلْ ... هِجْرَانَهُ فَيَلِجَّ[4] فِي هِجْرَانِهِ
إِنَّ الصَّدِيقَ يَلِجُّ فِي غِشْيَانِهِ[5] ... لِصَدِيقِهِ فَيَمَلُّ مِنْ غِشْيَانِهِ
حَتَّى يَرَاهُ بَعْدَ طُولِ سُرُورِهِ ... بِمَكَانِهِ مُتَثَاقِلًا بِمَكَانِهِ[6]

8-البشاشة وطلاقة الوجه وإظهار السرور وحسن الاستقبال عند اللقاء.

---

(1) رواه مسلم(2567).

(2) **الغِبّ مِن أَوْرَاد الإِبل**: أنْ تَرِدَ الْمَاءَ يوماً وتَدَعَه يَوْمًا ثُمَّ تَعُودَ، فَنقَله إِلَى الزِّيارة وإنْ جَاءَ بَعْدَ أَيَّامٍ. يُقَالُ: غَبَّ الرجُل إِذَا جَاءَ زَائِرًا بَعْدَ أَيَّامٍ. النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 336).

(3) رواه الطبراني في الكبير(173) والأوسط(1754)، والبيهقي في الشعب (8007)، والبزار (3963)، وأبو داود الطيالسي(2658) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 322)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني وإسناده حسن، والله أعلم". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 175).

(4) لج: تمادى.

(5) الغشيان: الإتيان.

(6) أدب الدنيا والدين (ص: 178).

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي)[1].

قال عُمَرُ أَبُو جعْفرٍ: "كَانَ يُقَالَ: أَوَّلُ الْمَوَدَّةِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالثَّانِيَةُ: التَّوَدُّدُ، وَالثَّالِثَةُ: قَضاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ"[2].

وقال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّبَيْدِيّ: "يُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَّاءِ كُلّ سَهْلٍ طَلْقٍ مِضْحَاكٍ، فَأَمَّا مَنْ تَلْقَاهُ بِبِشْرٍ وَيَلْقَاكِ بِضِرْسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ، فَلَا كَثَّرَ اللهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ"[3].

وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى خَيْثَمَةَ فَقَبَّلَ يَدِي، وَقَبَّلْتُ يَدَهُ"[4].

وعَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ، قَالَ: "قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَرَأَيْتُ عُمَرَ يُقَبِّلُ رَأْسَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"[5].

وعَنْ أَبِي بَلْجٍ قَالَ: "رَأَيْتُ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ وَعَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ الْتَقَيَا فَاعْتَنَقَا"[6].

وعَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ "أَنَّ عُمَرَ، لَمَّا أَتَى الشَّامَ اسْتَقْبَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ

---

(1) رواه البخاري(3035)، ومسلم(2475).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 191).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 193).

(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 196).

(5) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 199).

(6) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 182).

وَفَاضَ إِلَيْهِ أَلَمًا، فَالْتَزَمَهُ عُمَرُ وَقَبَّلَ يَدَهُ، وَجَعَلَا يَبْكِيَانِ"[1].

9–ستر العيوب، وترك الإعلان والتعيير بها، والغضِ من القدر بسببها؛ إذ لا يخلو أحد من عيب ولا يسلم من نقص.

فـ" ستر العيوب والتغافل عنها سيمة أهل الدين"[2].

قَالَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ الصَّالِحِينَ لِبَعْضِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ: "اجْتَهِدْ أَنْ تَسْتُرَ الْعُصَاةَ؛ فَإِنَّ ظُهُورَ مَعَاصِيهِمْ عَيْبٌ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَوْلَى الْأُمُورِ سَتْرُ الْعُيُوبِ"[3].

10–التماس الأعذار، وإقالة العثرات.

سَأَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبَا عَبْدِ اللهِ [أحمد بن حنبل] عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ «إِذَا بَلَغَكَ شَيْءٌ عَنْ أَخِيكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى لَا تَجِدَ لَهُ مَحْمَلًا» مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَقُولُ تَعْذُرُهُ، تَقُولُ: لَعَلَّهُ كَذَا، لَعَلَّهُ كَذَا[4].

وعن أَبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لِابْنِهِ: «أَيْ بُنَيَّ، لَا تُؤَاخِ أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَ أُمُورِهِ وَمَصَادِرَهَا، فَإِذَا اسْتَطَبْتَ مِنْهُ الْخَبَرَ، وَرَضِيتَ مِنْهُ الْعِشْرَةَ؛ فَآخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ، وَالْمُوَاسَاةِ عِنْدَ الْعُسْرَةِ»[5].

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 182).

(2) مختصر منهاج القاصدين (ص: 101).

(3) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 264).

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 302).

(5) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 112).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: "كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا"(1).

11-ترك العجلة بالعتاب، والبعدُ عن الإكثار من اللوم عند حصول أسبابه.

قال الماوردي: "كَثْرَةُ الْعِتَابِ سَبَبٌ لِلْقَطِيعَةِ، وَإِطْرَاح جَمِيعِهِ دَلِيلٌ عَلَى قِلَّةِ الِاكْتِرَاثِ بِأَمْرِ الصَّدِيقِ. **وَقَدْ قِيلَ:** عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ. بَلْ تَتَوَسَّطُ حَالَتَا تَرْكِهِ وَعِتَابِهِ، فَيُسَامِحُ بِالْمُتَارَكَةِ، وَيُسْتَصْلَحُ بِالْمُعَاتَبَةِ؛ فَإِنَّ الْمُسَامَحَةَ وَالِاسْتِصْلَاحَ إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثْ مَعَهُمَا نُفُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمَا وَجْدٌ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُكْثِرَنَّ مُعَاتَبَةَ إِخْوَانِك، فَيَهُونَ عَلَيْهِمْ سَخَطُك.

وَقَالَ مَنْصُورٌ النَّمَرِيُّ:

أَقْلِلْ عِتَابَ مَنْ اسْتَرَبْت بِوُدِّهِ ... لَيْسَتْ تُنَالُ مَوَدَّةٌ بِعِتَابِ

وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

إذَا كُنْت فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَك لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاك فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

ثُمَّ إنَّ مِنْ حَقِّ الْإِخْوَانِ: أَنْ تَغْفِرَ هَفْوَتَهُمْ، وَتَسْتُرَ زَلَّتَهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ رَامَ بَرِيئًا مِنْ الْهَفَوَاتِ، سَلِيمًا مِنْ الزَّلَّاتِ، رَامَ أَمْرًا مُعْوِزًا، وَاقْتَرَحَ وَصْفًا مُعْجِزًا. وَقَدْ قَالَتْ

---

(1) شعب الإيمان(7992).

الْحُكَمَاءُ: أَيُّ عَالِمٍ لَا يَهْفُو، وَأَيُّ صَارِمٍ لَا يَنْبُو، وَأَيُّ جَوَادٍ لَا يَكْبُو. وَقَالُوا: مَنْ حَاوَلَ صَدِيقًا يَأْمَنُ زَلَّتَهُ، وَيَدُومُ اغْتِبَاطُهُ بِهِ، كَانَ كَضَالِّ الطَّرِيقِ الَّذِي لَا يَزْدَادُ لِنَفْسِهِ إِتْعَابًا إِلَّا ازْدَادَ مِنْ غَايَتِهِ بُعْدًا. وَقِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: أَيُّ إِخْوَانِك أَحَبُّ إِلَيْك؟ قَالَ: مَنْ غَفَرَ زَلَلِي، وَقَطَعَ عِلَلِي، وَبَلَّغَنِي أَمَلِي"[1].

12–قضاء الحوائج، والتفريج عن الكروب حسب الاستطاعة.

فعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **(وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَة)**[2].

قال السلمي: "مِنْ آدَابِ الصُّحْبَةِ: قَضَاءُ الْحَوَائِجِ، وَمِنْ آدَابِهَا: التَّسَارُعِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ مَنْ يَرْفَعُ إِلَيْهِ حَاجَةً"[3].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: «لَمْ يَبْقَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا إِلَّا قَضَاءُ حَوَائِجِ الْإِخْوَانِ»[4].

13–الاعتدال في المحبة.

فإن الإفراط فيها غير مأمون العواقب السيئة، كما أن التفريط فيها عنوان سوء الصحبة.

قال الماوردي: "وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّى الْإِفْرَاطَ فِي مَحَبَّتِهِ؛ فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ دَاعٍ إِلَى

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 178).

(2) رواه مسلم(2580).

(3) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 101).

(4) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 102).

التَّقْصِيرِ. وَلَئِنْ تَكُونَ الْحَالُ بَيْنَهُمَا نَامِيَةً أَوْلَى مِنْ أَنْ تَكُونَ مُتَنَاهِيَةً. **وَقَدْ رَوَى** ابْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَحْبِبْ حَبِيبَك هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَك يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَك هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَك يَوْمًا مَا**». وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَكُنْ حُبُّك كَلَفًا، وَلَا بُغْضُك تَلَفًا. **وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ:**

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنْ الْأَذَى ... فَإِنَّك رَاءٍ مَا عَلِمْت وَسَامِعُ
وَأَحْبِبْ إذَا أَحْبَبْت حُبًّا مُقَارِبًا ... فَإِنَّك لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إذَا أَبْغَضْت غَيْرَ مُبَايِنٍ ... فَإِنَّك لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

لَا تَأْمَنَنَّ مِنْ مُبْغِضٍ قُرْبَ دَارِهِ ... وَلَا مِنْ مُحِبٍّ أَنْ يَمَلَّ فَيَبْعُدَا[1]

14 –ترك الحسد وفسادِ القلب بتمني زوال النعمة.

فمتى علا الأخ على أخيه، والصاحب على صاحبه في شرف ومنزلة في الدين والدنيا، فلا يحسده، ولا يملأ قلبه غيظًا عليه؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

عن الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا**

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 177).

يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[1].

15-ترك الاحتقار والكبر إذا حصّل الصديق سببًا للرفعة في دين أو دنيا.

قال الغزي في آداب العشرة:"ومنها التواضع للإخوان، وترك التكبر عليهم"[2].

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: (**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**)[3].

16-حفظ المودة القديمة عند تغير الأحوال، وارتفاع الدنيا وانخفاضها بأهلها.

فالصديق الصالح هو من لا يزيده ارتفاعه على أصدقائه إلا تواضعًا لهم، وقضاء لحوائجهم، وعدم ترك للأيام السالفة بينه وبينهم.

قال الماوردي: "وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ: شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الزَّمَانِ إذَا أَقْبَلَ، فَإِذَا أَدْبَرَ الزَّمَانُ أَدْبَرَ عَنْك. فَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الشَّاعِرُ **فَقَالَ:**

شَرُّ الْأَخِلَّاءِ مَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ ... مَعَ الزَّمَانِ إذَا مَا خَافَ أَوْ رَغِبَا

(1) رواه أحمد(1412)، والترمذي(2510)، والبيهقي في الكبرى(21065)، وأبو داود الطيالسي (190)، وأبو يعلى(669)، والبزار(2232)، **قال الهيثمي:** "رواه البزار وإسناده جيد" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 30).

(2) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (ص: 30).

(3) رواه مسلم(2865).

إِذَا وَتَــرْت امْــرَأً فَاحْــذَرْ عَدَاوَتَــهُ مَـنْ يَـزْرَعِ الـشَّوْكَ لَا يَحْـصُدْ بِـهِ عِنَبًـا
إِنَّ الْعَـــدُوَّ وَإِنْ أَبْـــدَى مُـــسَالَمَةً إِذَا رَأَى مِنْـكَ يَوْمًـا فُرْصَـةً وَثَبَـا"[1]

وقال الغزالي: "وَمِنَ الْوَفَاءِ: أَنْ لا يتغير حاله في التواضع مَعَ أَخِيهِ، وَإِنِ ارْتَفَعَ شَأْنُهُ وَاتَّسَعَتْ وِلَايَتُهُ، وعظم جاهه، فالترفع عَلَى الْإِخْوَانِ بِمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْأَحْوَالِ لُؤْمٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْكِـرَامَ إِذَا مَـا أَيْـسَرُوا ذَكَـروا مـن كـانَ يـألفُهمْ في المنـزلِ الخـشنِ

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني، لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك.

وقال بعض الحكماء: إذا ولي أخوك ولاية فثبتَ على نصف مودته لك فهو كثير"[2].

18-شكر المعروف وعدم نسيان الجميل.

فالصديق الصالح لا يكفر المعروف ولا ينسى الفضل، بل يبقى الجميل معه جميلاً لا يتكدر ولو طال الزمان.

قال الشاعر:

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 176).
(2) إحياء علوم الدين (2/ 187).

أوليتَنِـــي نِعمــــًا أبـــوحُ بــــشكرِها   وكفيتَنِـــي كـــلَّ الأمـــورِ بأســـرِها

فلأشـــكرنّكَ مـــا حييـــتُ وإن أمـــتْ   فلتـــشكرنّكَ أعظُمـــي في قبرِهـــا[1]

19-المفاصلة عند الحاجة من غير إبداء عداوة.

فمتى رأى الأخ المضرة من مصاحبة امرئ فليطرحه بأدب وحكمة؛ فإن طول صحبته لا خير فيها. والسلامة لا يعدلها شيء.

قال السفاريني: "كُلُّ مَنْ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْ صُحْبَتِهِ شَيْئًا فَتَرْكُهُ أَوْلَى؛ وَكُلُّ مَنْ تَضُرُّك صُحْبَتُهُ فِي دِينِك فَتَرْكُهُ وَاجِبٌ. وَكَذَا فِي دُنْيَاك ضَرَرًا لَهُ قِيمَةٌ حَيْثُ كَانَ لَك مِنْهُ بُدٌّ. وَدَفْعُ الْمَضَارِّ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ. وَيُدْفَعُ أَشَدُّ الضَّرَرَيْنِ بِأَخَفِّهِمَا"[2].

رابعًا: طرق الوصول إلى الأدب مع الإخوان والأصحاب:

من تلك الطرق:

1-اختيار الصاحب الغالبة عليه صفات الخير، والحذر من مصاحبة ذوي الخلال السيئة، والتحري قبل عقد الصداقة والإخاء؛ فإن الصديق الصالح يعين على الأدب معه، ولا يخرج الإنسان إلى سوء طباعه، وشر أخلاقه.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ؛

---

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 245).

(2) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (2/ 486).

فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ "[1].

وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

فـــلا تـــصحبِ أخـــا الجهـــ ... لِ وإيـــــــــاكَ وإيـــــــاهُ
فكـــــمْ مـــــن جاهـــلٍ أردَى ... حليمـــــا حـــــينَ آخـــاهُ
يُقـــاسُ المــــرءُ بــــالمرءِ ... إذا مـــا المـــرءُ مـــا شـــاهُ
وللـــــشيءِ مـــــن الـــــشيءِ ... مقـــــاييسٌ وأشـــــــباهُ"[2]

وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

إِنَّ أَخَـاكَ الْحَـقَّ مَـنْ كَـانَ مَعَـكْ ... وَمَـنْ يَـضُرُّ نَفْـسَهُ لِيَنْفَعَـكْ
وَمَـنْ إِذَا رَيْـبُ زَمَـانٍ صَـدَّعَكْ ... شَـتَّتَ فِيـهِ شـملَه ليجمعَـكْ"[3]

"**وعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ** رَحِمَهُٱللَّهُ وَرَضِيَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يُصَاحِبَ خَمْسَةً: الْمَاجِنَ وَالْكَذَّابَ، وَالْأَحْمَقَ وَالْبَخِيلَ، وَالْجَبَانَ؛ فَأَمَّا الْمَاجِنُ فَعَيْبٌ إِنْ دَخلَ عَلَيْك، وَعَيْبٌ إِنْ خرَجَ مِنْ عِنْدِك، لَا يُعِينُ عَلَى مُعَادٍ،وَيَتَمَنَّى أَنَّك مِثْلُهُ. وَأَمَّا الْكَذَّابُ فَإِنَّهُ يَنْقُلُ حَدِيثَ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَيُلْقِي الشِّحْنَةَ فِي الصُّدُورِ. وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنَّهُ لَا يُرْشِدُ لِسُوءٍ يَصْرِفُهُ عَنْك، وَرُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرّكَ، فَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَأَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ أَبْعَد مَا تَكُونُ

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 84).

(2) إحياء علوم الدين (2/ 171).

(3) إحياء علوم الدين (2/ 172).

مِنْهُ، فَفِي أَشَدِّ حَالَاتِهِ يَهْرُبُ وَيَدَعُك "[1].

وقال بعض الأدباء: "لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك، ويستر عيبك، فيكون معك في النوائب، ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك"[2].

وقال بعض الحكماء: "لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه"؛ **ولذلك قيل:**

وترى الكريمَ إذا تصرّمَ وصلُهُ ... يُخفي القبيحَ ويُظهرُ الإحسانا
وترى اللئيمَ إذا تقضّى وصلُهُ ... يخفي الجميلَ ويُظهرُ البهتانا"[3]

"**كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَتَمَثَّلُ:**

أبلُ الرِّجَالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ ... وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا وَجَدْتَ أَخَا الْأَمَانَةِ وَالتُّقَى ... فَبِهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
وَدَعِ التَّذَلُّلَ وَالتَّخَشُّعَ تَبْتَغِي ... قُرْبَ امْرِئٍ إِنْ تَدْنُ مِنْهُ تُبَعَّدِ"[4]

وقال ابن المقفع: "وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع، إلا ذا فضلٍ في العلم والدين والأخلاق، فيأخذ عنه، أو موافقًا له

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 573).
(2) إحياء علوم الدين (2/ 172).
(3) إحياء علوم الدين (2/ 179).
(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 82).

على إصلاح ذلك، فيؤيد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل؛ فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا، ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين، وليس لذي الفضل قريب، ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال، فزاده، وثبّته.

ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء، أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال"[1].

وقال أيضًا: "وإذا نظرت في حال من ترتئيه لإخائك، فإن كان من إخوان الدين فليكن فقيهًا، غير مراءٍ، ولا حريص، وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرًا، ليس بجاهل، ولا كذاب، ولا شرير، ولا مشنوع[2]؛ فإن الجاهل أهل أن يهرب منه أبواه، وإن الكذاب لا يكون أخًا صادقًا؛ لأن الكذب الذي يجري على لسانه، إنما هو من فضول كذب قلبه، وإنما سمي الصديق من الصدق، وقد يتهم صدق القلب، وإن صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان؟، وإن الشرير يكسبك العدو، ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة، وإن المشنوع شانع صاحبه"[3].

وقال الماوردي: "فَإِذَا عَزَمَ عَلَى اصْطِفَاءِ الْإِخْوَانِ سَبَرَ أَحْوَالَهُمْ قَبْلَ إخَائِهِمْ، وَكَشَفَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ قَبْلَ اصْطِفَائِهِمْ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ: اسبر تخبر. وَلَا تَبْعَثُهُ الْوَحْدَةُ عَلَى الْإِقْدَامِ قَبْلَ الْخِبْرَةِ، وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ عَلَى الِاغْتِرَارِ بِالتَّصَنُّعِ؛ فَإِنَّ الْمَلَقَ مَصَائِدُ الْعُقُولِ، وَالنِّفَاقَ تَدْلِيسُ الْفِطَنِ، وَهُمَا سَجِيَّةُ الْمُتَصَنِّعِ. وَلَيْسَ فِيمَنْ

---

(1) الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: 20).

(2) مشهور بالقبيح.

(3) الأدب الكبير (ص: 104).

يَكُونُ النِّفَاقُ وَالْمَلَقُ بَعْضَ سَجَايَاهُ خَيْرٌ يُرْجَى، وَلَا صَلَاحُ يُؤَمَّلُ؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَتْ الْحُكَمَاءُ: اعْرِفْ الرَّجُلَ مِنْ فِعْلِهِ لَا مِنْ كَلَامِهِ، وَاعْرِفْ مَحَبَّتَهُ مِنْ عَيْنِهِ لَا مِنْ لِسَانِهِ.

ثُمَّ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ: مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ الِامْتِحَانَ قَبْلَ الثِّقَةِ، وَالثِّقَةَ قَبْلَ أُنْسٍ، أَثْمَرَتْ مَوَدَّتُهُ نَدَمًا. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مُصَارَمَةٌ قَبْلَ اخْتِبَارٍ، أَفْضَلُ مِنْ مُؤَاخَاةٍ عَلَى اغْتِرَارٍ. **وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ:** لَا تَثِقْ بِالصديقِ قَبْلَ الْخِبْرَةِ، وَلَا نَفْعَ بِالْعَدْوِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ، **وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:**

لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ

فَحَمْدُكَ الْمَرْءَ مَا لَمْ تُبْلِهِ خَطَأٌ ... وَذَمُّهُ بَعْدَ حَمْدٍ شَرُّ تَكْذِيبِ

فَالْخَصْلَةُ الْأُولَى: عَقْلٌ مَوْفُورٌ يَهْدِي إلَى مَرَاشِدِ الْأُمُورِ. فَإِنَّ الْحُمْقَ لَا تَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَّةٌ، وَلَا تَدُومُ لِصَاحِبِهِ اسْتِقَامَةٌ..

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: الدِّينُ الْوَاقِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْخَيْرَاتِ، فَإِنَّ تَارِكَ الدِّينِ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ مَوَدَّةُ غَيْرِهِ...

وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ مَحْمُودَ الْأَخْلَاقِ مَرْضِيَّ الْأَفْعَالِ، مُؤْثِرًا لِلْخَيْرِ آمِرًا بِهِ، كَارِهًا لِلشَّرِّ نَاهِيًا عَنْهُ؛ فَإِنَّ مَوَدَّةَ الشِّرِّيرِ تُكْسِبُ الْأَعْدَاءَ وَتُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ...

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَيْلٌ إلَى صَاحِبِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي مُؤَاخَاتِهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْكَدُ لِحَالِ الْمُؤَاخَاةِ وَأَمَدُّ لِأَسْبَابِ الْمُصَافَاةِ، إذْ لَيْسَ كُلُّ مَطْلُوبٍ إلَيْهِ طَالِبًا وَلَا كُلُّ مَرْغُوبٍ إلَيْهِ رَاغِبًا.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي إنْسَانٍ وَجَبَ إخَاؤُهُ، وَتَعَيَّنَ اصْطِفَاؤُهُ.

وَبِحَسَبِ وُفُورِهَا فِيهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَيْلُ إِلَيْهِ وَالثِّقَةُ بِهِ.

وَبِحَسَبِ مَا يُرَى مِنْ غَلَبَةِ إِحْدَاهَا عَلَيْهِ يُجْعَلُ مُسْتَعْمَلًا فِي الْخُلُقِ الْغَالِبِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْإِخْوَانَ عَلَى طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْحَاءٍ مُتَشَعِّبَةٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَالٌ يَخْتَصُّ بِهَا فِي الْمُشَارَكَةِ، وَثُلْمَةٌ يَسُدُّهَا فِي الْمُؤَازَرَةِ وَالْمُظَافَرَةِ"[1].

2-مجالسة الصالحين، والاقتداء بهم، والسير على منوالهم؛ لأنه إذا "كَاثَرَهُمْ الْمُجَالِسَ، وَطَاوَلَهُمْ الْمُؤَانِسَ، أَحَبَّ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ، وَيَتَأَسَّى بِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يُقَصِّرَ عَنْهُمْ، وَلَا أَنْ يَكُونَ فِي الْخَيْرِ دُونَهُمْ، فَتَبْعَثُهُ الْمُنَافَسَةُ عَلَى مُسَاوَاتِهِمْ، وَرُبَمَا دَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ إِلَى الزِّيَادَةِ عَلَيْهِمْ وَالْمُكَاثَرَةِ لَهُمْ فَيَصِيرُوا سَبَبًا لِسَعَادَتِهِ، وَبَاعِثًا عَلَى اسْتِزَادَتِهِ.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَوْلَا الْوِئَامُ لَهَلَكَ الْأَنَامُ. أَيْ لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَقْتَدِي بِهِمْ فِي الْخَيْرِ لَهَلَكُوا. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مِنْ خَيْرِ الِاخْتِيَارِ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، وَمِنْ شَرِّ الِاخْتِيَارِ مَوَدَّةُ الْأَشْرَارِ.

وَهَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ لِلْمُصَاحَبَةِ تَأْثِيرًا فِي اكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ، فَتَصْلُحُ أَخْلَاقُ الْمَرْءِ بِمُصَاحَبَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَتَفْسُدُ بِمُصَاحَبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ. **وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:**

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ ... وَيُعْدِيهِمُ عِنْدَ الْفَسَادِ إذَا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلَاحِهِ ... وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدْ"[2]

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 165) وما بعدها.

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 106).

3 -القناعة بصفات خير غالبة، وعدم طلب الكمال في المحامد، وترك التقصي في البحث عمن لا عيب فيه ولا نقص، فهذا أمر لا يكون.

"**قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ**: مُعَاتَبَةُ الْأَخِ خَيْرٌ مِنْ فَقْدِهِ، وَمَنْ لَك بِأَخِيك كُلِّهِ؟ فَأَخَذَ الشُّعَرَاءُ هَذَا الْمَعْنَى، **فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ**:

أَأُخَيَّ مَنْ لَك مِنْ بَنِي الدُّنْيَا ... بِكُلِّ أَخِيك مَنْ لَكْ
فَاسْتَبْقِ بَعْضَك لَا يَمَلّك ... كُلُّ مَنْ أَعْطَيْت كُلَّكْ[1]

وقال الماوردي: "فَإِنَّك لَنْ تَجِدَ- مَا بَقِيت- مُهَذَّبًا لَا يَكُونُ فِيهِ عَيْبٌ، وَلَا يَقَعُ مِنْهُ ذَنْبٌ. فَاعْتَبِرْ نَفْسَك، بَعْدَ أَنْ لَا تَرَاهَا بِعَيْنِ الرِّضَى، وَلَا تَجْرِي فِيهَا عَلَى حُكْمِ الْهَوَى؛ فَإِنَّ فِي اعْتِبَارِك وَاخْتِيَارِك لَهَا مَا يُؤَيِّسُك مِمَّا تَطْلُبُ، وَيُعَطِّفُك عَلَى مَنْ يُذْنِبُ. **وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ**:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ:

وَلَسْت بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمّهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ"[2]

وقال الغزالي: "لَوْ طَلَبْتَ مُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ اعْتَزَلْتَ عَنِ الْخَلْقِ كَافَّةً، وَلَنْ تَجِدَ مَنْ تُصَاحِبُهُ أَصْلًا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الناس إلا وله محاسن ومساوئ، فإذا غلبت المحاسن المساوي فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمُنْتَهَى، فَالْمُؤْمِنُ الْكَرِيمُ أَبَدًا يُحْضِرُ فِي

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 173).

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 173).

نَفْسِهِ مَحَاسِنَ أَخِيهِ؛ لِيَنْبَعِثَ مِنْ قَلْبِهِ التَّوْقِيرُ وَالْوُدُّ وَالِاحْتِرَامُ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ اللَّئِيمُ فَإِنَّهُ أبدًا يلاحظ المساوي وَالْعُيُوبَ.

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الْمُؤْمِنُ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ، وَالْمُنَافِقُ يَطْلُبُ الْعَثَرَاتِ، وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً"[1].

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 177).

خامسًا: ثمرات التحلي بالأدب مع الإخوان والأصحاب:

1-سعادة النفس وفرحها وأنسها وراحتها.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ: "أَرْبَعٌ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُهُ صَالِحَةً، وَأَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ أَبْرَارًا، وَأَنْ تَكُونَ مَعِيشَتُهُ فِي بَلَدِهِ، وَإِخْوَانُهُ صَالِحِيْنَ"(1).

قيل لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنَاذِرَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ وَجَدْتَ لَذَّةَ الْعَيْشِ؟ قَالَ: "فِي مُحَادَثَةِ الْإِخْوَانِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْكِفَايَةِ"(2).

وعَنْ شُعْبَةَ قَالَ: "خَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَنْتُمْ جِلَاءُ حُزْنِي"(3).

وعَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، قَالَ: قَالَ لِي طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ "لَلُقْيَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَسَلِ"(4).

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: "ثَلَاثٌ مِنْ رَوْحِ الدُّنْيَا: لُقِيُّ الْإِخْوَانِ، وَإِفْطَارُ الصَّائِمِ، وَالتَّهَجُّدُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ"(5).

وقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: "لِقَاءُ الْأَحِبَّةِ مَسْلَاةٌ لِلْهَمِّ"(6).

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 105).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 141).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 135).

(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 138).

(5) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 143).

(6) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 144).

2-تسهيل أحوال الدين والدنيا والتفريج عن كرباتها.

قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "عليكم بالإخوان؛ فإنهم عُدة في الدنيا والآخرة؛ ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء:100-101]"(1).

وعَنْ وَاصِلٍ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ قَالَ: "كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ بِمَرْوَ، فَأَتَاهُ عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ عُثْمَانُ، فَقَالَ عَطَاءٌ لِمُحَمَّدٍ: أَيُّ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: صُحْبَةُ الْأَصْحَابِ، وَمُحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ إِذَا اصْطَحِبُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَحِينَئِذٍ يَذْهَبُ اللهُ بِالْخِلَافِ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَوَاصَلُوا وَتَوَاصَلُوا، وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الْأَصْحَابِ وَمُحَادَثَةِ الْإِخْوَانِ إِذَا كَانُوا عَبِيدَ بُطُونِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ ثَبَّطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْآخِرَةِ"(2).

3-حصول القوة واشتداد الحال.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لِابْنِهِ الْحَسَنِ: "يَا بُنَيَّ، الْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيبٌ. وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: مَنْ اتَّخَذَ إِخْوَانًا، كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: أَفْضَلُ الذَّخَائِرِ أَخٌ وَفِيٌّ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ عَضُدٌ وَسَاعِدٌ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدُ

نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ ... فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدُ(3)

(1) إحياء علوم الدين (2/ 160).

(2) الأولياء لابن أبي الدنيا (ص: 23).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 161).

وسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الْكُنُوزِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَمَّا بَعْدَ تَقْوَى اللهِ فَالْأَخُ الصَّالِحُ[1].

وقَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ: أَوْصِنِي. قَالَ: "اصْحَبْ أَهْلَ التَّقْوَى؛ فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ مُؤْنَةً، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً"[2].

وكَتَبَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مَعَ رَجُلٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ أَخٌ لَكَ مُوَافِقٌ فَلْيَكُنْ مِنْكَ مَكَانَ سَمْعِكَ وَبَصَرِكَ؛ فَإِنَّ الْأَخَ الْمُوَافِقَ أَفْضَلُ مِنَ الْوَلَدِ الْمُخَالِفِ؛ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنُوحٍ فِي شَأْنِ ابْنِهِ ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾[هود: 46] يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ. فَانْظُرْ إِلَى هَذَا وَأَشْبَاهِهِ، فَاجْعَلْهُمْ كُنُوزَكَ وَذَخَائِرَكَ وَأَصْحَابَكَ فِي سَفَرِكَ وَحَضَرِكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تُقَرِّبْهُمْ تَقَرَّبُوا مِنْكَ، وَإِنْ تُبَاعِدْهُمْ يَسْتَغْنُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّلَامُ "[3].

4– الظفر بالثواب من الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا)**[4].

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 112).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 95).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 83).

(4) رواه أحمد(8536)، والبخاري في الأدب المفرد(345)، والترمذي(2008)، وابن ماجه(1443)، والبيهقي في الشعب(8611)، وابن حبان(2961)، حسنه وصححه ابن حبان فتح الباري لابن حجر (10/ 500).

5-تحصيل علم نافع والإعانة على عمل صالح.

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: "أَخٌ لَكَ كُلَّمَا لَقِيَكَ ذَكَّرَكَ بِحَظِّكَ مِنَ اللهِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخٍ كُلَّمَا لَقِيَكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَارًا"[1].

6-السمعة الحسنة بين الناس.

"قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ، وَاصِلْ أَقْرِبَاءَكَ، وَأَكْرِمْ إِخْوَانَكَ، وَلْيَكُنْ أَخْدَانُكَ مَنْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ وَفَارَقُوكَ لَمْ تُعَبْ بِهِمْ "[2].

سادسًا: أضرار سوء الأدب مع الإخوان والأصحاب:

إذا ساء أدب الإنسان مع إخوانه أدى ذلك إلى أضرار كثيرة، منها:

1-فوت كثير من الثمرات السابقة.

2-إفشاء الأسرار ومعرفة مكامن الضعف والعيوب وتقوية جانب الأعداء.

3-الإثم؛ لأن العداوة والجفاء تؤديان إلى غيبة ونميمة وتجسس واستهزاء.

4-الصراع الذي قد يؤدي إلى اعتداء؛ من سفك دم، أو أخذ مال بالحرام، أو هتك عرض أو غير ذلك.

5-البعد عن عقد صداقات أخرى، والانزواء بالنفس عن الناس؛ لوجود التجربة السابقة المرة.

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 136).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 102).

سابعًا: نماذج مشرقة:

1 – عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ – وَكَانَ كَثِيرَ المَالِ – فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَهْيَمْ)، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: (كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟). قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ[(1)].

2 – كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَذْكُرُ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: "يَا طُولَهَا مِنْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا صَلَّى الْمَكْتُوبَةَ غَدَا إِلَيْهِ، فَإِذَا الْتَقَيَا عَانَقَهُ"[(2)].

3 – وعَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: "لَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بَعْدَمَا قُتِلَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ: كَمْ تَرَكَ أَخِي عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ؟ قَالَ: أَلْفَيْ أَلْفٍ. قَالَ: عَلَيَّ مِنْهَا أَلْفُ أَلْفٍ "[(3)].

4 – "روي أن مسروقًا ادّان دينًا ثقيلاً، وكان على أخيه خيثمة دين. فذهب مسروق فقضى دين خيثمة، وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم"[(4)].

(1) رواه البخاري(3781،3780).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 134).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 224).

(4) إحياء علوم الدين (2/ 174).

5- **وحكي عن** أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟ فقال: أحوج ما كان إلي في هذا الوقت؛ لما وقع في عثرته، أن آخذ بيده، وأتلطف له في المعاتبة، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه[1].

6- **وعَنْ** زُهَيْرٍ أَبِي خَيْثَمَةَ، قَالَ: "اسْتَقْرَضَ أَبِي مِنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُرِّ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا جَاءَ يَرُدُّهَا عَلَيْهِ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْحُرِّ: اذْهَبْ فَاشْتَرِ بِهَا لِزُهَيْرٍ سُكَّرًا"[2].

7- **وعَنْ** مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: "دَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَبَكَى وَقَالَ: جَفَانِي إِخْوَانِي حَيْثُ ذَهَبَ مَالِي. قَالَ: غَيْرُ مُحَمَّدٍ. كَانَتْ لَهُ صُرَرٌ فِيهَا مَالٌ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ إِخْوَانُهُ قَالَ: إِخْوَانِي، مِنْ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ فَلْيَأْخُذْ. قَالَ: فَأَخَذُوا وَاللهِ حَتَّى نَفِدَتْ عَنْ آخِرِهَا"[3].

8- **وعَنْ** سُفْيَانَ، قَالَ: حُدِّثْتُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، أَنَّهُ قَالَ: "قُدُومِي مَكَّةَ حُبًّا لِلِقَاءِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: وَكَانَ يَحْمِلُ إِلَيْهِمُ النَّفَقَةَ وَالصِّلَةَ وَالْكِسْوَةَ وَيَقُولُ: هَيَّأْتُهَا لَكُمْ مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ "[4].

9- **وعن** قُدَامَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَوْدُودٍ، يَقُولُ: "كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَتَحَيَّنُ الْعُبَّادَ وَهُمْ سُجُودٌ: أَبَا حَازِمٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 184).

(2) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 211).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 225).

(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 142).

سُحَيْمٍ، وَأَشْبَاهَهُمْ، فَيَأْتِيهِمْ بِالصُّرَرِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَالدَّرَاهِمُ، فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ حَيْثُ يَحُسُّونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِهِ، فَيُقَالُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُرْسِلَ بِهَا إِلَيْهِمْ؟ فَيَقُولُ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَمَعَّرَ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِي أَوْ إِذَا لَقِيَنِي "[1].

---

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 210).

الأدب في الحديث

إن الحديث من وسائل التواصل بين الناس، وطرقِ بلوغهم مصالحهم، واندفاع الأضرار عنهم في حياتهم المشتركة، وبه يستجلبون المؤانسة، ويجدون الراحة.

ولولا هذه النعمة لتكدّر وجه الحياة، ولاشتد ضيق العيش فيها، وتقاطع الناس وصاروا وحوشًا بل أسوأ حالاً منها.

وقد جعل الله تعالى وسيلة هذه النعمة: اللسان، وما ينوب عنه من أقلام، وإشارات مفهمة.

فـ" **اللسان من نعم الله العظيمة**، ولطائف صنعه الغريبة؛ فإنه صغير جِرْمه عظيم طاعته وجُرمه؛ إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله، ويتعرض له بإثبات أو نفي؛ فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناول له، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء؛ فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء.

واللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخى العِنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار، و(**لا يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حصائدُ ألسنتهم**) ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله. وعِلمُ ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقل عسير، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان؛ فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان"[1].

لهذا كان من العقل والدين أن يلزم الإنسان حصن الأدب في حديثه، فلا يتحدث إلا بقدر حاجته المشروعة، ويقضي سائر زمنه في الصمت الذي هو معبر النجاة من حوافّ الهلكة، لاسيما أن الكلمة إذا بدرت لا يمكن استرجاعها، **كما قيل:**

القَولُ لَا تملكُهُ إِذا نَما ... كالسهمِ لَا يرجعُه رامٍ رمَى[2]

قَالَ الْمُهَلَّبُ لِبَنِيهِ: "اتَّقُوا زَلَّةَ اللِّسَانِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزِلُّ قَدَمُهُ فَيَنْتَعِشُ، وَيَزِلُّ لِسَانُهُ فَيَهْلِكُ"[3].

---

(1) إحياء علوم الدين (3/ 108).

(2) أدب المجالسة وحمد اللسان (ص: 79).

(3) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: 304).

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ صَمَتَ نَجَا)(1).

قال الغزالي: "الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة؛ أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام، وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر؛ إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة، وتزكية النفس، وفضول الكلام امتزاجًا يخفى دركه، فيكون الإنسان به مخاطراً، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: (من صمت نجا)"(2).

وقال الماوردي: "الْكَلَامُ تَرْجُمَانٌ يُعَبِّرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ، وَيُخْبِرُ بِمَكْنُونَاتِ السَّرَائِرِ، لَا يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُ بَوَادِرِهِ، وَلَا يُقْدَرُ عَلَى رَدِّ شَوَارِدِهِ. فَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ زَلَلِهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ أَوْ بِالْإِقْلَالِ مِنْهُ. ..**وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللِّسَانُ مِعْيَارٌ أَطَاشَهُ الْجَهْلُ، وَأَرْجَحَهُ الْعَقْلُ. **وَقَالَ بَعْضُ**

---

(1) رواه أحمد(6481)، الترمذي(2501)، والدارمي(2755)، والبيهقي في الشُّعب(4629)، والطبراني في الأوسط(1933)، والكبير(113)، **قال ابن حجر:** "ورواته ثقات"، فتح الباري لابن حجر (11/ 309). **وقال الشيخ شاكر:** "إسناده صحيح".

(2) إحياء علوم الدين (3/ 111).

الْحُكَمَاءِ: الْزَمْ الصَّمْتَ تُعَدُّ حَكِيمًا، جَاهِلًا كُنْتَ أَوْ عَالِمًا. **وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ:** سَعِدَ مَنْ لِسَانُهُ صَمُوتٌ، وَكَلَامُهُ قُوتٌ. **وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:** مِنْ أَعْوَذِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْعَاقِلُ: أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا لِحَاجَتِهِ أَوْ مَحَجَّتِهِ، وَلَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي عَاقِبَتِهِ أَوْ فِي آخِرَتِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْزَمْ الصَّمْتَ؛ فَإِنَّهُ يُكْسِبُك صَفْوَ الْمَحَبَّةِ، وَيُؤْمِنُك سُوءَ الْمَغَبَّةِ، وَيُلْبِسُك ثَوْبَ الْوَقَارِ، وَيَكْفِيك مَئُونَةَ الِاعْتِذَارِ. **وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ:** اعْقِلْ لِسَانَك إلَّا عَنْ حَقٍّ تُوَضِّحُهُ، أَوْ بَاطِلٍ تَدْحَضُهُ، أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا، أَوْ نِعْمَةٍ تَذْكُرُهَا"[1].

وقال النووي: "اعلم أنه ينبغي لكلّ مكلفٍ أن يحفظَ لسانهُ عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهرُ المصلحةُ فيهِ، ومتى استوى الكلامُ وتركهُ في المصلحةِ فالسنّة الإمساكُ عنهُ؛ لأنهُ قد ينجرُ الكلامُ المباحُ إلى حرامٍ أو مكروهٍ، بل هذا كثيرٌ أو غالبٌ في العادةِ، والسلامةُ لا يعدلُها شيء"[2].

وسنتحدث في هذا الموضوع عن الآتي:

أولاً: تعريف الأدب في الحديث:

الأدب في الحديث: هو أن يتكلم الإنسان بما يعرف منه مصلحته المشروعة، ويسلم من عاقبته، متوخيًا في حديثه اختيار حسن الكلام وجميله، وطيبه في مبناه ومعناه ومقصده، مراعيًا فيه الظروف الملائمة، والجهة المقصودة به.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 275).

(2) الأذكار للنووي (ص: 529).

ثانيًا: أسباب العناية بأدب الحديث:

يدعو إلى العناية بهذا النوع من الأدب أسباب، منها:

1- إدراك عظم خطر اللسان على صاحبه في الدنيا والآخرة.

فأكثر ما يقع زلل الإنسان من قبل لسانه؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)**[(1)].

ولما كان الأمر كذلك كان اللسان إذا لم يستقم شاهداً على صاحبه يوم القيامة، سائقًا له إلى النار، **قال تعالى**: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النور:24]، **وعَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: **(التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ)**، وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: (الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ)[(2)].

فلهذا كلِّه خاف رسول الله ﷺ على الأمة ذرابة الألسنة واعوجاجها، وحث على كفها وإمساكها، **فعن** سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: **(قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(1) رواه الطبراني في الكبير(10446)، والبيهقي في شعب الإيمان(4584)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 300).

(2) رواه أحمد(7907)، والترمذي(2004)، وابن ماجه(4246)، وابن حبان(476)، وحسنه الترمذي والألباني.

اللهِ، مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قال: (هَذَا)[1].

قال الشاعر:

لِسَانُ الْفَتَى سبعٌ عَلَيْهِ مراقبٌ ... فَإِن لم يدعْ مرغوبَه فَهُوَ آكلُهُ[2]

2-عظم أثر الكلمة على النفوس.

فإن نفوسًا قد تقربها إلينا كلمة، أو تباعدها عنا كلمة، وتَهديها كلمة أو تضلها كلمة، وتداويها كلمة، أو تمرضها كلمة.

قال ابن عباس: "ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكلام علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ كتب إلي: أما بعد، فإن المرء يسره درك ما يفوته، ويسوؤه فوت ما لم يدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما أتاك من الدنيا فلا تكن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تكن عليه جزعًا، وليكن همك لما بعد الموت"[3].

وقال الشاعر:

جراحاتُ السّنانِ لها التئامٌ ... ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ[4]

---

(1) رواه أحمد(15419)، والترمذي(2410)، وابن ماجه(3972)، وابن حبان(5698)، والحاكم(7874)، وقال: "حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(2) أدب المجالسة وحمد اللسان (ص: 78).

(3) البصائر والذخائر (9/ 156).

(4) اللطائف والظرائف (ص: 104).

وقال آخر:

وجـــرحُ الـــسيفِ تدملُـــه فيـــرا ويبقـى الـدهرَ مـا جـرحَ اللـسانُ[1]

3- كثرة الأضرار في واقع الناس بسبب سوء استعمال اللسان في الحديث.

فربما يكون سبب المشكلات الكبار، وحصول كثير من الأضرار: كلمة خرجت من لسان لم يكتس بأدب الحديث. قال الشاعر:

أرى تحـــتَ الرَّمـــادِ ومـــيضَ نـــارٍ فيوشـــكُ أنْ يكـــون لهـــا ضِـــرامُ

فـــإنّ النَّـــارَ بـــالعُودَيْن تُـــذْكى وإنَّ الحـــربَ أوَّلهـــا الكـــلامُ[2]

4- تقصير كثير من المسلمين في أدب الحديث، وترك اللسان على غاربه يرعى في أعراض الناس حيث شاء، بل ذلك واقع من بعض من يحسبون بين الناس صالحين.

قال ابن القيم: "وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ"[3].

5- الحث على حسن استعمال اللسان في الحديث النافع.

فمعرفة معالم الأدب في هذا الجانب يعين على القول فيما ينفع، وكفه عما يضر؛ فكم من إنسان لا يهلكه في لسانه إلا جهله بمواقعه الحسنه، والانحراف عن

---

(1) البيان والتبيين (1/ 151).

(2) البيان والتبيين (1/ 146).

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 159).

إدراك وجوه الأدب فيه.

ثالثًا: صور أدب الحديث:

يمكن تقسيم صور أدب الحديث إلى قسمين:

القسم الأول: الصور المطلوب تحلي الحديث بها:

فمن تلك الصور:

1- حسن اختيار الكلام.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء:53]. وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:83].

و" عَنِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: سَمِعَنِي الشَّافِعِيُّ يَوْمًا وَأَنَا أَقُولُ: فُلَانٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، اكْسُ أَلْفَاظَكَ أَحْسَنَهَا، لَا تَقُلْ: فُلَانٌ كَذَّابٌ، وَلَكِنْ قُلْ: حَدِيثُهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ"(1).

2- الصدق في الحديث والبعد عن الكذب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:119].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ

(1) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (2/ 128).

عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)(1).

وعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «زَيْنُ الْحَدِيثِ: الصِّدْقُ، وَأَعْظَمُ الْخَطَايَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: اللِّسَانُ الْكَذُوبُ"(2).

3- إنزال الناس منازلهم في القول معهم.

فيكون للعالم وكبير السن وذي الشأن احترامه وتقديره، وحسن لزوم الأدب معهم في حال وجودهم في الخطاب وفي الجواب.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)**(3).

4- وضع الكلام في موضعه المناسب زمانًا ومكانًا ومخاطبين.

فليس كل حديث يصلح لكل أحد، وليس كل مكان أو زمان يصلح لكل قول، بل لكلٍّ ما يناسبه من الحديث.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ

---

(1) رواه البخاري(6094)، ومسلم(2607).

(2) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: 52).

(3) رواه أحمد(22755)، والبزار(2718)، والطبراني في الكبير(7703)، ومكارم الأخلاق (147)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(1328)، والشاشي في مسنده(1273)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/127)

وَرَسُولُهُ"[1].

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: "مَا أَنْتَ مُحَدِّثٌ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً"[2].

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: "سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ، لَا تُحَدِّثُونَ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَ "[3].

5–رعاية مشاعر السامعين.

فما كان من الحديث فيه إيذاء لأحد أو جرح لخواطره، أو فيه مخالفة لحاله من فرح أو حزن مع العلم بذلك فينبغي أن يُترك.

وفي المثل: "وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ"[4].

6–الثناء على من يستحقه، والبعد عن الحسد المانع من ذلك.

فلا يعرف الفضل ويثني به إلا ذوو الفضل.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ**

---

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 540).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 539).

(3) جامع بيان العلم وفضله (2/ 1003).

(4) مجمع الأمثال (2/ 367).

أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)[1].

7-حسن الإنصات، وترك مقاطعة المتكلمين.

"**عن** عطاء بن أبي رباح قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط، وقد سمعته قبل أن يولد"[2].

وقال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "إذَا جَالَسْت الْجُهَّالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ، وَإِذَا جَالَسْت الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ؛ فَإِنَّ فِي إنْصَاتِك لِلْجُهَّالِ زِيَادَةً فِي الْحِلْمِ، وَفِي إنْصَاتِك لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي الْعِلْمِ"[3].

(1) رواه أحمد(12904)، والترمذي(3791) **وقال:** "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في الكبرى(8185)، وابن ماجه(154)، وابن حبان(7131)، والبيهقي في الكبرى(12186)، والحاكم(5784)، **وقال:** "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ وَإِنَّمَا اتَّفَقَا بِإِسْنَادِهِ هَذَا عَلَى ذِكْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَطْ، وَقَدْ ذَكَرْتُ عِلَّتَهُ فِي كِتَابِ التَّلْخِيصِ"، **قال الذهبي عقبه:** "على شرط البخاري ومسلم".
قال ابن حجر: "صححه الترمذي والحاكم وابن حبان وفي رواية للحاكم: (أفرض أمتي زيد)، وصححها أيضًا، وقد أعل بالإرسال، وسماع أبي قلابة من أنس صحيح إلا أنه قيل: لم يسمع منه هذا، وقد ذكر الدارقطني الاختلاف فيه على أبي قلابة في العلل، ورجح هو وغيره كالبيهقي والخطيب في المدرج أن الموصول منه ذكرُ أبي عبيدة والباقي مرسل، ورجح ابن المواق وغيره رواية الموصول، وله طريق أخرى عن أنس أخرجها الترمذي من رواية داود العطار عن قتادة عنه وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مرسلاً قال الدارقطني: هذا أصح". التلخيص الحبير (3/ 180). وصححه الألباني في عدد من كتبه منها: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (3/ 223). وصحح إسناده كذلك شعيب الأرناؤوط في تحقيقه: لمسند أحمد، وسنن ابن ماجه، وصحيح ابن حبان.

(2) تاريخ دمشق لابن عساكر (40/ 401).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 277).

وقد عد العلماء حسن الإنصات من مراتب العلم؛ قَالَ سُفْيَانُ: "كَانَ يُقَالُ: أَوَّلُ الْعِلْمِ الِاسْتِمَاعُ، ثُمَّ الْإِنْصَاتُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ الْعَمَلُ ثُمَّ النَّشْرُ "[1].

---

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 477).

القسم الثاني: الصور المطلوب تخلي الحديث عنها:

هناك صور كثيرة ينبغي تجنبها في حديث المرء مع غيره، منها:

1 - النطق بالكفر القولي بالله تعالى، والتلفظ بما فيه تنقص من كماله وجلاله سبحانه وتعالى، والطعن في كتبه أو رسله.

قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[النساء:171].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[الأحزاب:57].

2 - القول على الله بلا علم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:33].

وقال: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾[النحل:116].

3 -احتقار الآخرين والاستهزاء بهم ونبزهم بألقاب يكرهونها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)(1).

4- قذف المحصنين والمحصنات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:23].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللهِ...وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)(2).

5- الغيبة والنميمة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا: الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ)(3).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ)(4).

---

(1) رواه مسلم(2564).

(2) رواه البخاري(2766)، ومسلم(89).

(3) رواه أحمد(1651)، وأبو داود(4876)، والبيهقي في الشعب(6284)، **قال الهيثمي:** "رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير نوفل بن مساحق وهو ثقة" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 150).

(4) رواه أحمد(13340)، وأبو داود(4878)، والبيهقي في الشعب(6290)، وصححه الألباني =

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: **(أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِه)**[1].

6- إفشاء الأسرار.

عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: "إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ: أَنْ تُحَدِّثَ بِسِرِّ أَخِيكَ "[2].

وقد تذاكر الناس في مجلس عبد الله بن طاهر حفظ السر، فقال عبد الله:

ومستودعي سرًّا تضمّنتُ ستره　　فأودعتُه في مستقرِ الحشا قبرا

فقال ابنه عبيد الله، وهو صبيّ:

وما السّرُّ من قلبي كثاوٍ بحفرةٍ　　لأنّي أرى المدفونَ ينتظرُ الحشرا

ولكنني أُخفيه حتى كأنّني　　من الدّهر يومًا ما أحطتُ به خُبرا[3]

7- المبالغة في المدح والإطراء.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مِرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ،**

والأرناؤوط.

(1) رواه البخاري(218)، ومسلم(292).

(2) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: 214).

(3) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (1/ 142).

وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا)[1].

قال النووي: "قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث: أَنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يَفْتَتِنُ، وَلاَ يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلاَ تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلاَ مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإِبَاحَةِ: قَولُهُ ﷺ لأبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)** أيْ: مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا. وَفِي الحَدِيثِ الآخر: (لَسْتَ مِنْهُمْ): أيْ: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلاءَ. وَقالَ ﷺ لعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)**[2].

8- تزكية النفس والحديث عنها بالكبر والإعجاب والمباهاة والمفاخرة.

قال تعالى: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[النجم:32].

"أي: فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب"[3].

9- اللعن.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ**

(1) رواه البخاري(6061)، ومسلم(3000).

(2) رياض الصالحين (ص: 496).

(3) أيسر التفاسير للجزائري (5/ 196).

بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ)[1].

10 - الفحش والبذاء والسب.

قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ)[2].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)[3].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)[4].

ومن الفحش: الكلام عما يجري بين المرء وزوجه، والكلام عن معاشرة النساء بين العزاب والبعيدين عن أهاليهم.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)[5].

---

(1) رواه أحمد(3839)، والترمذي(1977)، والبيهقي في الشعب(4786)، وابن حبان(192)، والحاكم(30)، قال الهيثمي: "رواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن مغراء، وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 97). وقال ابن حجر: "وَحَسَّنَهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ". بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص: 548)

(2) رواه مسلم(11).

(3) رواه البخاري(3559)، ومسلم(2321).

(4) رواه البخاري(48)، ومسلم(64).

(5) رواه مسلم(1437).

قال النووي: "وفي هذا الحديث: تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه"[(1)].

11-الشماتة بالمسلم والفرح بما أصابه من بلاء؛ فإن لها أثراً على نفوس المشموت به.

ولهذا كان رسول الله ﷺ (يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ)[(2)].

12-الغش في المشورة.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)**[(3)].

13-كثرة الجدل الذي لا فائدة ترجى من ورائه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا..)**[(4)].

---

(1) شرح النووي على مسلم (10/ 8).

(2) رواه البخاري(6347)، ومسلم(2707).

(3) رواه أبو داود(5128)، والترمذي(2822)، وابن ماجه(3745)، والبيهقي في السنن الكبرى (20322)، والطبراني في المعجم الكبير (890)، **وقال البوصيري**: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/ 120).

(4) رواه أبو داود(4800)، والنسائي(3133)، وابن ماجه(51)، والطبراني في الكبير(217)، وحسنه الألباني.

14- الحكم على الناس بالجنة والنار والغفران أو عدم الغفران.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)**(1).

قال الإمام أحمد: "وَلَا نشْهد على أهل الْقبْلَة بِعَمَل يعمله بجنة وَلَا نَار، نرجو للصالح ونخاف عَلَيْهِ، ونخاف على الْمُسِيء المذنب وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَة الله"(2).

وقال الطحاوي: "ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى"(3).

15- الحكم على نيات الناس ومقاصدهم.

فليس من الأدب أن يقول المرء: إن فلانًا فعل كذا وقصده السيء كذا، دون أن يكون هناك برهان جازم يقضي بذلك. فالعاقل يحكم على الظاهر والله يتولى السرائر.

16- الإغراب في الحديث بأن يتحدث المتحدث مع قوم بكلام غريب عنهم في لفظه ومعناه، يريد بذلك إظهار فصاحته وبراعته في الكلام.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ،**

(1) رواه مسلم(2621).

(2) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص:50).

(3) متن الطحاوية (ص:67).

وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ)، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (الْمُتَكَبِّرُونَ)[1].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: "مَا حَدَّثْتُ أَحَدًا بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ قَطُّ لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُهُ إِلَّا كَانَ ضَلَالًا عَلَيْهِ"[2].

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: "لَا تُحَدِّثْ بِحَدِيثٍ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ يَضُرَّهُ وَلَا يَنْفَعْهُ"[3].

17- الكلام بين الفقراء عن سعة المال والغنى وأحوال أهله.

فهذا يكسر قلوب الفقراء، وينمي في قلوب بعضهم الحسد والغل، ولا يأمن الإنسان الغني بعد ذلك ضرر عائن أو حاسد أو مبغض.

18- الكلام فيما لا يعني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)[4].

---

(1) رواه أحمد(17732)، والترمذي(2018)، وابن حبان(5557)، والبيهقي في الشعب (7622)، والطبراني في الكبير(10424)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق(59)، قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 21).

(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 539).

(3) جامع بيان العلم وفضله (1/ 540).

(4) رواه أحمد(1737)، والترمذي(2317)، وابن ماجه(3976)، والبيهقي في الشعب(4633)، =

قال ابن رجب: "ومعنى هذا الحديث: أنَّ مَنْ حسن إسلامه: تَركَ ما لا يعنيه من قولٍ وفعلٍ، واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى (يعنيه): أنْ تتعلق عنايتُه به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعنايةُ: شدَّةُ الاهتمام بالشيء، يقال: عناه يعنيه: إذا اهتمَّ به وطلبه، وليس المُراد أنَّه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام؛ ولهذا جعله من حسن الإسلام، فإذا حَسُنَ إسلامُ المرء، ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال؛ فإنَّ الإسلامَ يقتضي فعل الواجبات"[1].

"قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن عد كلامه من عمله قل كلامه، إلا فيما يعنيه"[2].

19 – الإسراف في المزاح. وكذا المزاح من غير ضوابط.

فالمزاح مشروع إذا كان بقدر الحاجة، وأما إذا كثر فإنه سيوصل إلى ما لا يحمد، وله كذلك ضوابط تبعده عن تجاوز المشروع، فإذا خلا منها فقد يؤدي إلى ركوب المعاصي واستعداء النفوس.

قال الشاعر:

امزحْ بمقدارِ الطلاقةِ واجتنبْ ... مزْحاً تُضافُ به إلى سوءِ الأدبْ

والطبراني في الأوسط(2881)، قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني في الثلاثة بالرواية الأولى، ورجال أحمد والكبير ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 18).

(1) جامع العلوم والحكم (1/ 309).

(2) إحياء علوم الدين (3/ 111).

لا تُغضِبنَّ أخًا إذا مازحتَهُ ... إن المزاح على مقدِّمة الغضبْ

وقال الآخر:

مازِحْ صديقَك ما أحبَّ مزاحا ... وتوقَّ منه في المزاحِ جِماحا

فلربما مزحَ الصديقُ بمَزْحةٍ ... كانت لبدءِ عداوةٍ مفتاحا[1]

20–ولخص الماوردي بعض صور أدب الحديث فقال: "وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلَامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ الزَّلَلِ إلَّا بِهَا، وَلَا يَعْرَى مِنْ النَّقْصِ إلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إلَيْهِ: إمَّا فِي اجْتِلَابِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إصَابَةَ فُرْصَتِهِ.

وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ.

وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ مَتَى أَخَلَّ الْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ بَاقِيهَا.

فَأَمَّا الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الدَّاعِي إلَى الْكَلَامِ؛ فَلِأَنَّ مَا لَا دَاعِيَ لَهُ هَذَيَانٌ، وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هُجْرٌ. وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي الْكَلَامِ، إذَا عَنَّ وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ، وَإِصَابَةَ مَعَانِيهِ، كَانَ قَوْلُهُ مَرْذُولًا، وَرَأْيُهُ مَعْلُولًا.

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب(4/ 71).

وَأَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي: فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعَ الِانْتِفَاعِ بِهِ، وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنْ الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذَيَانٌ وَهُجْرٌ، فَإِنْ قَدَّمَ مَا يَقْتَضِي التَّأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخَرَقًا، وَإِنْ أَخَّرَ مَا يَقْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلا، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلا.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهَا نَزْرُ

وَأَمَّا الشَّرْطُ الثَّالِثُ: وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إنْ لَمْ يَنْحَصِرْ بِالْحَاجَةِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكِفَايَةِ، لَمْ يَكُنْ لِحَدِّهِ غَايَةٌ، وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةٌ.

وَأَمَّا الشَّرْطُ الرَّابِعُ: وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ؛ فَلِأَنَّ اللِّسَانَ عُنْوَانُ الْإِنْسَانِ يُتَرْجِمُ عَنْ مَجْهُولِهِ، وَيُبَرْهِنُ عَنْ مَحْصُولِهِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ أَلْفَاظِهِ حَرِيًّا وَبِتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا"(1).

رابعًا: طرق الوصول إلى أدب الحديث:

هناك طرق تعين على الحفاظ على أدب الكلام، منها:

1- خطم اللسان قبل الكلام.

فمن تفكر في نتائج كلامه قبل التفوه به أمسك لسانه، فكثر حينئذ صوابه، وقل خطؤه، وسلم من مغبات سقطات اللسان.

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 275-280) بتصرف.

"**قال بعض الصحابة لخادمه يومًا:** هاتِ السفرة نعبَثْ بها. ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلّم بكلمة إلا وأنا أخطِمُها وَأَزُمُّهَا، إلا هذه الكلمة خرجت منّي بغير خطام ولا زمام"[1].

2 – مجالسة أهل الصيانة لألسنتهم وقراءة أخبارهم وأقوالهم.

فإن الجليس يتأثر بجليسه، فإن لم يسمع منهم الحث على أدب الحديث اقتدى بهم مما يسمع منهم من طيب الكلام وحسنه.

3 –النظر في العواقب المترتبة على النطق.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: "حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، أنه مَرَّ بِهِ رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ: إِنَّ لَكَ رَحِمًا، وَإِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، وَتَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ بِمَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ)** قَالَ عَلْقَمَةُ: فَانْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ، فَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ"[2].

---

(1) الداء والدواء = الجواب الكافي (1/ 373).

(2) رواه أحمد(15852)، والترمذي(2319)، ابن ماجه(3969)، وابن حبان(280)، ومالك(816)، والطبراني(1131)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

4- مجاهدة النفس على حفظ اللسان وتذكر الموت وتسجيل الأعمال.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:18].

وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:10-12].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قال: قال رسول الله ﷺ: (...أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)(1).

قال الغزالي: "...وأما سببه الباعث عليه: فالحرص عَلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد، أَوْ تَزْجِيَةِ الْأَوْقَاتِ بِحِكَايَاتِ أَحْوَالٍ لَا فَائِدَةَ فِيهَا، وَعِلَاجُ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأن أَنْفَاسَهُ رَأْسُ مَالِهِ، وَأَنَّ لِسَانَهُ شَبَكَةٌ يَقْدِرُ أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين"(2).

(1) رواه أحمد(22016)، والترمذي(2616)، وابن ماجه(3972)، والبزار(2302)، والبيهقي في الشعب(2549)، وصححه الترمذي والألباني.

(2) إحياء علوم الدين (3/ 114).

5-التحلي بحسن الخُلق ومعرفة العلم الشرعي النافع.

قال الماوردي -وهو يتحدث عن طيب الكلام-: "وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَرِقَّةُ الطَّبْعِ"[1].

خامسًا: ثمرات العمل بأدب الحديث:

1-السلامة من الآثام وعواقب السوء.

"**قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ**: مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ"[2].

وقال الغزالي: "وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل فضيلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه"[3].

2-السلامة بين الناس من سوء عواقب الكلام البعيد عن الأدب.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: (**يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**)[4].

2-عظم المنزلة عند الله ورفعة الشأن بين الناس ونيل محبتهم وتبجيلهم.

"**قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ**: مَنْ أَطَالَ صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنْ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ، وَمِنْ الْوَحْشَةِ

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 201).

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 277).

(3) إحياء علوم الدين (3/ 111).

(4) رواه أحمد(17334)، والترمذي(2406)، والبيهقي في الشعب(4582)، والطبراني في الكبير(741)، وحسنه الترمذي والألباني.

مَا لَا يَضُرُّهُ"[1].

3- السلامة من ذل الاعتذار ووجع النفس وعتابها وجلد الذات على كلمة بدرت من غير روية.

4- صلاح الجوارح.

قال رسولُ الله ﷺ: (ليسَ شيْءٌ مِنَ الجَسدِ إلا يشكو ذَرَبَ اللِّسانِ -أي: شره وفحشه-)[2].

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اللِّسَانُ قِوَامُ الْبَدَنِ، فَإِذَا اسْتَقَامَ اللِّسَانُ اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ، وَإِذَا اضْطَرَبَ اللِّسَانُ لَمْ يَقُمْ لَهُ جَارِحَةٌ"[3].

و"قال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله"[4].

5- كثرة الصواب.

قال الماوردي: "قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَالِحٍ لِابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ، إذَا أَقْلَلْتَ مِنْ الْكَلَامِ أَكْثَرْتَ مِنْ الصَّوَابِ. فَقَالَ: يَا أَبَتِ، فَإِنْ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْت -يَعْنِي كَلَامًا وَصَوَابًا-؟.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 279).

(2) رواه البيهقي في الشعب(4596)،وأبو يعلى(1981)، وابن السني في عمل اليوم والليلة(7)، قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن محمد بن حيان، وقد وثقه ابن حبان". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 302).

(3) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: 69).

(4) إحياء علوم الدين (3/ 111).

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مَا رَأَيْتُ مَوْعُوظًا أَحَقَّ بِأَنْ يَكُونَ وَاعِظًا مِنْك. **وَأَنْشَدْت لِأَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ:**

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْت فَإِنَّمَا ... كَلَامُك حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ ... فَصَمْتُك عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ"[1]

سادسًا: أضرار سوء الأدب في الحديث:

1- كثرة الذنوب.

إذا كانت أعضاء الإنسان تصدر عنها ذنوب قليلة أو محصورة، فإن ذنوب اللسان كثيرة وغير محصورة، وقد تقدم حديث: **(أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)**[2].

2- سوء العاقبة يوم القيامة.

قال رسول ﷺ: (إنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأْتي يومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ، ويأْتي قد شَتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفَكَ دَم هذا، وضرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا منْ حَسَناته، وهذا مِنْ حَسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حسَناتُه قَبْلَ أنْ يَقْضِيَ ما عليه؛ أُخِذ مِنْ خَطاياهُم فطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النارِ)[3].

وقال ﷺ: (إنَّ العبدَ لَيتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ ما يتبَيَّنُ فيها يَزِلُّ بها في النارِ أبْعَدَ ما بينَ

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 279).

(2) رواه الطبراني في الكبير(10446)، والبيهقي في شعب الإيمان(4584)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 300).

(3) رواه مسلم(2581).

المشْرِقِ والمغْرِبِ)[1].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (مَنْ قالَ في مؤمِنٍ ما ليسَ فيه؛ أسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الخَبالِ، حتّى يَخْرُجِ مِمَّا قالَ)[2]. وردغة الخبال: صديد أهل النار.

وقد يكون شر الكلام -الذي يورد صاحبه النار- في مزاح وإضحاك بالباطل؛ قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (ألا هل عسى رجلٌ منكم أنْ يتكلَّم بالكَلِمَةِ يُضْحكُ بها القوْمَ؛ فيَسْقُطُ بها أبْعدَ منَ السماءِ، ألا عَسى رجلٌ يتكلَّمُ بالكَلِمَةِ يُضحِكُ بها أصْحابَه؛ فيُسْخَطُ اللهَ بها عليهِ؛ لا يَرْضَى عنه حَتَّى يُدْخِلَهُ النارَ)[3].

3 -إطلاع الناس على عيوب المرء، وسوء علاقتهم به وتقطع حبال المودة والصلة بهم.

فإن المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم عرفه الناس، فإن أساء في حديثه اطلعوا على هفواته وعوراته.

قال الشاعر:

وَأعلَمُ علماً لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنه ... إذا ذلَّ مولى الْمَرْءِ فَهوَ ذليلُ

(1) رواه البخاري(6477)، ومسلم(2988).

(2) رواه أحمد(5385)، وأبو داود(3597)، وابن ماجه(3377)، والحاكم(2222)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(3) قال المنذري: "رواه أبو الشيخ أيضاً بإسناد حسن. ورواه عن علي بن زيد عن الحسن مرسلاً". الترغيب والترهيب للمنذري (3/ 537). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 95).

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تكن لَهُ ... حَصَاةٌ على عوراتِه لَدَلِيلُ[1]

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا ... يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ[2]

وقيل: "يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ، وَعَلَى أَصْلِهِ بِفِعْلِهِ"[3].

فإذا حصل ذلك تقطعت حبال المودة بين من هذا شأنه وبين الناس، وحصلت بينه وبينهم الوحشة والمنافرة.

"قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ، وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ، فَاقْصُرْهُ عَلَى الْجَمِيلِ وَاقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَإِيَّاكَ مَا يُسْخِطُ سُلْطَانَك، وَيُوحِشُ إخْوَانَك، فَمَنْ أَسْخَطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلْمَنِيَّةِ، وَمَنْ أَوْحَشَ إخْوَانَهُ تَبَرَّأَ مِنْ الْحُرِّيَّةِ"[4].

4-قلق النفس وعكرها واضطرابها.

فإن سيء القول لا يعيش في راحة، ولا يشعر بسعادة؛ لأنه قد يفكر في تبعات كلامه، ونتائج سقطات لسانه، وكيف يعتذر ممن أساء إليه إن حضره العقل وغاب عنه شيطانه.

وقد قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ)[5].

(1) أدب المجالسة وحمد اللسان (ص: 80).

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 278).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 280).

(4) أدب الدنيا والدين (ص: 278).

(5) رواه أحمد(23498)، وابن ماجه(4171)، والطبراني(3987)، والحاكم(7928)، وقال: =

5-اعوجاج الجوارح وتعرضها للضرر.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا أصبحَ ابن آدمَ فإنَّ الأعْضاءَ كلَّها تُكفِّر اللِّسَانَ**-أي: تخضع له وتذل- فتقولُ: **اتَّقِ الله فينا؛ فإنَّما نحنُ بِكَ، فإنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا**)[1].

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: "فِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ اللِّسَانَ هُوَ بَابُ الْجَسَدِ، فَاحْذَرْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ لِسَانِكَ مَا يُهْلِكُ جَسَدَكَ وَيُسْخِطُ عَلَيْكَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ"[2].

"**وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ**: يَا رُبَّ أَلْسِنَةٍ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا"[3].

5-تحمل التبعات المؤلمة.

فمن قذف مسلمًا محصناً بالفاحشة فسيتحمل ألم الحد، ومن استعجل بالطلاق في غير وقته تحمل آلام مؤنة نكاح جديد، ومهر مؤخر، ونفقة أولاد، وأعباء الشتات، ومن خرجت منه كلمة الظهار تحمل آلام الكفارة، ومن طعن في شخص فقد يصل أذاه إليه جراء طعنه فيه؛ فهذا أعشى همدان كان ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وهجاه بقصائد، ومدح ابن الأشعث بأخرى، حتى

"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي.

(1) رواه أحمد(11908)، والترمذي(2407)، والبيهقي في الشعب(4595)، وأبو يعلى(1185)، وحسنه الألباني.

(2) العقل وفضله لابن أبي الدنيا (ص: 66).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 278).

ظفر به الحجاج فصار أسيراً بين يديه، **وهو القائل في مدح ابن الأشعث:**

وَإِذا سَــأَلتَ الْمجــدَ أَيْــن مَحَلُّــهُ فالمجــدُ بَــين مُحَمَّــدٍ وَسَــعِيدِ

بَــين الْأَشَــجِ وَبَــين قــيسٍ بــاذخ بَــخْ بَــخْ لوالــدِهِ وللمولــودِ.

فلما أُتي به الحجاج بعد هزيمة ابن الأشعث قال له: أنت المبخبخ بهجائك؟ وجعل يعدد بعض أبياته التي أثنى بها على ابن الأشعث،، ثم قال: يا غلام، اضرب عنقه، والله لا تبخبخ بعده لأحد[1].

سابعًا: نماذج مشرقة:

1- **قال عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "لو سخرتُ من كلب لخشيت أن أكون كلبا"[2].

2- **"وَقِيلَ لِإِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ:** مَا فِيك عَيْبٌ إلَّا كَثْرَةُ الْكَلَامِ. فَقَالَ: أَفَتَسْمَعُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً؟ قَالُوا: لَا، بَلْ صَوَابًا. قَالَ: فَالزِّيَادَةُ مِنْ الْخَيْرِ خَيْرٌ"[3].

3- **وقال أبو بكر بن عيّاش:** "اجتمع أربعة ملوك، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل، وقال آخر: إنّي إذا تكلّمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلّم بها ملكتها ولم تملكني، وقال ثالث: عجبت للمتكلّم إن رجعت عليه كلمته ضرّته، وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرّابع: أنا على ردّ ما لم

(1) المجموع اللفيف (ص: 236).
(2) تاريخ دمشق لابن عساكر (33/ 170).
(3) أدب الدنيا والدين (ص: 279).

أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت"[1].

4- **قال الغزالي**: "وسئل الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مسألة فسكت. فقيل له: ألا تجيب رحمك الله. فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي. فانظر في مراقبته للسانه، مع أنه أشد الأعضاء تسلطًا على الفقهاء، وأعصاها على الضبط والقهر، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت لا لنيل الفضل وطلب الثواب"[2].

5- **وعن** إبراهيم التيمي قال: "حدثني من صحب ربيع بن خثيم عشرين عامًا فلم يسمع منه كلمة تعاب عليه"[3].

---

(1) إحياء علوم الدين (3/ 111).

(2) إحياء علوم الدين (1/ 25).

(3) الزهد لابن المبارك (ص: 6).

الأدب في الحِوار

الاختلاف سنة من سنن هذه الحياة؛ فقد خلق الله تعالى الناس مختلفين في ألوانهم وأديانهم ومشاعرهم وطبائعهم وأخلافهم وألسنتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[الروم:22]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[النحل:9].

وهذا الاختلاف في الخلق يكون وراءه اختلاف في التفكير والقناعات والآراء وطرق القبول والرفض في المسائل الدينية والدنيوية، سواء كان ذلك بين المسلمين وغيرهم، أم بين المسلمين فيما بينهم، إلا أن هناك بعض الثوابت التي لا يختلف فيها المسلمون.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:118-119].

فقوله: "﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أَيْ: وَلَا يَزَالُ الخُلْفُ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَآرَائِهِمْ"[1].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: "فآمنوا به واتبعوا رسله؛ فإنهم لا يختلفون

(1) تفسير ابن كثير (4/ 361).

في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خَلَقهم مختلفين: فريق شقيٌّ وفريق سعيد، وكل ميسر لما خُلِق له. وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان"(1).

ولم يكن الاختلاف في الآراء والأفهام ظاهرة حياتية في عصرنا فقط، بل هو كذلك في كل عصر، حتى في عصر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعصر الصحابة، وعصر التابعين.

فعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: (**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**) فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ(2).

وعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَقُولُ: "مَا يَسُرُّنِي لَوْ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَخْتَلِفُوا؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْتَلِفُوا لَمْ تَكُنْ رُخْصَةٌ"(3).

ولا يعني التسليم بوجود قانون الاختلاف بين الناس أن كل اختلاف في شؤون الدين والشريعة محمود، ليس الأمر كذلك، **بل الاختلاف نوعان:**

---

(1) التفسير الميسر (4/ 97).

(2) رواه البخاري(946).

(3) الإبانة الكبرى لابن بطة (2/ 565).

الأول: مذموم، وهو:

أ-ما كان خروجًا عن ثوابت الأمة ومسلّمات دينها مما لا يسع فيه الخلاف؛ لوجود النصوص الصحيحة الرافعة لذلك الخلاف.

ب- ما كان الاختلاف فيه قائمًا على الجهل والهوى والتعصب وحب الصدارة والشهرة وعدم التبين وغير ذلك من أعراض الدنيا ومصالحها الضيقة.

الثاني: محمود، وهو: ما كان في المسائل الفرعية والمستجدة التي يسع فيها الاختلاف، مما لا نصوص فيها، أو فيها نصوص ولكن تباينت الأفهام في مرادها، أو اختلف الناس في صحتها.

وهذا الاختلاف جرى بين الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب وحملة مذاهبهم إلى اليوم، ومع ذلك فالعارفون لأدب الاختلاف حفظوا مقام الود والتبجيل لمن اختلفوا معهم.

قال شيخ الإسلام: "وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرِ وَلَا بِفِسْقِ وَلَا مَعْصِيَةٍ"[1]، ثم ذكر أمثلة على ذلك.

وهذا الاختلاف المحمود أحدث نشاطًا علميًا كبيراً في الأمة، فاتسعت دائرة العلوم والمسائل، وجعل أهل العلم يُعملون أفكارهم وأفهماهم حتى فتحوا آفاقًا رحبة وجد فيها الناس سعة في الدين ورخصًا شرعية تحتاجها بعض البيئات في

(1) مجموع الفتاوى (3/ 229).

بعض الأزمنة.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم سنجد أنه ذكر الاختلاف -لاسيما الاختلاف في العقيدة: إسلامًا وكفراً-فذكر معه طريقًا لتقريب وجهات النظر، وجمع الآراء على رأي واحد هو الحق، فكان ذلك الطريق هو: طريق الحوار.

فهناك حوارات كثيرة بين الأنبياء وأقوامهم سجلها القرآن الكريم لتكون نموذجًا مشرقًا لهذه الوسيلة في الإقناع بترك الباطل واعتناق الحق، أو على الأقل أن يزيح المحاور عن الحق كل الأغطية التي تحجب الحق عن الرؤية الواضحة والصحيحة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:64].

وقال: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت:46].

وقال: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه:44].

ولما كانت هذه الطريق -طريق الحوار- ذات أهمية كبيرة في وجود الاختلاف فقد صار هناك عِلم اسمه:" علم الجدل والمناظرة" له قواعده وموضوعاته التي

نشأ من أجلها لتضييق دائرة الاختلاف.

قال ابن خلدون: "وأما الجدال -وهو: معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم- فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعًا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صوابًا، ومنه ما يكون خطأ؛ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصومًا منقطعًا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال؛ ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"[1].

إن الناظر اليوم إلى الاختلاف السائغ بين عموم المسلمين يشاهد بعضًا من أهله يأبى المناقشة والحوار في تلك المسائل، حتى يخال الناظر أن تلك المسائل قد غدت قطعيات لا تقبل النقاش، أو يجد منهم من يقبل الحوار، ولكنه بعيد عن آدابه، غير متحل بأخلاقه؛ فلذلك قلّت النتائج الحسنة للحوارات التي تجري بين مختلفي وجهات النظر في تلك الشؤون، وهي لا تعدو أن تكون مسائل اجتهادية اختلفت فيها الأفهام، وليس هناك نص صريح أو صحيح يحكم على أي منها بحل أو حرام.

لهذا سنتحدث عن الأدب في الحوار في العناوين الآتية:

---

(1) مقدمة ابن خلدون (2/ 117).

أولاً: تعريف الأدب في الحوار:

الحوار لغة:

(حَوِرَ) الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ: ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: أَحَدُهَا: لَوْنٌ، وَالْآخَرُ: الرُّجُوعُ وَالثَّالِثُ: أَنْ يَدُورَ الشَّيْءُ دَوْرًا.

وَأَمَّا الرُّجُوعُ: فَيُقَالُ: حَارَ إِذَا رَجَعَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14] وَالْعَرَبُ تَقُولُ: "الْبَاطِلُ فِي حُورٍ "أَيْ: رَجْعٍ وَنَقْصٍ.

والمُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةَ ومُرَاجَعَةُ النُّطْق والكَلامَ فِي المُخَاطَبَة، وَقد حَاوره: جاوبه وجادله، وَتَحَاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الكَلَامَ بَيْنَهُم، وهم يَتراوَحُونَ ويَتَحَاوَرُونَ.

يقال: كلمت فلانـًا فما ردّ إِلَيّ حِواراً: أي: جوابـًا. وقد يُفتح أوله لغةً فيه. وأصل الحِوار: مصدر من حاوره.

وقوله: ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: مراجعتكما الكلام.

ومنه قوله: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾[الكهف:37] يقال: تحاور الرجلان: إذا رد كل واحد منهما على صاحبه، والحوار والمحاورة: المخاطبة بين اثنين فما فوقهما.

والحُوَارُ- بالضَّمِّ-: وَلَدُ النَّاقَة سَاعَةَ تَضَعُه أُمُّه خَاصَّةً. أَو مِنْ حِين يُوضَع إِلَى أَنْ يُفْطَم ويُفْصَلَ عَنْ أُمِّه، فإِذا فُصِلَ عَن أُمّه فَهُوَ فَصِيل[1].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (2/ 115) (2/ 117)، الغريبين في القرآن والحديث (2/ 508)، المعجم الوسيط (1/ 205)، تاج العروس (11/ 98) (11/ 106)(11/ 108)، شمس العلوم ودواء =

الحوار اصطلاحًا:

الحوار هو: مراجعة الكلام والمجادلة فيه بين طرفين أو أكثر حول مسألة أو مسائل يراد من خلاله الوصول إلى نتيجة ما قد تتفق عليها الأطراف أو لا تتفق.

وأما الأدب في الحوار:

فيمكن أن نقول في تعريفه: هو: التحلي بجملة من الأخلاق الحسنة، والتخلي عن عدد من الصفات السيئة؛ لضمان قيام المجادلة الحسنة بين طرفين أو أكثر وإتمامها على وجه مرضي، سواء حصل الاتفاق على القضية المختلف فيها أم لم يحصل.

ثانيًا: صور من الآداب في الحوار:

يمكننا أن نقسم ذلك إلى قسمين:

القسم الأول: صور من الآداب التي ينبغي التحلي بها في الحوار:

1 –الإخلاص في طلب الحق، والتجرد لاعتناقه، وسلامة القصد من خوض غمار الحوار.

فليس من الأدب أن يكون القصد من الحوار هو حب الغلبة وإظهار الذات.

قال الشافعي: "ما ناظرت أحداً قطّ على الغَلَبة "[1].

كلام العرب من الكلوم (3/ 1623).

(1) مناقب الشافعي للبيهقي (1/ 173).

وقال أيضًا: "ما ناظرت أحداً قط إلاّ على النصيحة"[1].

وقال كذلك: "ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"[2].

وقال: "ما كلَّمت أحداً قطّ إلا ولم أبالِ: بَيَّنَ اللهُ الحقَّ على لساني، أو لسانِه"[3].

2-حسن الاستماع وترك ما يشغل عنه.

"**قَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ:** تَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَعْلَمُ حُسْنَ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ إمْهَالُكَ لِلْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يُفْضِي إلَيْك بِحَدِيثِهِ، وَالْإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ وَالنَّظَرُ"[4].

3-الإنصاف والعدل.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة:8].

4-القول الحسن البعيد عن التجريح والطعن.

قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[البقرة:83].

وقال: ﴿**وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(1) مناقب الشافعي للبيهقي (1/ 174).

(2) مناقب الشافعي للبيهقي (1/ 174).

(3) مناقب الشافعي للبيهقي (1/ 174).

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 171).

فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[الحج:68-69].

وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125].

5-الحرص على كسب القلوب؛ فإن ذلك أهم من كسب المواقف.

ويكون ذلك بحسن الخلق مع المحاور، وترك التعرض لشخصه بالهزؤ، ولرأيه بالاستهجان.

6-معرفة المسألة المراد الحوار فيها من جميع جوانبها.

لأن ذلك يعين على إيصال الحقيقة أو تقبلها.

7-تحديد القضايا المختلف فيها قبل بدء الحوار.

من الحسن جداً: أن يتفق أطراف الحوار على المسائل التي يراد النقاش فيها؛ من أجل ضبط وقت الحوار، والوصول إلى نهايته بلا اختلاف يؤدي إلى توقفه.

8-تحديد أصول متفق عليها لدى الطرفين يمكن الرجوع إليها لترجيح رأي على آخر، وإن لم يحصل ذلك فإن الحوار قد لا يؤتي الثمرة المرجوة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:59].

9-البدء بمناقشة الأصول قبل الفروع.

فالاتفاق على الأصل يغني عن مناقشة الفرع في بعض المسائل.

10-اختيار الظروف المناسبة(زمانية ومكانية) لإقامة الحوار.

فاختيار ذلك يساعد على نجاح الحوار.

11-أن يكون كل من الطرفين مستعداً للحوار نفسيًا وصحيًا.

12-الصبر والحلم وترك الطيش والخفة والتهور.

لاسيما إذا كان الطرف الآخر يثير الغضب، ولا يتأدب بآداب الحوار.

13-الاحترام والتقدير.

بحيث يشعر المحاور الآخر أن صاحبه يحترمه ويعظمه، وهذا يدعوه للأدب معه، والتسليم للحق إن ظهر لديه.

14-التثبت في الأخبار والأحكام.

فالمحاور الناجح هو الذي لا يحاكم محاوره بما سمع عنه بل بما سمع منه أو تأكد أنه قاله أو رضيه، ولا يحكم عليه بشيء حتى يتثبت قبل إصدار حكمه عليه، فقد أدبنا الله تعالى ورسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأدب التبين قبل التكلم والحكم؛ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[الحجرات:6].

وقال: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:36].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**بِئْسَ مَطِيَّةُ**

الرَّجُلِ: زَعَمُوا)[1].

15-الوسطية في الفهم وتبني الأفكار والقول في المسائل.

ليكن المحاور بعيداً عن الإفراط والتفريط، ملازمًا للاعتدال والتوسط، فلا خير في البعد عن الوسطية.

عَلَيْـك بأوسـاطِ الْأُمُـور فَإِنَّهَـا ... طريـقٌ إِلَـى نهـج الـصَّوَاب قـويمُ
وَلَا تَـكُ فِيهَـا مفرِطـًا أَو مفرِّطـًا ... كـلا طرفِـي قـصد الْأُمُـور ذمـيمُ[2]

وقال الآخر:

وَلَا تَغلُ فِي شَيءٍ مِن الأَمرِ وَاقتَصِدْ ... كِـلَا طَرَفَـي قَـصدِ الأُمـورِ ذَمِـيمُ[3]

16-التفريق بين المسائل القطعية والظنية ومعرفة موقف العلماء الأوائل من المسائل الاجتهادية؛ فإنهم أرسخ علمًا، وأنقى فهما، وبهم قدوة حسنة.

17-معرفة خلاف العلماء.

فمن لم يعرف خلاف العلماء ضاق أفقه، واستبد برأيه، ولم يعذر غيره،

---

(1) رواه أحمد(17075)، والبخاري في الأدب المفرد(763)، وأبو داود(4972)، والبيهقي في الكبرى(21166)، قال ابن حجر: "أخرجه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا"، فتح الباري لابن حجر (10/ 551)، وصححه الألباني وقال: "وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وأبو قلابة قد صرح بالتحديث في رواية الوليد بن مسلم"، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2/ 523).

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (2/ 123).

(3) الدر الفريد وبيت القصيد (10/ 455).

وقلّت فائدة الحوار معه.

وقد ساق ابن عبد البر في هذا الأدب عدة آثار، **منها:**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: "لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً".

وقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: "إِنَّهُ لَتَأْتِينِّي الْقَضِيَّةُ أَعْرِفُ لَهَا وَجْهَيْنِ فَأَيُّهُمَا أَخَذْتُ بِهِ عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَضَيْتُ بِالْحَقِّ".

وقال قتادة: "مَنْ لَمْ يُعْرَفِ الِاخْتِلَافَ لَمْ يَشُمَّ أَنْفُهُ الْفِقْهَ".

وقال سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ: "مَنْ لَمْ يَسْمَعِ الِاخْتِلَافَ فَلَا تَعُدُّوهُ عَالِمًا".

وقال هِشَامُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيِّ: "مَنْ لَمْ يَعْرَفِ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ فَلَيْسَ بِقَارِئٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرَفِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ فَلَيْسَ بِفَقِيهٍ".

وقال عطاء: "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِاخْتِلَافِ النَّاسِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَدَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ أَوْثَقُ مِنَ الَّذِي فِي يَدِهِ".

وقال أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيّ: "أَجْسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقَلُّهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَأَمْسَكُ النَّاسِ عَنِ الْفُتْيَا أَعْلَمُهُمْ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ".

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ: "لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الِاخْتِلَافَ أَنْ يُفْتِيَ، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَقَاوِيلَ أَنْ يَقُولَ: هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ"[1].

---

(1) جامع بيان العلم وفضله (2/ 813-819).

17 -تحديد معاني المصطلحات تحديدًا دقيقًا.

فقبل الحوار في مسألة ما لابد من تحديد معاني مصطلحاتها؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وكم حصل من اختلاف وشقاق في مصطلح لم يتضح معناه الصحيح لدى من خالف فيه.

18 -حسن الاستقبال والتوجه نحو المحاور بالجسد كله أو بالوجه على الأقل.

وهذا من الآداب الرفيعة التي تشعر المحاور الآخر باحترامه والإنصات إلى حديثه، مما يجعله يحترم المتحلي بهذا الأدب.

19 -التأكد من تبني المحاور الآخر للفكرة.

وذلك بسؤاله: سمعت منك كذا، هل تقصد به كذا، حتى يُبنى القول على يقين، ولا يُفسر الكلام على حسب ما لدى السامع من أشياء مسبقة ربما كان المتكلم لا يرمي إليها ولا يقصدها.

20 -التسليم للحق إن ظهر على لسان الطرف الآخر.

وعدم التمادي في الباطل، والاستكبارِ عن قبول الحق؛ خوفًا من الإقرار بالهزيمة؛ فإن هذا ليس من أخلاق طلاب المعرفة، والباحثين عن الحقيقة.

بل إن طالب الحق متى اتضح له الحق من محاوره شكره على ذلك؛ قال الغزالي: "...أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده، أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينـًا لا خصمـًا، ويشكره إذا عرّفه

الخطأ، وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر؛ فإنه كان يشكره ولا يذمه، ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ حتى إن امرأة ردت على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال: "أصابت امرأة وأخطأ رجل". وسأل رجل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأجابه فقال: "ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا كذا، فقال: أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم".

واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال أبو موسى: "لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم"[(1)].

القسم الثاني: صور من الصفات والأعمال السيئة التي ينبغي التخلي عنها في الحوار:

هناك صفات وأعمال سيئة ينبغي للمحاور تجنبها في حواره، **منها:**

1 - التعصب المقيت: للأشخاص والجهات والمذاهب والأحزاب والجماعات.

وهذا من أكثر الأدواء حضوراً في تفريق الصف، والاستكبار عن قبول الحق، والرجوع عن الباطل.

يقول الغزالي عن التعصب: "وهو من آفات علماء السوء؛ فإنهم يبالغون في التعصب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة

---

(1) إحياء علوم الدين (1/ 44).

الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم؛ اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق، ورسوخ البدعة في النفوس"[1].

2–هدر محاسن العالم لزلة وقع فيها، والتغافل عن محاسنه عند تذكر بعض سقطاته.

وهذا ليس من العدل، والعالم بشرٌ غير معصوم.

يقول ابن القيم–بعد أن ذكر زلة وقع فيها الهروي: "وَلَا تُوجِبُ هَذِهِ الزَّلَّةُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ إِهْدَارَ مَحَاسِنِهِ، وَإِسَاءَةَ الظَّنِّ بِهِ، فَمَحَلُّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِمَامَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّقَدُّمِ فِي طَرِيقِ السُّلُوكِ الْمَحَلُّ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، وَكُلُّ أَحَدٍ فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ إِلَّا الْمَعْصُومَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالْكَامِلُ مَنْ عُدَّ خَطَؤُهُ، وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجَالِ الضَّنْكِ، وَالْمُعْتَرَكِ الصَّعْبِ، الَّذِي زَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامٌ، وَضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامٌ، وَافْتَرَقَتْ بِالسَّالِكِينَ فِيهِ الطُّرُقَاتُ، وَأَشْرَفُوا –إِلَّا أَقَلَّهُمْ– عَلَى أَوْدِيَةِ الْهَلَكَاتِ"[2].

بل كثر ذلك الاعتذار من الإمام ابن القيم للهروي، حتى قال الشيخ أبو زيد: "فرحم الله ابن القيم، ما أكثر اعتذاره عن الهروي في سقطاته؟ والله المستعان"[3].

---

(1) إحياء علوم الدين (1/ 40).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 216).

(3) معجم المناهي اللفظية (1/ 361).

2-المقاطعة في الكلام وعدم ترك المحاور ينتهي من كلامه.

فهذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يأتيه عتبة بن ربيعة ويعرض عليه عروض قريش حتى يدع دعوته، فيسمع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلامه الباطل ولا يقاطعه، حتى انتهى، فلما انتهى قال له: ("أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي...)[1].

3-الكبر وإبداء الفضل وعلو المنزلة؛ لقصد الهزء بالطرف الآخر.

قال الأحنف بن قيس: "ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه"[2].

وقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: "لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ ذَوِي الْكَمَالِ اسْتَعَانُوا بِالْكِبْرِ لِيُعَظِّمَ صَغِيرًا، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ"[3].

4-تحقير الخصم والسخرية به والإضحاك عليه.

وهذا ليس من الأدب وحسن الخلق.

5-النداء بلقب معيب أو وصف مكروه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف(36560)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: 160)، وينظر: الروض الأنف (3/ 61).

(2) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 140).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 237).

بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

6–اللعن والسباب وبذاءة اللسان.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ**)[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلاَ فَحَّاشًا، وَلاَ لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتِبَةِ: مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ)[2].

7–رفع الصوت فوق الحاجة.

فليس رفع الصوت دليل قوة الحجة، ولا طريقًا لغلبة الخصم، بل هو دليل الفقر الحُجَجي، والضعف الأدبي.

8–الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر.

فصاحب الحق الواثق بما لديه يدع المجال لمحاوره ليتكلم بما يريد؛ لمعرفته بأن ما لديه أقوى مما عنده، وقد يلجأ إلى الاستئثار بالوقت من يعرف أن لدى خصمه من الحجج ما يغلب حججه، فيحاول تضييع الوقت عليه بذلك الاستئثار.

---

(1) رواه الترمذي(1977)، والبخاري في الأدب المفرد(312)، والبيهقي(3374)، والحاكم (29)، والطبراني في الأوسط(1814)، وابن حبان(192)، وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

(2) رواه البخاري(6031).

9-سوء الظن وبناء أحكام عليه.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: "كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **(أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا)**[1].

10-التشهير بما يدعو إلى النقص والازدراء.

وهذا ليس من أخلاق المؤمن في هذا الأمر وغيره؛ لأن ستر العورات، وتغطية العيوب من المطالب الشرعية بين المسلمين.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟)[2].

ثالثًا: طرق الوصول إلى الأدب في الحوار:

هناك طرق مساعدة على الوصول إلى لزوم الأدب في الحوار، منها:

1-النظر المتأمل في القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة؛ ففيهما أمثلة صالحة يقتدى بها في الحديث عن الأدب في الحوار.

ففي القرآن نقرأ الآيات التي تحدثت عن حوار الأنبياء مع أقوامهم؛ كنوح وهود وصالح وإبراهيم وشعيب وموسى وغيرهم.

(1) شعب الإيمان (10/ 560).

(2) رواه أبو داود(4788)، والبيهقي في الشعب(7745)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(5881)، وصححه الألباني.

ونقرأ كذلك في سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمثلة في حواره المشركين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

2- التحلي بالأخلاق الحسنة.

فالإنسان إذا كان ذا أخلاق حميدة، وآداب راسخة- وهو عليها ظاهراً وباطنًا-؛ فإنه سيكون ساعة الحوار كذلك.

فكم من إنسان ظهر عوار أخلاقه وسوء آدابِه بجلسة حوار واحدة، كشفت عن نفس عارية من الأخلاق الطيبة، وربما كان من الدعاة إلى الله إليها بأقواله، لكنه عن امتثالها بمنأى، وهذا من الخسران المبين.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ فِي قَوْلِهِ- وَتُرْوَى لِلْعَرْزَمِيِّ-:

يا أَيُّها الرَجُلُ المُعَلِّمُ غَيرَهُ ... هَلا لِنَفسِكَ كانَ ذا التَعليمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا ... كيما يَصحّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ
وَنَراكَ تُصلِحُ بالرشادِ عُقولَنا ... أَبَداً وَأَنتَ مِنَ الرَّشادِ عَديمُ
فابدأ بِنَفسِكَ فانهَها عَن غَيِّها ... فَإِذا اِنتَهَت عَنهُ فأنتَ حَكيمُ
فَهُناكَ يُقبَلُ ما تَقولُ وَيُهتَدى ... بِالقَولِ منك وَينفَعُ التعليمُ
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثلَهُ ... عارٌ عَلَيكَ إِذا فعلتَ عَظيمُ[1]

3- التجرد للحق وطلب الوصول إلى الصواب.

فمن طلب الحق فسيجاهد نفسه للتأدب بآداب الحوار؛ حتى يصل إلى الظفر

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 674).

بالحق، أو اليقين بأحقية ما عنده.

4-قراءة كتب آداب الحوار والنظر الدقيق في مناظرات السلف الصالحين وكيف كانوا متمسكين بالأدب.

5-وجود القدوة الحسنة في الحوار في المجتمع.

لأن بعض من يسيء الأدب في الحوار إذا قيل له: اقتدِ بالسلف في مناظراتهم؛ فإنه قد يعتذر بأن الزمان غير الزمان، والخصوم غير الخصوم، ولكن حين توجد قدوة صالحة من الأحياء فإن لذلك أثراً حسنا.

رابعًا: ثمرات العمل بالأدب في الحوار:

إذا تم الحوار على تلك الآداب السابقة ونحوها فإنه سيثمر ثمرات حسنة، منها:

1-ظهور الحق للناس ومعرفتهم به على وجهه، وزهوق الباطل واندحاره.

وذلك حين يسمع الناس الحجج البينة على سلامة الحق، وفساد الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام:55].

2-اتضاح الصواب من الخطأ، والصحيح من الفاسد.

فكم من مريد للحق والصواب غاب عنه ذلك زمانًا؛ لفساد التصور أو البيئة أو الجلساء، فلما جرى الحوار-شارك فيه أو سمعه-وصل إلى غايته المنشودة.

ومن الأمثلة على ذلك: حوار ابن عباس للخوارج، كما سيأتي-.

3–انكشاف عوار الشبهات، وضعف ما يتعلق به أصحابها من الاستدلال الهش، والتأييد الضعيف.

4–إقامة الحجة بين الناس، والقيام بواجب النصيحة للمسلمين.

فربما لا يتم الوصول إلى تمام البيان للحجة إلا عبر طريق الحوار، كما قال تعالى عن الرسل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:165].

5–تضييق دائرة الخلاف، والقضاء على كثير من أسباب التفرق والتناحر والتباغض.

6– تحسين العلاقة بين الناس، وإقامة سبل التعاون على البر والتقوى بين الأفراد والجماعات.

ابتداء بأعضاء الحوار، ثم مَن وراءهم ممن ينتمي إلى الفكرة من كل طرف.

7–فهم ما عند المخالف للحق من الأدلة حتى يبين له سوء استدلاله بها.

فربما كان لا يعرف ذلك، فإن كان متجرداً للحق فسيعود إلى جادة الصواب.

خامسًا: أضرار سوء الأدب في الحوار:

إذا لم يجر الحوار على قواعد آدابه فإنه سيجر إلى نتائج غير محمودة، منها:

1–عدم الوصول إلى نهاية الحوار أو نتائجه المرجوة من إقامته.

2–سوء الأدب الذي قد ينتهي إلى التراشق بالألفاظ السيئة، والعراك بين الطرفين قبل انفضاض مجلس الحوار أو عقبه.

3-ازدياد هوّة الاختلاف، وتوسيع دائرة البغضاء والتمزق، وفتح باب للعدوان القولي أو الفعلي.

4-النأي عن اللقاء للحوار مرة أخرى.

5-استمرار الخطأ والفساد والباطل، وإصرار أهلها عليها؛ عناداً واستكباراً وانتصاراً للنفوس.

سادسًا: نماذج مشرقة:

1-قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[طه:42-53].

2- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟، قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)(1).

3 - "**قال عكرمة بن عمار:** حدثني أبو زميل أن ابن عباس قال: لما اجتمعت الخوارج في دارها، وهم ستة آلاف أو نحوها، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة؛ لعلي ألقى هؤلاء. فقال: فإني أخافهم عليك، قال: فقلت: كلا. قال: فلبس ابن عباس حلتين من أحسن الحلل، وكان جهيراً جميلاً، قال: فأتيت القوم، فلما رأوني، قالوا: مرحبًا بابن عباس، وما هذه الحلة؟ قلت: وما تنكرون من ذلك؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ حلة من أحسن الحلل، قال: ثم تلوت عليهم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾[الأعراف:32].

قالوا: فما جاء بك؟ قلت: جئتكم من عند أمير المؤمنين، ومن عند أصحاب رسول الله ﷺ ولا أرى فيكم أحدًا منهم، ولأبلغنكم ما قالوا، ولأبلغنهم ما تقولون.

---

(1) رواه أحمد(22211)، والطبراني في الكبير(7679)، والبيهقي في الشعب(5032)، **وقال الهيثمي:** "رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 129).

فما تنقمون من ابن عم رسول الله ﷺ وصهره؟

فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: لا تكلموه؛ فإن الله يقول: ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[الزخرف:58]، وقال بعضهم: ما يمنعنا من كلامه. ابن عم رسول الله ﷺ، ويدعونا إلى كتاب الله.

قال: فقالوا: ننقم عليه ثلاث خلال: إحداهن: أنه حكّم الرجال في دين الله، وما للرجال ولحكم الله. والثانية: أنه قاتل فلم يسب ولم يغنم، فإن كان قد حل قتالهم فقد حل سبيهم، وإلا فلا. والثالثة: محا نفسه من "أمير المؤمنين"، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير المشركين. قلت: هل غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلت: أرأيتم إن خرجت لكم من كتاب الله وسنة رسوله أراجعون أنتم؟ قالوا: وما يمنعنا. قلت: أما قولكم: إنه حكم الرجال في أمر الله، فإني سمعت الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾[المائدة: 95]، وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم، فوض الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم، وقال: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا**﴾[النساء: 35]، أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل فلم يسب، فإنه قاتل أمكم؛ لأن الله يقول: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[الأحزاب: 6]، فإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها أمكم فما حل سباؤها، فأنتم بين ضلالتين. أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: إنه محا اسمه من أمير المؤمنين، فإني أنبئكم عن ذلك: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ يوم الحديبية جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمرو،

فقال: "يا علي، اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ"، فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال: "اللهم إنك تعلم أني رسولك"، ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: "يا علي، اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله"، فوالله ما أخرجه ذلك من النبوة، أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: فرجع ثلثهم، وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على ضلالة"(1).

4-رِسَالَةُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ:

كان بين الإمامين: الليث بن سعد ومالك بن أنس خلاف في مسائل متعددة، فبعث الليث إلى مالك برسالة بين له وجهة نظره في تلك المسائل، تشع تلك الرسالة بأدب جم في الحوار.

يقول فيها: "سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ- عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ، وَأَحْسَنَ لَنَا الْعَاقِبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ- فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ مِنْ صَلَاحِ حَالِكُمُ الَّذِي يَسُرُّنِي، فَأَدَامَ اللهُ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَتَمَّهُ بِالْعَوْنِ عَلَى شُكْرِهِ وَالزِّيَادَةِ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَذَكَرْتَ نَظَرَكَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ وَإِقَامَتَكَ إِيَّاهَا وَخَتْمَكَ عَلَيْهَا بِخَاتَمِكَ، وَقَدْ أَتَتْنَا فَجَزَاكَ اللهُ عَمَّا قَدَّمْتَ مِنْهَا خَيْرًا".

ثم شرع في الحديث عن المسائل المختلفة بينهما وبيان وجهة نظره فيها، إلى ختم الرسالة بعد ذلك بقوله: "فَهَذِهِ منزلتك عندي ورأيي فيه فَاسْتَيْقِنْهُ، وَلَا تَتْرُكِ الْكِتَابَ إِلَيَّ بِخَبَرِكَ وَحَالِكَ وحال ولدك وأهلك وحاجة إن كانت لك أَوْ لِأَحَدٍ

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 534).

يُوصَلُ بِكَ، فَإِنِّي أُسَرُّ بِذَلِكَ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَنَحْنُ صَالِحُونَ مُعَافَوْنَ وَالْحَمْدُ لله، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ شُكْرَ مَا أَوْلَانَا وَتَمَامَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ"[1].

وكان الليث ذا مال، فكان ينعم على مالك منه، رغم خلافهما في مسائل، قال الذهبي: "كان الليث بن سعد يصل مالكًا بمائة دينار في السنة، فكتب مالك إليه: علي دين، فبعث إليه بخمس مائة دينار، فسمعت ابن وهب يقول: كتب مالك إلى الليث: إني أريد أن أدخل بنتي على زوجها، فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر، فبعث إليه بثلاثين حملاً عصفرًا، فباع منه بخمس مائة دينار، وبقي عنده فضلة[2].

(1) المعرفة والتاريخ (1/ 687-695).

(2) سير أعلام النبلاء (8/ 148).

الأدب في اللباس

اللباس نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، ومظهر رحمة كبيرة من رحماته ميز بها الإنسان عن الحيوان؛ فستر بها نقصه وعورته، وأظهر بها كرامته وزينته، ووقاه بها مما يضره في الحر والبرد، فكان في ذلك إرغام للشيطان وقهر له؛ لأنه يحب بدو العورات.

قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[الأعراف:20-22].

وبعد الآيات السابقة في سورة الأعراف بثلاث آيات يقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف:26].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يَمْتَنُّ تعالى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللِّبَاسِ والريش، فاللباس ستر العورات وهي السوآت، والرياش والريش مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ظَاهِرًا، فَالْأَوَّلُ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ، والريش من التكملات وَالزِّيَادَاتِ"(1).

وقال الله سبحانه: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ

(1) تفسير ابن كثير (3/ 359).

أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[النحل:81].

قال الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ الآية، بيّن - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة منته على خلقه؛ بأنه جعل لهم سرابيل تقيهم الحر، أي: والبرد؛ لأن ما يقي الحر من اللباس يقي البرد. والمراد بهذه السرابيل: القمصان ونحوها من ثياب القطن والكتان والصوف. وقد بين هذه النعمة الكبرى في غير هذا الموضع"(1).

وكما بين القرآن الكريم أن اللباس نعمة من نعم الله تعالى؛ بيّن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا ذلك في أحاديث:

فعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)(2).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قُبَاءٍ النَّبِيَّ ﷺ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَهُ أَوْ يَدَيْهِ قَالَ: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلَا**

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 420).

(2) رواه أحمد (15632)، وأبو داود (4023)، والترمذي (3458)، والدارمي (2732)، والبيهقي في الآداب (522)، والطبراني في الدعاء (396)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (467)،وأبو يعلى الموصلي (1498)، وحسنه الترمذي والألباني.

مُكَافَئٍ وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(1).

فإذا تبين أن اللباس نعمة من نعم الله على الإنسان فإنه يجب عليه شكر ربه عليها، ومن شكر الله على هذه النعمة: سلوك سبيل الأدب الإسلامي فيها. وهذا ما سنوضحه فيما يأتي.

أولاً: صور الأدب في اللباس:

سنقسم هذه الصور إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صور أدب اللباس المشتركة بين الرجال والنساء:

من هذه الآداب:

1- أن يكون اللباس ساتراً للعورة.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:31].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

(1) رواه النسائي في الكبرى(10060)، والحاكم(2003)، وابن حبان(5219)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (485)، قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (7/ 445): "حسن الإسناد".

الْيَـــوْمَ يَبْـــدُو بَعْـــضُهُ أَوْ كُلُّـــهُ   فَمَـــا بَـــدَا مِنْـــهُ فَـــلَا أُحِلُّـــهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: 31]"[1].

قال الكلبي في تفسير الزينة: "يعني: الثياب التي تستر العورة من العُري؛ وذلك لما ذكر من عُري آدم وحواء منّ علينا باللباس)[2].

وعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: (احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ)[3].

وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحْمِلُهُ ثَقِيلٍ وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ، قَالَ: فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الْحَجَرُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ، وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً**)[4].

ومن تمام ستر العورة:

---

(1) رواه مسلم(3028).

(2) التفسير البسيط (9/ 74).

(3) رواه أحمد(20034)، وأبو داود(4017)، والترمذي(2769)، وابن ماجه(1920)، والنسائي في الكبرى(8923)، والطبراني في الكبير(993)، والبيهقي في الكبرى(13538)، والحاكم (7358) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي والألباني.

(4) رواه مسلم(341).

أ- تغطية الفخذ من الرجل.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَتَنِ[1] النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَعْمَرٍ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ مُحْتَبِيًا كَاشِفًا عَنْ طَرَفِ فَخِذِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **(خَمِّرْ فَخِذَكَ يَا مَعْمَرُ؛ فَإِنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ)**[2].

ب-أن لا يصف اللباس العورة ولا يشفها.

فيُجتنب من اللباس الرقيق الذي يصف ما تحته، والضيق الذي يحجم العورة، والقصير جداً الذي يكشف شيئًا منها.

فعَنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبْطِيَّةً[3] كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مُرْهَا**

---

(1) **محمد بن جحش هذا هو:** محمد بن عبد الله بن جحش نسب إلى جده، له ولأبيه صحبة، وزينب بنت جحش زوج النبي ﷺ هي عمته. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (3/ 84). وقال النووي: "قال أهل اللغة: الأختان: جمع ختن وهم أقارب زوجة الرجل، والأحماء: أقارب زوج المرأة، والأصهار يعم الجميع"، شرح النووي على مسلم (4/ 24).

(2) رواه أحمد(22494)، والحاكم(6684)، والطبراني في الكبير(551)، والبيهقي في الشعب (7367)، قال الهيثمي: "ورجال أحمد ثقات" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (2/ 52).

(3) **القُبْطِيَّة:** الثَّوب مِنْ ثِيَابِ مِصْر رَقيقة بَيْضاء، وَكَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى القِبْط، وهُم أَهْلُ مِصر. وضَمُّ الْقَافِ مِنْ تَغْيِيرِ النَّسب. وَهَذَا فِي الثِياب، فَأَمَّا فِي النَّاسِ فِقِبْطِيٌّ، بِالْكَسْرِ". النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 6).

فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً[(1)]، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا)[(2)].

قال الشوكاني: "والحديث يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه، وهذا شرط ساتر العورة، وإنما أمر بالثوب تحته لأن القباطي ثياب رقيقة لا تستر البشرة عن رؤية الناظر بل تصفها"[(3)].

"وقد صرح الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بالمنع من لبس الرقيق من الثياب، وهو ما يصف البشرة أي: مع ستر العورة بالسترة الكافية في حق كل من الرجل والمرأة ولو في بيتها. نص عليه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما صرحوا بالمنع من لبس ما يصف اللين والخشونة والحجم"[(4)].

2- التوسط في الملبوس من غير إسراف ولا تقتير ولا تكبر.

فلا يكون اللباس خارجًا عن العادة في ارتفاع ثمنه، ولا يكون دونًا لا يليق بحال صاحبه، ولا يكون لابس النفيس منه عليه كبر واستعلاء على الناس.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

(1) "**الغِلالة**: الثَّوْبُ الَّذِي يُلْبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ". لسان العرب (11/ 502).

(2) رواه أحمد(21786)، وابن أبي شيبة في مسنده(164)، والبزار(2579)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، والطبراني، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (5/ 137). **قال الألباني**: إسناده حسن، وقال عقب قول الهيثمي: "وله شاهد من حديث دحية نفسه" الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب (1/ 318).

(3) نيل الأوطار (2/ 136).

(4) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (2/ 162).

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:31].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، غَيْرَ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرَفٍ)(1).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ(2) فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(3).

3 –حسن التجمل لاسيما في الصلاة والمناسبات ولقاء الناس .

على أن تجمل الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الأعراف:32].

"وقد كان السلف الصالح يقفون بين يدي الله في عبادتهم وهم في أكمل زينة، فهذا– مثلا– الإمام الحسن بن علي، كان إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله، لم تلبس أجمل ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال، فأنا أتجمل لربي؛ لأنه هو القائل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾"(4).

(1) رواه أحمد(6695)، وابن ماجه(3605)، والنسائي(2559)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(2) أَيْ: يَغُوص فِي الْأَرْضِ حِينَ يُخْسَفُ بِهِ. والجَلْجَلَةُ: حَركة معَ صَوْت. النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 284).

(3) رواه البخاري(5789)، ومسلم(2088).

(4) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/ 265).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)(1).

وعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَآنِي رَثَّ الثِّيَابِ فَقَالَ: (أَلَكَ مَالٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ)(2).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى عَلَيْهِمْ ثِيَابَ النِّمَارِ(3)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ)(4).

وعن ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا يَوْمًا: (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ؛ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ(5)؛

---

(1) رواه مسلم(91).

(2) رواه أحمد(15887)، والترمذي(2006)، والنسائي(5223)، وابن حبان(5417)، والبيهقي(7719)، والطبراني في الصغير(489)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني في الصغير، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (5/ 133).

(3) **النمار**: جمع نمرة بردة يلبسها الأعراب. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1/ 341)

(4) رواه ابن ماجه(1096)، وابن حبان(2777)، وابن خزيمة(1765)، **قال البوصيري**: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (1/ 131).

(5) **الشامة**: هي الخال في الجسد. **أراد**: كونوا في أحسن زي وهيئة حتى تنظروا الناس وينظروا إليكم، وكما تظهر الشامة وينظر إليها دون باقي الجسد. التنوير شرح الجامع الصغير =

فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ)[1].

قال ابن حجر: "والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه، مستحضرًا لها شاكرًا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله؛ لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان في غاية النفاسة"[2].

4-الحرص على نظافة اللباس وحسن رائحته، وكيّه وترتيبه.

قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر:4].

"والآية تشمل النظافتين: المعنوية من الذنوب، والحسية من الأوساخ. والطهارة الحسية أو النظافة تلازم عادة الطهارة المعنوية، أي: التجرد والتباعد من المعاصي، والعكس صحيح؛ فإن وجود الأوساخ ملازم لكثرة الذنوب. والآية دليل على تعظيم الله مما يقول عبدة الأوثان، وعلى النظافة وتحسين الأخلاق واجتناب المعاصي"[3].

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الطُّهُورُ شَطْرُ**

(1/ 424). و"كل خصلة قبيحة فاحشة من الأقوال والأفعال (ولا التفحش) هو تكلف الفحش وتعمده. عون المعبود وحاشية ابن القيم (11/ 100).

(1) رواه أحمد(17622)، وأبو داود(4089)، والطبراني في الكبير(5617)، **قال النووي**: "رواه أَبُو داود بإسنادٍ حسنٍ، إلاَّ قيس بن بشر فاختلفوا في توثِيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ"، رياض الصالحين (ص: 252)، وقال الأرناؤوط: "محتمل للتحسين".

(2) فتح الباري لابن حجر (10/ 259).

(3) التفسير المنير للزحيلي (29/ 220).

الْإِيمَانِ)[1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: (**أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ**، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: **أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ**)[2].

وقد كان السلف الصالح حريصين على الطيْب؛ فقد قال أبو الفيحاء: "رأيت على رأس ابن عباس من المسك ما لو كان لي لكان رأسَ مال"[3].

"وكان الزهري تشم منه رائحة المسك حتى من عِلاَقَةِ[4] سوطه"[5].

وقال الشعبي: "الرائحة الطيبة تزيد في العقل". وقيل: من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظف ثوبه قلّ همه"[6].

5-اختيار اللون الحسن.

وأحسن ذلك البياض؛ لأنه أدل على النظافة؛ إذ يظهر عليه أدنى وسخ فيسارع صاحبه لإزالته، ولكونه أحسن في مرأى الناس، خاصة إذا كان مكويًا.

---

(1) رواه مسلم(223).

(2) رواه أبو داود(4062)، والنسائي(5236)، وابن حبان(5483)، وأبو يعلى(2026)، وصححه الألباني.

(3) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (2/ 400).

(4) **العلاقة**: ما يعلق به.

(5) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/ 386).

(6) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/ 385).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وسمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)**[(1)].

6- استحباب الحمد والدعاء عند لبسه والتسمية عند وضعه.

وقد تقدم حديث معاذ بن أنس في الحمد عند اللبس.

وكذلك يستحب الحمد عند لبس الثوب الجديد: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً ثُمَّ يَقُولُ: **(اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)**[(2)].

وإذا رأى المسلم أخاه المسلم لبس جديداً استحب له الدعاء بما ورد عن أبي نضرة قال: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ[(3)(4)].

---

(1) رواه أحمد(2219)، والترمذي (994)، وأبو داود(4061)، والنسائي(5322)، وابن حبان(5423)، **وقال الترمذي:** "حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم والذهبي والألباني.

(2) رواه أحمد(11248)، وأبو داود(4020)، والترمذي(1767)، والبيهقي في الشعب (5871)،والحاكم(7408)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. وصححه الترمذي.

(3) **قيل له:** تبلي: من الإبلاء بمعنى الإخلاق، وهذا دعاء اللابس بأن يعمر ويلبس ذلك الثوب حتى يبلى ويصير خلقًا (ويخلف الله تعالى) عطف على تبلي من أخلف الله عليه أي: أبدلهما ما ذهب عنه وعوضه عنه، والمقصود الدعاء بطول الحياة". عون المعبود وحاشية ابن القيم (11/ 44).

(4) رواه أبو داود(4020)، والبيهقي في الشعب(5871)، وابن أبي شيبة(25092)، وصحح ابن =

وعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عُمَرَ ثَوْبًا أَبْيَضَ، فَقَالَ: (أَجَدِيدٌ ثَوْبُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟ "فَقَالَ: فَلَا أَدْرِي مَا رَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا - أَظُنُّهُ قَالَ: - وَيَرْزُقُكَ اللهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**)(1).

وإذا وضع ثوبه قال: بسم الله.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا نَزَعَ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ)**(2).

7- البدء بالميامن عند اللبس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا لَبِسَ قَمِيصًا بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ)(3).

حجر إسناده. فتح الباري لابن حجر (10/ 280).

(1) رواه أحمد(5620)، وابن ماجه(3558)، والنسائي في الكبرى(10070)، وابن حبان(6897)، والطبراني في الدعاء(399) وفي الكبير(13127)، وأبو يعلى(5545)، وابن أبي شيبة (25090)، والبزار(6005)، **قال البوصيري:** "هذا إسناد صحيح"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/ 82)، وحسنه الألباني.

(2) رواه الترمذي(606)، ابن السني(274)، والبيهقي في الدعوات الكبير(53)، والطبراني في الأوسط(2504)، **قال الهيثمي:** "رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي، ضعفه البخاري وغيره، ووثقه ابن حبان وابن عدي، وبقية رجاله موثقون". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 205)، وحسنه الألباني. تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص: 58).

(3) رواه الترمذي(1766)، وابن حبان(5422)، والبزار(9250)، وصححه الألباني. صحيح =

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءُوا بِمَيَامِنِكُمْ**)[1].

8-اجتناب المحرَّم من اللباس.

وهذا يشمل الآتي:

أ-ما فيه صور ذوات الأرواح.

و" الصحيح من أقوال أهل العلم: حرمة لبس الثياب المشتملة على صور لذوات الأرواح، سواء كانت صورًا لبني آدم، أو لبعض البهائم، وتصح الصلاة في هذه الثياب إذا كانت الصلاة مستوفاة لشروطها وأركانها وواجباتها وسلمت مما يبطلها، سواء تم ستر تلك الصور أم لا، وهذا مع حصول الإثم الحاصل بسبب لبس تلك الثياب المذكورة"[2].

و"يقول أهل العلم: إنه يحرم إلباس الصبي ما يحرم إلباسه الكبير، وما كان فيه صورة فإلباسه الكبير حرام، فيكون إلباسه الصغير حرامًا أيضا"[3].

ب- الثياب التي أخذت من طريق حرام؛ كسرقة أو غصب أو خيانة، أو

الجامع الصغير وزيادته (2/ 868).

(1) رواه أحمد(8652)، وابن ماجه(402)، وابن حبان(1090)، وابن السني(16)، والطبراني في الأوسط(1097)، وصححه الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 141).

(2) فتاوى الشبكة الإسلامية (11/ 7121).

(3) موقع الإسلام سؤال وجواب (5/ 917).

اشتريت بمال حرام؛ كمال ربا أو رشوة أو غير ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون: 51] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)[1].

ج-لباس الشهرة الذي يخالف به اللابس لباس أهل مجتمعه.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا)[2].

قال المناوي: الشهرة: ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به (ألبسه الله ثوب مذلة) أي: يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب؛ لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره فيلبسه الله مثله (ثم تلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله، والجزاء من جنس العمل، فأذله الله كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء بأن خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة،

---

(1) رواه مسلم(1015).

(2) رواه أحمد(5664)، وأبو داود(4029)، والنسائي في الكبرى(9487)، وابن ماجه(3606)، والبيهقي في الشعب(5817)، وأبو يعلى(5698)، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح". وصححه الألباني.

ولبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع؛ فيذم إذا كان شهرة وخيلاء، ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة كما أن لبس الرفيع منها يذم إذا كان لكبر أو فخر، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا للنعمة[1].

وقال الجيلاني: "وأما المتنزَّه عنه فهو: كل لبسة يكون بها مشتهرًا بين الناس، كالخروج عن عادة أهل بلده وعشيرته، فينبغي أن يلبس ما يلبسون، ولا يباينهم فيها؛ حتى لا يشار إليه بالأصابع ويغتاب، فيكون ذلك سببًا إلى حملهم على غيبته، فيشاركهم في إثم الغيبة له"[2].

وقال شيخ الإسلام: "وَتُكْرَهُ الشُّهْرَةُ مِنْ الثِّيَابِ وَهُوَ الْمُتَرَفِّعُ الْخَارِجُ عَنْ الْعَادَةِ وَالْمُتَخَفِّضُ الْخَارِجُ عَنْ الْعَادَةِ؛ فَإِنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَكْرَهُونَ الشهرتين: الْمُتَرَفِّعَ وَالْمُتَخَفِّضَ، وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ) وَخِيَارُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا"[3].

وقال ابن مفلح: "قَالَ ابْنُ عَبْدُ الْبَرِّ كَانَ يُقَالُ: كُلْ مِنْ الطَّعَامِ مَا اشْتَهَيْت، وَالْبَسْ مِنْ اللِّبَاسِ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ. **نَظَمَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ:**

إنَّ الْعُيُونَ رَمَتْك مُذْ فَاجَأْتَهَا ... وَعَلَيْك مِنْ شَهْرِ اللِّبَاسِ لِبَاسُ

أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِك مَا اشْتَهَتْ ... وَاجْعَلْ لِبَاسَكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ"[4]

---

(1) فيض القدير (6/ 219).

(2) الغنية لطالبي طريق الحق (1/ 70).

(3) مجموع الفتاوى (22/ 138).

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 527).

د-اللباس الذي فيه صُلبان.

فلا يجوز للمسلم والمسلمة لبس ثياب فيها شكل صليب.

فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **(لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ)**(1).

وفي رواية: عن دِقْرَةَ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُذَيْنَةَ، قَالَتْ: كُنَّا نَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَعَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَأَتْ عَلَى امْرَأَةٍ بُرْدًا فِيهِ تَصْلِيبٌ، فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: "اطْرَحِيهِ اطْرَحِيهِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَحْوَ هَذَا قَضَبَهُ"(2).

والـ"**تصاليب:** جمع صليب، كأنهم سموا ما كانت فيه صورة الصليب تصليبًا تسمية بالمصدر"(3).

"وإنما كان يفعل ذلك لأن النصارى يعبدون الصليب، فكره أن يكون شيء من ذلك في بيته"(4).

ومتى" رسمت زخرفة معينة، أو صنعت بعض الأشياء المنزلية والأدوات العادية، فوافق أن نتج عنها شكل من أشكال الصليب السابقة، **فهذا ينظر فيه:**

أ - فإن كان يظهر للناظر لأول وهلة أنه رسم الصليب المشهور اليوم في

---

(1) رواه البخاري(5952).

(2) رواه أحمد(25091)، والنسائي في الكبرى(9707).

(3) فتح الباري لابن حجر (10/ 385).

(4) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (3/ 2159).

معظم الكنائس ولدى أكثر النصارى، وهو عبارة عن خطين أحدهما طولي والآخر عرضي، بحيث يقطع الخط العرضي الخط الطولي، وتكون الجهة العلوية أقصر من السفلية، وهو الشكل الأشهر للصليب منذ أن أحدثه النصارى، مأخوذ من الخشبة التي يصلب عليها من يُراد قتله، فإن كان يظهر للناظر من الوهلة الأولى هذا الأمر، وجب نقضه وإزالته، أو تعديله بما يخرجه عن كونه صليباً، وقد كان النبي ﷺ **(لا يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه)** .

ب – أما إذا لم تكن صورة الصليب ظاهرة، وإنما نتج عن زخرفة غير مقصودة، أو كان البناء بالهندسة المتقاطعة أنفع وأكثر مرونة، أو استعمل لرموز رياضية معينة، كرمز الجمع أو الضرب في علم الحساب، ففي هذه الحال لا يجب نقضه ولا إزالته، ولا حرج في صنعه ولا في بيع ما احتوى عليه؛ لانتفاء العلة، وهي التشبه بالكفار وتعظيم رموزهم؛ فإن رمز الصليب في هذه الحالة دقيق غير ملاحظ، ولا معتبر"(1).

هـ–ما كان من اللباس خاصًا بالكفار.

وليس من اللباس العام الذي يشترك المسلمون والكفار في لبسه.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَغَضِبَ. وَقَالَ: **(أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟ إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا. فَقُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا؟، قَالَ: بَلْ أَحْرِقْهُمَا)**(2).

---

(1) موقع الإسلام سؤال وجواب (1/ 8).

(2) رواه مسلم(2077).

و: "(**المُعصفر**): المصبوغ بالعُصْفر وهو شيء أحمر.. قوله: "إن هذا من ثياب الكفار"؛ يعني: الكفار هم الذين لا يميزون الرجال من النساء في اللبس بخلاف المسلمين، فإن الرجالَ لا يلبسون ثياب النساء"[1].

قال النووي: "وأما الأمر بإحراقهما فقيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره، وزجر غيره عن مثل هذا الفعل، وهذا نظير أمر تلك المرأة التي لعنت الناقة بإرسالها، وأمر أصحاب بريرة ببيعها، وأنكر عليهم اشتراط الولاء، ونحو ذلك، والله أعلم"[2].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**)[3].

والمعنى: "تزيّا في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفعلهم، وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي: وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن"[4].

---

(1) المفاتيح في شرح المصابيح (5/ 12).

(2) شرح النووي على مسلم (14/ 55).

(3) رواه أحمد(5114)، وأبو داود(4031)، والطبراني في الكبير(14109)، والبيهقي في الشعب (1154)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(231)، وابن أبي شيبة(33016)، وحسن إسناده ابن حجر. فتح الباري لابن حجر (10/ 271)، وقال في البلوغ: "وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ"، بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص: 540).

(4) فيض القدير (6/ 104).

و-المصنوع من جلود غير مأكول اللحم كجلود السباع، أو من مأكول اللحم مما لم يدبغ، أو كان ميتًا.

فعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ)[1].

القسم الثاني: صور أدب اللباس الخاصة بالرجال:

من ذلك:

1-اجتناب لبس الحرير الطبيعي والذهب.

وهذا يشمل الذكور البالغين وغير البالغين.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي إِحْدَى يَدَيْهِ ثَوْبٌ مِنْ حَرِيرٍ، وَفِي الْأُخْرَى ذَهَبٌ، فَقَالَ: (**إِنَّ هَذَيْنِ مُحَرَّمٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ**)[2].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ**

(1) رواه أبو داود(4132)، والترمذي(1771)، والنسائي(4253)، والدارمي(2026)، والبزار(2330)، وابن أبي شيبة(36417)، **قال النووي**: "رَوَاهُ الثَّلَاثَة بأسانيد صَحِيحَة". خلاصة الأحكام (1/ 78).

(2) رواه أبو داود(4057)، وابن ماجه(3597)، والنسائي في الكبرى(9385)، والطبراني في الأوسط(5161)، والكبير(10889)، والبيهقي في الكبرى(4219)، وابن حبان(5434)، " **قال علي ابن المديني**: "هذا حديث حسن ورجاله معروفون"، خلاصة البدر المنير (1/ 26). وصححه الألباني. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (1/ 305).

يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ)[1].

وقد سئل النووي: "جرت عادة كبراءِ الناس أن يكتبوا الصداق على ثوب حرير محض، هل يجوز؟".

فأجاب: "الجواب: لا يجوز؛ لأنه لا يجوز للرجال استعمال الحرير في لبس، ولا في غيره، وإنما يجوز للنساء لبسه، وهذا استعمال من الرجال، فهو حرام، فلا يغتر بكثرة من يفعله في العادة، ولا بكثرة من يراه ولا ينكره، فإن هذا كباقي المحرمات الواقعة في العادة"[2].

2 - البعد عن الإسبال.

وهذا يشمل جميع الألبسة التي تغطي الجزء الأسفل من البدن؛ من قميص وبنطال وإزار وثياب نوم أو عمل.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ)**[3].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: **(يَا عَبْدَ اللهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ**

(1) رواه البخاري (5833)، ومسلم(2073).

(2) فتاوى النووي (ص: 187).

(3) رواه مسلم(106).

أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ)[1].

وعن جابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال له: (...وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ)[2].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ)[3].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ، وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4].

قال الشوكاني: "قال ابن بطال: وإسبال العمامة المراد به: إرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة انتهى. وأما المقدار الذي جرت به العادة، فقد تقدم أن النبي ﷺ فعله هو وأصحابه، وتطويل أكمام القميص تطويلاً زائدًا على المعتاد من الإسبال، وقد نقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على المعتاد من

(1) رواه مسلم(2086).

(2) رواه أحمد(20635)، وأبو داود(4084)، والنسائي في الكبرى(9611)،وابن حبان(521)، وابن أبي شيبة(24822)، والطبراني في الدعاء(2058)، والبيهقي في الكبرى(21093)، وصححه الألباني.

(3) رواه البخاري(5787).

(4) رواه أبو داود(4094)، وابن ماجه(3576)، والنسائي(5334)، وابن أبي شيبة(24840)، وصححه الألباني.

اللباس في الطول والسعة"[1].

قال الشيخ ابن عثيمين: "وأما إسبال الثياب للرجال فإنه محرم، بل هو من كبائر الذنوب **ويقع الإسبال على وجهين:**

أحدهما: أن يكون للخيلاء والفخر والتعاظم. فهذا جزاؤه أن الله تعالى لا يكلمه يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم؛ لحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم كررها ثلاثًا، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله، قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**) والمسبل هو الذي يرخي ثوبه حتى يصل إلى الأرض، فهذه العقوبة كما ترى عقوبة عظيمة شديدة.

أما الوجه الثاني: فأن يقع الإسبال لا على وجه الفخر والخيلاء. فعقوبته أهون؛ لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ما أسفل من الكعبين ففي النار) أي: أن ما نزل من الكعبين فإن صاحبه يعذب عليه بالنار، فيكون العذاب على قدر النازل من الثوب عن الكعبين، وهذه العقوبة أهون من العقوبة الأولى، ومن ثم نقول: إنه لا يمكن أن يقيد هذا الحديث المطلق بالحديث السابق وهو: (من جر ثوبه خيلاء)؛ ذلك لأن العقوبتين مختلفتان، وإذا اختلفت العقوبتان امتنع حمل أحد الحديثين على الآخر؛ لأنه يلزم منه تكذيب أحدهما بالآخر، عقوبة هذا كذا وعقوبة هذا كذا، مع أن العمل واحد. وبهذا نعرف أن ما يتعلل به بعض الناس إذا نهيته عن

---

(1) نيل الأوطار (2/ 134).

إسبال ثوبه أو سرواله أو مشلحه قال: أنا لم أفعله خيلاء، فهذا التعلل الذي يتعلل به لا وجه له؛ وذلك لأن العقوبتين مختلفتان، فلا يحمل أحدهما على الآخر، وقد نص علماء الأصول رَحِمَهُمُ اللَّهُ على أنه إذا اختلف الحكم فإنه لا يحمل المطلق على المقيد"(1).

3-ترك التشبه بالنساء في لباسهن.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)(2).

قال ابن حجر: "قال الطبري: المعنى لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس. قلت: وكذا في الكلام والمشي، فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد، فرب قوم لا يفترق زي نسائهم من رجالهم في اللبس، لكن يمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار، وأما ذم التشبه بالكلام والمشي فمختص بمن تعمد ذلك، وأما من كان ذلك من أصل خلقته فإنما يؤمر بتكلف تركه والإدمان على ذلك بالتدريج، فإن لم يفعل وتمادى دخله الذم ولا سيما إن بدا منه ما يدل على الرضا به، وأخذ هذا واضح من لفظ المتشبهين"(3).

---

(1) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (22/ 2).

(2) رواه البخاري(5885).

(3) فتح الباري لابن حجر (10/ 332).

القسم الثالث: صور أدب اللباس الخاصة بالنساء:

من ذلك:

1 -أن تحرص المرأة إذا خرجت من منزلها على أن تكون على الحجاب الكامل الذي تتوفر فيه شروط الحجاب الشرعي.

وهي: استيعابه جميع بدنها إلا عينيها، وأن لا يكون زينة في نفسه، وأن يكون صفيقًا لا يشف، وأن يكون فضفاضًا غير ضيق فيصف شيئًا من جسمها، وأن لا يكون مبخراً ولا مطيبًا، وأن لا يشبه لباس الرجال، وأن لا يشبه لباس الكافرات أو من اشتهرن بالفسوق والعصيان، وأن لا يكون لباس شهرة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب:59].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)[1].

قال ابن عبد البر: "وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: (كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ) فَإِنَّهُ أَرَادَ اللَّوَاتِي يَلْبَسْنَ مِنَ الثِّيَابِ الشَّيْءَ الْخَفِيفَ الَّذِي يَصِفُ وَلَا يَسْتُرُ، فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ بِالِاسْمِ،

---

(1) رواه مسلم(2128).

عَارِيَاتٌ فِي الْحَقِيقَةِ "[1].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ)**[2].

2- أن لا تتشبه بالرجال في لباسها.

فلا تلبس ما هو من لباس الرجال، ولا ما كان على هيئة لباسهم. سواء كان ذلك في الجد أم في المزاح كالتمثيل.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **(لَعَنَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ)**[3].

ففي هذا الحديث: "حرمة تشبه الرجال بالنساء وعكسه؛ لأنه إذا حرم في اللباس ففي الحركات والسكنات والتصنع بالأعضاء والأصوات أولى بالذم والقبح، فيحرم على الرجال التشبه بالنساء وعكسه في لباس اختص به المشبه، بل يفسق فاعله"[4].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، ولَا**

---

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (13/ 204).

(2) رواه النسائي(5126)، وحسنه الألباني.

(3) رواه أحمد(8309)، وأبو داود(4098)، والنسائي في الكبرى(9209)، والطبراني في الأوسط (984)، والبيهقي في الشعب(7416)، وابن حبان(5752)، والحاكم(7415)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(4) فيض القدير (5/ 269).

يَنْظُرُ اللهُ عز وجل إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ -الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ-، وَالدَّيُّوثُ)[1].

ومما تساهلت به بعض النساء المسلمات في عصرنا: لبس البنطال الضيق أو الشفاف.

"فإن لبس المرأة للبنطلون المعروف لا يجوز؛ **وذلك لعدة أسباب:**

الأول: أن فيه تشبهاً بالرجال، وقد قال النبي ﷺ: **(لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)**. رواه أحمد وصححه الأرناؤوط، وأصل الحديث في البخاري.

الثاني: أنه يصف الجسم، ويبين حجم الفخذين والإليتين وربما الفرج، وقد قال الله تعالى للنساء: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾[النور:31].

ولأن العلماء قرروا في شروط الحجاب: ألا يصف أعضاء المرأة؛ لما في ذلك من فتنة للرجال، بل وللنساء أيضاً في بعض الأحيان.

الثالث: أن لبس البنطلون من عادات نساء أهل الغرب من الكفار، وقد قال النبي ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**"[2].

---

(1) رواه أحمد(6180)، والنسائي (2562)، والطبراني في الأوسط(2443)، وأبو يعلى (5556)، والبزار(6051)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(2) فتاوى الشبكة الإسلامية (20/ 779).

إلا إذا كانت المرأة وحدها أو أطفالها الصغار غير المميزين، أو مع زوجها منفردين، فيجوز ذلك.

3-أن لا تلبس ما هو مختص بالكافرات، أو ما عرفت به النساء ذوات الفسق والعصيان.

"لما تقرر في الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالاً ونساءً التشبه بالكفار، سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم، وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية"(1).

4-أن لا تنزع ثيابها في غير بيت زوجها أو أهلها مما يبدي مفاتنها أو يحجم عورتها.

كما يحدث في الحفلات النسائية أو الحمامات البخارية أو المسابح النسائية أو الأندية الرياضية التي لا يؤمن نظر الرجال إليها أو وصول صور إليهم لمن فيها.

فعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، قَالَ: دَخَلَ نِسْوَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَعَلَّكُنَّ مِنَ الْكُورَةِ الَّتِي تَدْخُلُ نِسَاؤُهَا الْحَمَّامَ؟، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَهَا فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)**(2).

(1) موقع الإسلام سؤال وجواب (5/ 7455).

(2) رواه أحمد(26304)، والترمذي(2803)، وابن ماجه(3750)، والدارمي(2693)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

قال المناوي: "(وضعت ثيابها في غير بيت زوجها) كناية عن تكشفها للأجانب وعدم تسترها منهم (فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل) لأنه تعالى أنزل لباسًا ليوارين به سوءاتهن وهو لباس التقوى، وإذا لم تتقين الله وكشفن سوءاتهن هتكن الستر بينهن وبين الله تعالى، وكما هتكت نفسها ولم تصن وجهها وخانت زوجها يهتك الله سترها، والجزاء من جنس العمل"[1].

5- إذا مات زوجها فعليها الالتزام بلباس الإحداد، وهو اللباس البعيد عن الزينة والطيب والبخور حتى تكمل عدتها.

فعن أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ وَلَا تَكْتَحِلُ، وَلَا تَمْتَشِطُ، وَلَا تَخْتَضِبُ، وَلَا تَمَسُّ طِيبًا، إِلَّا إِذَا طَهُرَتْ نُبْذَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ)**[2].

والعصب: من برود اليمن يعصب غزلها أي: يربط ثم يصبغ ثم ينسخ معصوبًا فيخرج موشى لبقاء ما عصب به أبيض لم ينصبغ.

والنُّبذة: اليسير من كل شيء.

والقسط والأظفار نوعان معروفان من البخور، وليسا من مقصود الطيب رخص فيه للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة تتبع به أثر الدم لا للتطيب[3].

---

(1) فيض القدير (3/ 136).

(2) رواه البخاري(5341)، ومسلم(1177)، والنسائي(3534)، وأبو داود(2302).

(3) ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم (6/ 293) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) =

ثانيًا: ثمرات التأدب بآداب اللباس:

هناك ثمرات كثيرة منها:

1-الظفر بأجر امتثال ما أمر الله به ورسوله، والبعد عما نهى عنه الله ورسوله.

2-الستر والزينة.

3- الوقاية من الأضرار؛ كالسلامة من العين والحسد.

4-الراحة النفسية التي يجدها المتواضع في لباسه.

5-مغفرة الذنوب.

عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)(1).

ثالثًا: أضرار ترك التأدب بآداب اللباس:

هناك أضرار عديدة، منها:

1-التهديد بعدم دخول الجنة والوعيد بدخول النار.

(3/ 2041)، شرح النووي على مسلم (10/ 119).

(1) رواه أحمد (15632)، والبيهقي في الآداب (522)، والطبراني في الدعاء (396)، وأبو داود (4023)، والترمذي (3458)، والدارمي (2732)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (467)،وأبو يعلى الموصلي (1498)، وحسنه الترمذي والألباني.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)(1).

وعنْه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ)(2).

2- فوات محبة الله تعالى.

فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِحُجْزَةِ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي سُهَيْلٍ، فَقَالَ: (يَا سُفْيَانُ، لَا تُسْبِلْ إِزَارَكَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إلى المسبلين)(3).

3- الحرمان من نظر الله.

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ، وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(4).

---

(1) رواه مسلم(2128).

(2) رواه البخاري(5787).

(3) رواه أحمد(18151)، وابن ماجه(3574)، والنسائي في الكبرى(9624)، وابن حبان (5442)، والبيهقي في الشعب(5720)، والطبراني في الكبير(1024)، وحسنه الألباني.

(4) رواه أبو داود(4094)، وابن ماجه(3576)، والنسائي(5334)، وابن أبي شيبة(24840)، وصححه الألباني.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، ولَا يَنْظُرُ اللهُ عز وجل إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ)(1).

4-عذاب البرزخ.

فعن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)(2).

5-حصول العذاب يوم القيامة.

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا)(3).

6-حرمان بعض النعيم يوم القيامة في الجنة.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ)(4).

---

(1) رواه أحمد(6180)، والنسائي (2562)، والطبراني في الأوسط(2443)، وأبو يعلى(5556)، والبزار(6051)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(2) رواه البخاري(3485)، ومسلم(2088).

(3) رواه أحمد(5664)، وأبو داود(4029)، والنسائي في الكبرى(9487)، وابن ماجه(3606)، والبيهقي في الشعب(5817)، وأبو يعلى(5698)، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح". وصححه الألباني.

(4) رواه البخاري(5832)، ومسلم(2073).

7- عدم إجابة الدعاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾**[المؤمنون: 51] **وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[البقرة: 172] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)**[1].

رابعًا: نماذج مشرقة:

1- **عَنْ** قَتَادَةَ قَالَ: قُلْنَا لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَيُّ اللِّبَاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ أَعْجَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا؟ قَالَ: **(الحِبَرَةُ)**[2].

قال النووي: الحبرة هي: بكسر الحاء وفتح الباء، وهي ثياب من كتان أو قطن، محبرة أي: مزينة، والتحبير: التزيين والتحسين... فيه دليل لاستحباب لباس الحبرة، وجواز لباس المخطط، وهو مجمع عليه، والله أعلم[3].

وقال ابن حجر: "وقال الداودي: لونها أخضر؛ لأنها لباس أهل الجنة كذا قال، وقال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن، وكانت أشرف الثياب

(1) رواه مسلم(1015).
(2) رواه البخاري(5812)، ومسلم(2079).
(3) شرح النووي على مسلم (14/ 56).

عندهم، وقال القرطبي: سميت حبرة لأنها تحبر أي: تزين"[1].

2 - **وعَنْ** ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ يَوْمَ الْعِيدِ بُرْدَةً حَمْرَاءَ)[2].

والْبردَة: كسَاء مخطط يلتحف بِهِ[3].

3 - **وعن** عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: ائْتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ - قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا جَمِيلًا جَهِيرًا - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟! قَالَ: مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ (لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ)[4].

4 - **وعَنْ** أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقَمِيصُ)[5].

---

(1) فتح الباري لابن حجر (10/ 277).

(2) رواه الطبراني في الأوسط(7609)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (2/ 198).

(3) المعجم الوسيط (1/ 48).

(4) رواه أحمد(18979)، وأبو داود(4037)، والحاكم(2656)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. وقال الألباني: "حسن الإسناد".

(5) رواه أبو داود(4025)، والترمذي(1762)، والنسائي في الكبرى(9589)، والبغوي (3068)، وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

قال المناوي: "أي: كانت نفسه تميل إلى لبسه أكثر من غيره من نحو رداء أو إزار؛ لأنه أستر منهما وأيسر؛ لاحتياجهما إلى حل وعقد بخلافه، فهو أحبها إليه لبسًا، والحبرة أحبها إليه رداء، فلا تدافع بين حديثيهما، أو ذاك أحب المخيط، وذا أحب غيره ويلوح من ذلك أن لبسه له أكثر"[1].

(1) فيض القدير (5/ 82).

الأدب في المجالس

إن الإنسان مدني بطبعه لابد له من الاجتماع البشري، والجلوس مع الناس لجلب مصلحة أو دفع مضرة، ولا يبقى جميع وقته وحده في حال اختياره، وحين يلتقي الناس بعضهم ببعض في مجالس تجمع شملهم سيكون هناك أقوال وأفعال منها ما يبقى في دائرة المشروع، ومنها ما يخرج إلى الممنوع.

لذلك حث الإسلام على اختيار الجلساء الصالحين، وحذّر من الجلساء الطالحين؛ لعظيم أثر الجليس على جليسه، ولحصول الخير في مجالس أهل الصلاح، وأعمال الشر في مجالس أهل الفساد.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[1].

فقوله: "(لا تصاحب إلا مؤمنا) وكامل الإيمان أولى؛ لأن الطباع سرّاقة، ومن ثَم قيل: صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا. وقال الشافعي: ليس أحد إلا له محب ومبغض. فإذ كان لا بد من ذلك فليكن المرجع

(1) رواه أحمد(11337)، وأبو داود(4832)، والترمذي(2395)، وابن حبان(554)، والبيهقي في الآداب(235)، والطبراني في الأوسط(3136)، والدارمي(2101)، وأبو يعلى(1315)، وحسنه الألباني. مشكاة المصابيح (3/ 1397).

إلى أهل طاعة الله، **ومن ثم قيل:**

ولا يصحب الإنسانُ إلا نظيره وإنْ لم يكونوا من قبيلٍ ولا بلدْ

وصحبة من لا يخاف الله لا تؤمن غائلتها؛ لتغيره بتغير الأعراض، قال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28]. والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)**[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)**[3].

وكما حث الإسلام على مجالسة الصالحين حث كذلك على زيارتهم أو استزارتهم:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، **(أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي**

---

(1) فيض القدير (6/ 404).

(2) رواه أحمد(8417)، وأبو داود(4833)، والترمذي(2378)، قال النووي: "رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح، وَقالَ الترمذي: «حديث حسن»". رياض الصالحين (ص: 133).

(3) رواه البخاري(5534)، ومسلم(2628).

فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)(1).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: (أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟)، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: 64] الآيَةَ)(2).

فإذا وصل الإنسان إلى مجلس فيه ما يُعصى الله به فلا يبقى فيه، بل يغادره إذا نصح أهله فلم يستجيبوا لنصحه، أو كان يضعف عن قول الحق فيه، قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام:68].

وقال: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾**[النساء:140].

وعن حَرْمَلَةَ الْعَنْبَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: **(اتَّقِ اللهَ، وَإِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ فَقُمْتُ مِنْهُ فَسَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ مَا يُعْجِبُكَ، فَأْتِهِ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ مَا تَكْرَهُ، فَاتْرُكْهُ)**(3).

---

(1) رواه مسلم(2567).

(2) رواه البخاري(3218).

(3) رواه أحمد(18720)، والبيهقي في الشعب(9005)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 359)، وأبو داود الطيالسي(1303)، **قال الهيثمي:** "رواه أحمد، ورجاله =

والحاجة داعية لمعرفة المسلمين موضوعَ آداب المجالس؛ حتى يحرصوا على التمسك بهذه الآداب في مجالسهم؛ لأن مجالس أكثر الناس اليوم قد مُلئت بالضياع في غير فائدة، وبعضها قد صار مكانًا لاكتساب السيئات؛ لكثرة الآفات التي تقع فيها.

وبيانًا لهذا الموضوع سنتحدث عن:

تعريف المجالس، وصور الآداب في المجالس، وثمرات التحلي بها فيها، وأضرار البعد عنها، ونماذج مشرقة في هذا الأدب.

أولاً: تعريف المجالس:

لغة: الْمجْلس: مَكَان الْجُلُوس[1]. والجمع: مجالس.

اصطلاحًا: لا نعني بالمجلس ذلك المكان الذي يجتمع فيه الناس في بيت أو فندق أو سوق فحسب، وإنما يراد بالمجلس: كل مكان يجلس فيه الإنسان، سواء كان في البيوت أم الطرقات أم الأسواق أم المساجد أم أماكن العمل أم الحدائق والمتنزهات، أم غير ذلك.

ثانيًا: صور من الآداب في المجالس:

سنقسم هذه الآداب إلى قسمين:

القسم الأول: صور من الآداب يطلب التحلي بها في المجالس.

هناك صور كثيرة من الآداب التي يجب أو يستحب التحلي بها في المجالس،

ثقات" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 216).

(1) المعجم الوسيط (1/ 130).

نقتصر من ذلك على الآتي:

1-الوقار وحسن السمت.

لاسيما إذا كان الجالس ممن يقتدى به، ويؤخذ عنه.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ)**[1].

و الهدي: الطريقة الصالحة (والسمت الصالح) (والاقتصاد) أي: سلوك القصد في الأمور القولية والفعلية والدخول فيها برفق على سبيل يمكن الدوام عليه (جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة) أي: إن هذه الخصال منحها الله تعالى أنبياءه، فاقتدوا بهم فيها، وتابعوهم عليها، وليس معنى الحديث أن النبوة تتجزأ، أو لا أن من جمع هذه الخصال كان فيه جزء من النبوة؛ فإن النبوة غير مكتسبة بالأسباب، وإنما هي كرامة من الله تعالى لمن أراد إكرامه بها من عباده، وقد ختمت بمحمد ﷺ"[2].

2-التوسع في المجلس.

فإن هذا الأدب من الأخلاق النبيلة، ومن أسباب تقريب النفوس وتعميق المحبة فيها.

---

(1) رواه أحمد(2698)، والبخاري في الأدب المفرد(791)، وأبو داود(4776)، والبيهقي (20801)، وحسنه الألباني.

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم (13/ 94).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[المجادلة:11].

3 – إنزال الناس منازلهم ومعرفة أقدارهم.

ويكون ذلك بحسن الترحيب والاستقبال لهم، واختيار المجالس اللائقة بحالهم في المجلس.

قال عمرو بن الأهتم:

وقلتُ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبًا ... فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقُ
وضاحكتُهُ من قبلِ عرفانيَ اسمَهُ ... ليأنسَ، إنِّي للكَسيرِ رفيقُ
وقمتُ إلى الكُومِ الهواجدِ فاتَّقتْ ... مقاحيدُ كُومٌ كالمجادلِ رُوقُ
بأدماءَ مِرْباعِ النِّتاجِ كأنَّها ... إذا أعرضتْ دون العِشارِ فَنيقُ
بضَرْبةِ ساقٍ أو بنجلاءَ ثرَّةٍ ... لها من أمامِ المنكبَيْنِ فَتيقُ
وقامَ إليها الجازرانِ فأوْفَدا ... يُطيرانِ عنها الجلدَ وهيَ تفوقُ
فباتَ لنا منها وللضَّيفِ مَوْهنا ... شواءٌ سمينٌ راهنٌ وغبوقُ
وباتَ له دون الصَّبا وهْيَ قرَّةٌ ... لِحافٌ ومصقولُ الكساءِ رقيقُ
وكلُّ كريمٍ يتَّقي الذَّمَّ بالقِرَى ... وللخيرِ بين الصَّالحينَ طريقُ
لعمركَ ما ضاقتْ بلادٌ بأهلِها ... ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تضيقُ(1)

---

(1) حماسة الخالديين (ص: 74).

عَـنْ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا أَتَـاكُمْ كَـرِيمُ قَـوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**)(1).

و"**عَنْ** طَارِقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ الشَّعْبِيِّ فَجَاءَ جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ، فَدَعَا لَهُ الشَّعْبِيُّ بِوِسَادَةٍ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، نَحْنُ عِنْدَكَ أَشْيَاخٌ، دَعَوْتَ لِهَذَا الْغُلَامِ بِوِسَادَةٍ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**)"(2).

ومن ذوي المنازل العالية والأقدار السامية: أهل العلم والقرآن، وكبار السن، والضيف.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**)(3).

وفي رواية: (**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**)(4).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ**

(1) رواه ابن ماجه(3712)، والبزار(5846)، والبيهقي في الكبرى(16686)، وحسنه الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 111).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (5/ 234).

(3) رواه الترمذي(1919)، وأبو يعلى(4242)، وصححه الألباني.

(4) رواه أحمد(22755)، والبزار(2718)، والطبراني في الكبير(7703)، ومكارم الأخلاق (147)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(1328)، والشاشي في مسنده(1273)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (1/ 127)

اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)[(1)].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**)، قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ. وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**)[(2)].

4- ذكر الله سبحانه وتعالى.

من بركات المجالس وخيرها: أن لا تخلو من ذكر الله، وذكر الله بابه واسع، فهو يشمل: قراءة القرآن أو سماعه، والصلاة، والتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والحوقلة والحسبلة والصلاة على النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

وخلو المجلس من ذكر الله يخرجه عن مجالس الخير، فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً**)[(3)].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد(357)، وأبو داود(4843)، والبيهقي في الشعب(2431)، وابن أبي شيبة(21922)، وحسنه النووي. التبيان في آداب حملة القرآن (ص: 27).

(2) رواه البخاري (6019)، ومسلم(48).

(3) رواه أحمد(9052)، وأبو داود(4855)، والنسائي في الكبرى(10163)، والحاكم(1808)، وابن السني في عمل اليوم والليلة(445)، والبيهقي(537)، **قال النووي:** "رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح"، رياض الصالحين (ص: 261)، وصححه الألباني.

وعن مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: "يَا بُنَيَّ، إِنْ كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ تَرْجُو خَيْرَهُ فَعَجِلَتْ بِكَ حَاجَةٌ فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّكَ تَشْرَكُهُمْ فِيمَا أَصَابُوا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَمَا مِنْ قَوْمٍ يَجْلِسُونَ مَجْلِسًا فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ لَمْ يُذْكَرِ اللهُ فيه إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جيفة حمار"[1].

" أي: مثلها في النتن والقذارة والبشاعة؛ لما صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعًا؛ إذ المجلس الخالي من ذكر الله إنما يعمر بما ذكر ونحوه: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ**﴾ فحيث لم يختموه بما يكفر لغطه قاموا عن ذلك (وكان ذلك المجلس) أي: ما وقع فيه (عليهم حسرة يوم القيامة) أي: ندامة لازمة لهم من سوء آثار كلامهم فيه"[2].

5-قول كفارة المجلس عند التفرق عنه.

فالمجالس قد لا تخلو من هنات، فشرع الله تعالى ذكراً يكفر صغائرها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ)**[3].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى،

(1) الأدب المفرد (ص: 563).

(2) فيض القدير (5/ 493).

(3) رواه أحمد(10415)، والترمذي(3433)، وابن حبان(594)، والطبراني في الأوسط(77)، والنسائي في الكبرى(10157)، **وقال الترمذي:** "حسن صحيح"، وصححه الألباني.

تكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: (إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)(1).

6- إلقاء السلام ورده.

وتحية السلام جملة تحمل الأمن والسلام والمحبة والثواب، فينبغي أن تكون هذه التحية في المجالس إتيانًا ومغادرة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**)(2).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**)(3).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ**)(4).

وعَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ مَجْلِسًا فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: "إِذَا سَلَّمْتَ

(1) رواه أحمد(24486)، والنسائي في الكبرى(1268) والصغرى(1344)، والبيهقي في الشعب (620)، وصححه الألباني.

(2) رواه البخاري (28)، ومسلم(39).

(3) رواه البخاري(6231).

(4) رواه أحمد(7142)، والبخاري في الأدب المفرد(986)، والترمذي(2706)، وأبو داود (5208)، والنسائي في الكبرى(10102)، والبزار(8501)، والطبراني في الكبير(371)، وابن حبان(494)، والبيهقي في الشعب(8461)، وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

فَأَسْمِعْ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مباركة طيبة"(1).

وعند عبد الرزاق بلفظ: "عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ جَالِسٌ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: "أَبَا ثَابِتٍ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَسَلَّمْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا سَلَّمْتَ فَأَسْمِعْ، وَإِذَا رَدُّوا عَلَيْكَ فَلْيُسْمِعُوكَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، وَكَانَ مُحْتَبِيًا قَدْ نَامَ"(2).

7 – استعمال اليد اليمنى في الأخذ والإعطاء والأكل والشرب.

وقد تساهل في هذا الأدب بعض المسلمين؛ فصاروا يستعملون شمائلهم في هذه الأمور، مخالفين بذلك هدي نبيهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ**)(3).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ، وَقَالَ: (**الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ**)(4).

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني (235).

(2) مصنف عبد الرزاق(486).

(3) رواه ابن ماجه(3266)، **قال البوصيري:** "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وأصله في الصحيحين من حديث عمر بن أبي سلمة وفي مسلم وغيره من حديث جابر وابن عمر". مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/ 10).

(4) رواه البخاري(5619)، ومسلم (2029).

8-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من بركات المجالس: أن يكون فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ونصيحة بالخير، ولا تمنع من ذلك الهيبة والخجل.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:104].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قَالَ: (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**)[1].

9-رد الغيبة عن المسلم.

إذا كان في مجلس غيبة لمسلم لا تجوز غيبته فمن الحق على أخيه المسلم أن يرد عنه الغيبة.

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2].

10- الستر على عورات المسلمين.

قد يجلس المسلم في مجلس فيظهر من بعض الجالسين عورات وعيوب ونقائص، فمن الأدب أن لا يتحدث بما رأى أو سمع من عورات أخيه، بل

---

(1) رواه مسلم(55).

(2) رواه أحمد(27543)، والترمذي(1931)، والبيهقي(7229)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (429)، وحسنه الترمذي والألباني.

يحرص على ستره ودفن عيبه كما يحب أن يستره الناس ولا يطلعوا على عيوبه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**(1).

11 – اختيار أطايب الكلام والبعد عن سيئه.

قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[البقرة:83].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**(2).

12 –سلوك خلق التواضع في القول والفعل والهيئة، وترك الكبر على الناس والتفاخر عليهم.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: **(إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)**(3).

13 – إمساك الشر القولي والفعلي عن الجالسين.

عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ**

---

(1) رواه مسلم(2699).

(2) رواه البخاري(6138)، ومسلم(47).

(3) رواه مسلم(2865).

يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ، أَوْ قَالَ: بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ)[1].

14- التزين بطلاقة الوجه وحسن الخلق.

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا)[2].

وعن أبي جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللهُ بِهِ، قَالَ: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ...)[3].

15- الحرص على إصلاح ذات البين إذا كان هناك اختلاف وخصام.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:114].

---

(1) رواه البخاري(6022).

(2) رواه البخاري(6029).

(3) رواه أحمد(20633)، وابن حبان(522)، والبيهقي في الشعب(7690)، والنسائي في الكبرى (9616)، والطبراني في الدعاء(2057)، وصححه الألباني. صحيح الترغيب والترهيب (3/ 20).

وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[الحجرات:9].

15–التأدب بآداب العطاس والتثاؤب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)[1].

وفي رواية: (فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ)[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[3].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: (إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ)[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ

---

(1) رواه البخاري(6223).

(2) رواه مسلم(2994).

(3) رواه البخاري(6224).

(4) رواه البخاري(6221)، ومسلم(2991).

وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ)[1].

وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: (يَرْحَمُكَ اللهُ) ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الرَّجُلُ مَزْكُومٌ**)[2].

16- الاستئذان قبل الدخول إلى المجالس غير العامة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[النور:27-28].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، أَوِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)[3].

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (**الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ**)[4].

---

(1) رواه الترمذي(2745) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ووافقه الألباني، ورواه الحاكم (7796) وقال: "هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي.

(2) رواه مسلم(2993).

(3) رواه أحمد(17691)، وأبو داود(5186)، والبيهقي في الشعب(8437) وصححه الألباني

(4) رواه البخاري(6245)، ومسلم(2153).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم: **(إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَلَا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ)**(1).

17 - الجلوس حيث انتهى بالجالس المجلس.

عَنْ جابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم، جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي)(2).

وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم: **(إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَأُوسِعَ لَهُ، فَلْيَجْلِسْ؛ فَإِنَّهَا كَرَامَةٌ أَكْرَمَهُ اللهُ بِهَا، وَأَخُوهُ الْمُسْلِمُ؛ فَإِنْ لَمْ يُوسَعْ لَهُ، فَلْيَنْظُرْ أَوْسَعَ مَوْضِعٍ فَلْيَجْلِسْ فِيهِ)**(3).

18 - الاحتراز عما يؤذي الجالسين من الأقوال والأفعال والهيئات والروائح والأصوات.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾[الأحزاب:58].

(1) رواه أبو الشيخ في "تاريخ أصبهان (113)، والضياء في المختارة(236)، **وقال الألباني:** "وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 354).

(2) رواه أحمد(20855)، وأبو داود(4825)، والترمذي(2725)، وأبو يعلى(7453)، وابن حبان (6433)، والبيهقي في الشعب(7892)، والطبراني في الكبير(1951)، وصححه الألباني.

(3) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (2/ 503)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 142).

19 –التحلي بخلق الحياء.

والحياء هو: "انقباض النّفس عن القبائح وتركها"(1).

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ)(2).

19 –حفظ أسرار المجالس إلا فيما لا يجوز كتمانه.

فليس من الأدب أن ينقل المسلم أو المسلمة ما سمعه أو رآه في مجلس جلسه إلى خارجه مما يتبعه مضرة ما.

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا بُنَيَّ، إنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيك –يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يَطَّلِعَنَّ مِنْك عَلَى كِذْبَةٍ"(3).

20 – الجلوس بين رجلين بإذنهما.

فمن أراد أن يجلس بين اثنين كانا يتحدثان واحتاج أن يجلس في ذلك المكان فليكن بطلب الإذن منهما.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**لَا يُجْلَسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**)(4).

---

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 270).

(2) رواه البخاري(24)، ومسلم(36).

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 268).

(4) رواه أحمد(6999)، والبخاري في الأدب المفرد(1141)، وأبو داود(4844)، والترمذي =

21- من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**)[1].

وهذا عام يشمل المسجد وغيره.

يقول النووي في خصوص المسجد: "قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً ثم فارقه ليعود، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلاً يسيرًا ثم يعود لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه لهذا الحديث. هذا هو الصحيح عند أصحابنا وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته اذا رجع الأول. وقال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالك. والصواب: الأول. قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سجادة ونحوها أم لا، فهذا أحق به في الحالين. قال أصحابنا: وإنما يكون أحق به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم"[2].

22- الأمانة في المشورة.

فالمجالس قد تعرض فيها بعض الاستشارات، فعلى المسلم أن يشير على

(2752)، والبيهقي في الكبرى(5893)، والطبراني في الأوسط(3652)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(1) رواه مسلم(21799).

(2) شرح النووي على مسلم (14/ 161).

أخيه بالحق مما يعلم الخير فيه، وأن يحذر غشه في استشارته، فإن غشه عن قصد فقد خانه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)[1].

"قوله: (المستشار مؤتمن) معناه: أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته"[2].

القسم الثاني: صور من الآفات يطلب الابتعاد عنها في المجالس.

كما أن هناك صوراً يلتزم المسلم الأدب فيها في مجالسه فهناك أيضًا صور من الأفعال والأقوال عليه أن يتجنبها في أي مجلس جلس فيه. فمن ذلك:

1- الغيبة.

وما أكثر ما يحصل من الغيبة في مجالس الناس، بل لا تحلو بعض المجالس إلا بها، حتى قيل: إنها قد صارت فاكهة المجالس!

قال الله تعالى مبينًا بشاعة هذه الآفة: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:12].

(1) رواه أحمد(22360)، وأبو داود(5128)، والترمذي(2822)، وابن ماجه(3745)، والطبراني في الكبير(1879) وفي الصغير(5879)، والدارمي(2493)، وأبو يعلى(6906)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(779)، والبزار(2195)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار". وصححه الألباني وحسنه الأرناؤوط. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 97).

(2) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (10/ 3225).

ويقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -معرِّفًا الغيبة ومحذراً منها-: (تَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)(1).

2-النميمة.

والنميمة هي: "نَقْل الْحَدِيثِ مِنْ قَوم إِلَى قَوم، عَلَى جِهَةِ الإفسادِ والشَّرّ"(2).

وقد حذر منها النبي عليه الصلاة تحذيراً شديداً في نصوص كثيرة منها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: (**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**)(3).

3 – الكذب.

وهو آفة اتفقت العقول السليمة والشرائع المستقيمة على التحذير منها.

وأشنع الكذب: الكذب على الله، ثم على رسول الله.

قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾[الزمر:32].

(1) رواه مسلم(2589).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 120).

(3) رواه البخاري(6055)، ومسلم(292)ز

وعن المُغِيرَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)**[2].

4- السب وبذاءة القول في حق الأحياء والأموات.

سواء كان ذلك السب في الدين -كتكفير أو تبديع أو تفسيق- أم في الخَلق أم الخُلق.

والسب: الشتم الوجيع، والسبّة: ما يسب به"[3].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)**[4].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا

---

(1) رواه البخاري (1291)، ومسلم(4).

(2) رواه البخاري (6094)، ومسلم(2607).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 190).

(4) رواه البخاري (6045).

لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتِبَةِ: (مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ)[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، وَلَا تَقَعُوا فِيهِ)[2].

5-السخرية والاستهزاء.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

قال الغزالي: "وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار؛ لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك؛ فإنك سخرت به عند نفر قليل، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزئًا بك، وفرحًا بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك، وتسلطه على الانتقام منك"[3].

(1) رواه البخاري (6031).

(2) رواه أبود داود (4899)، وابن حبان(3019)، وصححه الألباني.

(3) إحياء علوم الدين (3/ 150).

6 –**اللعن.**

وهذه الآفة مما تساهل بالتلفظ بها بعض المسلمين، مع علم عدد منهم بحرمة ذلك وخطره على اللاعن.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، قَالَ: وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)**[1].

قوله: "(ولعن المؤمن كقتله) في التحريم أو العقاب أو الإبعاد؛ إذ اللعنة تبعيد من الرحمة والقتل يبعد من الحياة الحسية"[2].

وعن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا)**[3].

وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ يَلْعَنُ أَخَاهُ، رَأَيْنَا أَنَّهُ قَدْ أَتَى بَابًا مِنَ الْكَبَائِرِ"[4].

---

(1) رواه البخاري (6652)، ومسلم(110).

(2) فيض القدير (5/ 370).

(3) رواه أبو داود (4905)، والبيهقي في الشعب (4799)، والبزار (4084)، وحسنه الألباني.

(4) المعجم الأوسط (6/ 380).

7–القذف بالفاحشة جداً أو هزلا.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:4-5].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[النور:23-25].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)(1).

8–شهادة الزور.

قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:30].

وعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ – ثَلاَثًا – أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ) . فَمَا زَالَ

(1) رواه البخاري (2766)، ومسلم(89).

يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ(1).

9- سوء الظن بالناس.

وسوء الظن هو: اعتقاد جانب الشّرّ في إنسان، وترجيحه على جانب الخير فيه، فيما يحتمل الأمرين معًا(2).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:12].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ)**(3).

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ فِي امْرِئٍ مُسْلِمٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا"(4).

10-سب الدهر والزمان والعيش.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ. فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا)(5).

---

(1) رواه البخاري (6919)، ومسلم (87).

(2) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10/ 4652).

(3) رواه البخاري (6064)، ومسلم (2563).

(4) أمالي المحاملي رواية ابن يحيى البيع (ص: 395).

(5) رواه البخاري (6181)، ومسلم(2246/ 4).

وفي رواية لمسلم[1]: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)**.

قال ابن القيم: "في هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سبه من ليس بأهل أن يسب؛ فإن الدهر خَلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره مذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة. وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدا. وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه. وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل؛ ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال **(قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر)** فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما: إما سبه لله، أو الشرك به؛ فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله فقد سب الله"[2].

---

(1) (2246/ 5).

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/ 323).

11 - الحلف الآثمُ حالفُه.

وهو:

أ-الحلف الكاذب، وهو المسمى باليمين الغموس.

ب-الحلف بغير الله؛ كالحلف بالأمانة والحرام والطلاق والشرف وغير ذلك.

ج-كثرة الحلف.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**)[1].

وعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَلاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**)[2].

وقال الله تعالى: ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾[المائدة:89].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ**)[3].

12 -البقاء في مجلس خمر أو فحش.

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(1) رواه البخاري (6675).

(2) رواه البخاري (6108)، ومسلم (1646).

(3) رواه مسلم(1607).

يَقُولُ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلا يَقْعُدَنَّ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ)[1].

وهذا الحكم عام: وإن كان لم يشربه مع أهل المائدة؛ فإنه يحرم عليه الجلوس معهم؛ لما فيه من التقاء على المنكر"[2].

13 – الغِناء أو سماعه.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[لقمان:6].

قال ابن عباس عن لهو الحديث: "الغناء وأشباهه"[3].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، وَيُضْرَبُ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْمَعَازِفُ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ)[4].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي

(1) رواه أحمد(125)، والدارمي (2259)، والبيهقي في الشعب (7380)، والنسائي في الكبرى (6708)، **قال ابن حجر**: "وإسناده جيد"، فتح الباري لابن حجر (9/ 250).

(2) التنوير شرح الجامع الصغير (10/ 376).

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد(ص: 421)، والبيهقي في الشعب (4743)، وصححه الألباني.

(4) رواه ابن ماجه (4020)، والبيهقي في الشعب (4759)، والطبراني في الكبير (3419)، وصححه الألباني.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: صَوْتُ مِزْمَارٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَصَوْتُ مُرِنَّةٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ)[1].

14 – التجسس بالأذن أو العين أو بالوسائل اللاقطة: صوتية أو مرئية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾[الحجرات:12].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)[2].

15 –مشاهدة الحرام.

فقد يجتمع بعض الناس في مجلس على مشاهدة حرام عبر شاة جوال أو شاشة تلفاز أو غيرهما.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور:30–31].

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي)[3].

---

(1) رواه البزار(7513)، والضياء في المختارة (2201)، **قال الهيثمي**: "رواه البزار، ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/ 13).

(2) رواه البخاري (6064)، ومسلم (2563).

(3) رواه مسلم (2159).

16 – المجاهرة بالمعصية بين الجالسين.

ومن ذلك: التوثيق للمعصية بالصوت أو الصورة أو المقطع ونشر ذلك في وسائل التواصل.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى، إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**)[1].

قال النووي: "قوله: (إلا المجاهرين) هم الذين جاهروا بمعاصيهم، وأظهروها وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة"[2].

17 –المزاح غير المشروع.

وهذا له صور، منها:

أ–السخرية بشعيرة دينية.

قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[التوبة:65-66].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ**

(1) رواه البخاري (6069)، ومسلم (2990).

(2) شرح النووي على مسلم (18/ 119).

بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ)[1].

ب-الإضحاك بالكذب.

فالضحك المشروع ظاهرة صحية تريح النفس وتخفف من أحزانها، لكن حين يسلك إليه طريق الكذب كسردِ طرائف المحششين في زعمهم، فهذا من المناهي الشرعية.

عن بَهْز بن حكيم عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ)**[2].

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **(ألا هل عسى رجلٌ منكم أنْ يتكلَّم بالكَلِمَةِ يُضْحكُ بها القوْمَ؛ فيَسْقطُ بها أبْعدَ منَ السماءِ، ألا عَسى رجلٌ يتكلَّمُ بالكَلِمَةِ يُضحِكُ بها أصْحابَه؛ فيَسْخَطُ اللهَ بها عليهِ؛ لا يَرْضَى عنه حَتَّى يُدْخِلَهُ النارَ)**[3].

ج- ما فيه تخويف لمسلم؛ كالإشارة إليه بسلاح أو بما يقتل أو يَجرح، وكأخذ متاعه من غير علمه.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: **(لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ**

---

(1) رواه البخاري (6477)، ومسلم (2988).

(2) رواه أحمد (20055)، والدارمي (2744)، والترمذي(2315)، وأبو داود (4990)، والنسائي في الكبرى(11591)، والطبراني في الكبير (953)، والحاكم (142)، والبيهقي في الآداب(302)، **قال ابن حجر**: "وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ". بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص: 552).

(3) **قال المنذري**: "رواه أبو الشيخ أيضاً بإسناد حسن". الترغيب والترهيب للمنذري (3/ 344)، ووافقه الألباني.

بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)[1].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: (حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (**لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا. وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَصا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا**)[3].

د- ما فيه عدوان على مسلم؛ سخرية كان أو غيبة أو نميمة أو قذفًا أو غير ذلك.

18- الجدال بالباطل.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ**

(1) رواه البخاري (7072)، ومسلم(2617).

(2) رواه أحمد (23064)، وأبو داود(5004)، والبيهقي في الكبرى(21177)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(3) رواه أبو داود (5003)، وابن أبي شيبة في مسنده (682)، والطبراني في الكبير(630)، والبيهقي في الكبرى(11544)، وحسنه الألباني.

الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)[1].

قال ابن الأمير الصنعاني: "وحقيقية المراء: كل اعتراض في كلام الغير لإظهار خلل فيه؛ إما في اللفظ وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته إن كان حقًا تصدق به، وإن كان باطلًا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فاسكت عنه، فإن كان في مسألة دينية فالواجب السؤال في معرض الاستفادة لا على صفة العناد والمكابرة والتلطف في التعريف لا في معرض الطعن، فإذا كان مبتدعًا تلطف في نصحه لا بطريق المجادلة؛ لأنّ المجادلة تخيل إليه أنه يلتبس وأن ذلك صفة يجلبه بها"[2].

وقال المناوي: "قال داود لابنه: يا بني، إياك والمراء؛ فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان. قال بعضهم: ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من المخاصمة. فإن قيل: لا بد من الخصومة لاستيفاء الحقوق، فالجواب: ما قال الغزالي: إن الذم المتأكد إنما هو خاص بباطل أو بغير علم؛ كوكلاء القاضي. وقال بعض العارفين: إذا رأيت الرجل لجوجًا مرائيًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته"[3].

---

(1) رواه أبو داود(4800)، والطبراني في الكبير(217)، والبيهقي في الكبرى(21176)، **قال النووي**: "رواه أَبُو داود بإسناد صحيح". رياض الصالحين (ص: 206). وحسنه الألباني.

(2) التنوير شرح الجامع الصغير (3/ 38).

(3) فيض القدير (5/ 5).

19 – التناجي بين اثنين دون الثالث وثلاثة دون الرابع وهكذا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**إِذَا كَانُوا ثَلاثَةٌ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ؛ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ**)[1].

قال النووي: "وهو نهي تحريم. فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن، ومذهب ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء: أن النهي عام في كل الأزمان، وفي الحضر والسفر، وقال بعض العلماء: إنما المنهي عنه المناجاة في السفر دون الحضر؛ لأن السفر مظنة الخوف. وادعى بعضهم أن هذا الحديث منسوخ، وإن كان هذا في أول الإسلام، فلما فشا الإسلام وأمن الناس سقط النهي، وكان المنافقون يفعلون ذلك بحضرة المؤمنين ليحزنوهم، أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس بالإجماع، والله أعلم"[2].

20 –القعدة المنهي عنها.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ: (**أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟**)[3].

---

(1) رواه البخاري (6290)، ومسلم(2183).

(2) شرح النووي على مسلم (14/ 167).

(3) رواه أحمد(19454)، وأبو داود(4848)، وابن حبان(5674)، والبيهقي في الكبرى (5920)، **قال النووي**: " رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح" رياض الصالحين (ص: 259) وصححه الألباني.

"قعدة المغضوب عليهم: أن يجعل اليد اليسرى من خلف ظهره ويجعل باطنها أي: أليتها على الأرض، ويتكئ عليها، فهذه هي التي وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم"[1].

و"**الألية**: اللحمة التي في أصل الإبهام، والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود، وفي التخصيص بالذكر فائدتان: إحداهما: أن هذه القِعدة مما يبغضه الله تعالى، وأن المسلم ممن أنعم الله عليه، فينبغي أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه ولعنه"[2].

21- الجلوس في الطرقات.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ. قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**)[3].

22- الجلوس بين الشمس والظل.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: (**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الشَّمْسِ -وَقَالَ مَخْلَدٌ: فِي الْفَيْءِ- فَقَلَصَ عَنْهُ الظِّلُّ، وَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ، وَبَعْضُهُ فِي الظِّلِّ؛ فَلْيَقُمْ؛ فَإِنَّهُ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ**)[4].

(1) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (4/ 347).

(2) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (10/ 3076).

(3) رواه البخاري(6229)، ومسلم(2121).

(4) رواه أبو داود(4821)، والبيهقي (5923)، وصححه الألباني.

وفي رواية: (إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ جَالِسًا فِي الشَّمْسِ، فَقَلَصَتْ عَنْهُ، فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ مَجْلِسِهِ)[1].

قوله: "(فليقم) من ذلك الموضع؛ لأنه مضرٌّ بالمزاج؛ لاختلاف حال البدن لمَا يحلُّ به من المؤثّريْنِ المتضادَّيْنِ. (فإنه)؛ أي: ذلك المجلس. (مجلس الشيطان) أضافه إلى الشيطان؛ لأنه الباعث عليه والآمر به ليصيبه السوء"[2].

23 - إقامة الرجل والجلوس مكانه.

إلا إذا دعاه إلى ذلك عن رضا وحب.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (**أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا**). وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ مَكَانَهُ[3].

قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة: هذا اللفظ عام في المجالس، ولكنه مخصوص بالمجالس المباحة، إما على العموم؛ كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص؛ كمن يدعو قومًا بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها، وأما المجالس التي ليس للشخص فيها ملك ولا إذن له فيها فإنه يقام ويخرج منها، ثم هو في المجالس العامة وليس عامًا في الناس، بل هو خاص بغير المجانين ومن يحصل منه الأذى؛ كآكل الثوم النيء إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم.

---

(1) رواه أحمد(8976)، وحسنه الأرناؤوط.

(2) شرح المصابيح لابن الملك (5/ 195).

(3) رواه البخاري (6270).

قال: والحكمة في هذا النهي: منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن، والحث على التواضع المقتضي للموادة، وأيضًا فالناس في المباح كلهم سواء؛ فمن سبق إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئًا فأخذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام، فعلى هذا قد يكون بعض ذلك على سبيل الكراهة، وبعضه على سبيل التحريم"[1].

24-قضاء الوقت في الألعاب.

وهذه الألعاب فيها ما هو محرم بالنص، وفيها ما هو مختلف فيه، وفيها ما هو في أصله مباح ولكن يطرأ عليه طارئ فيجعله محرمًا، على خلاف في ذلك. **على التفصيل الآتي:**

أ-النرد.

أما ما هو محرم بالنص فهو اللعب بالنرد، وهو: "لعبة ذَات صندوق وحجارة وفصين تعتمد على الْحَظ وتنقل فِيهَا الْحِجَارَة على حسب مَا يَأْتِي بِهِ الفص (الزهر) وتعرف عِنْد الْعَامَّة ب (الطاولة)"[2].

عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**)[3].

(1) فتح الباري لابن حجر (11/ 63).
(2) المعجم الوسيط (2/ 912).
(3) رواه مسلم(2260).

وفي رواية: (مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ)[1].

وعنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا وَجَدَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يَلْعَبُ بالنرد ضربه وكسرها.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ أَهْلَ بَيْتٍ فِي دَارِهَا كَانُوا سُكَّانًا فِيهَا عِنْدَهُمْ نَرْدٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ لَئِنْ لَمْ تُخْرِجُوهَا لَأُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ دَارِي، وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ[2].

قال النووي: "قال العلماء النردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرب وشير معناه: حلو. وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد. وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يكره ولا يحرم. .. ومعنى صبغ يده في لحم الخنزير ودمه: في حال أكله منهما، وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما، والله أعلم"[3].

ب–الشطرنج.

" أجمع المسلمون على أن اللعب بالشطرنج حرام إذا كان على عوض، أو تضمن ترك واجب مثل تأخير الصلاة عن وقتها، وكذلك إذا تضمن كذبًا أو ضررًا

---

(1) رواه أحمد(19501)، وأبو داود(4938)، وابن ماجه(3762)، وابن حبان(5872)، والطبراني في المعجم الأوسط(5581)، والحاكم(160)، والبيهقي في الشعب(6078)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(2) الأدب المفرد (ص: 721) بسندين حسنين كما ذكر الألباني.

(3) شرح النووي على مسلم (15/ 15).

أو غير ذلك من المحرمات.

أما إذا لم يكن كذلك فاختلف الفقهاء على أقوال:

المذهب عند المالكية والحنابلة -وهو اختيار الحليمي والروياني من الشافعية-: حرمة اللعب بالشطرنج مطلقًا.

وممن قال بالتحريم: علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وسعيد بن المسيب والقاسم وسالم وعروة ومحمد بن الحسين ومطر الوراق، واستدلوا بأثر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس جمراً حتى يطفى خير من أن يمسها.

وروى مالك -بلاغًا-: أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ولي مال يتيم فوجدها فيه فأحرقها. كما استدلوا بالقياس على النرد، بل إن الشطرنج شر من النرد في الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهو أكثر إيقاعًا للعداوة والبغضاء؛ لأن لاعبها يحتاج إلى إعمال فكره وشغل خاطره أكثر من النرد، ولأن فيهما صرف العمر إلى ما لا يجدي، إلا أن النرد آكد في التحريم؛ لورود النص بتحريمه، ولانعقاد الإجماع على حرمته مطلقا.

والمذهب عند الحنفية والشافعية وهو قول عند المالكية: أن اللعب بالشطرنج مكروه.

ومأخذ الكراهة: أنه من اللهو واللعب، وجاء في حديث جابر بن عمير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ: كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو،

إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وتعلم السباحة. وفي حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول ﷺ قال: ليس من اللهو ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته زوجه، ورميه بنبله عن قوسه.

وقيد الشافعية قولهم بأن يكون لعب الشطرنج مع من يعتقد حله وإلا كان حرامًا؛ لأن فيه إعانة على معصية لا يمكن الانفراد بها.

ومأخذ الكراهة كذلك: أنه يلهي عن الذكر والصلاة في أوقاتها الفاضلة، وقد يستغرق لاعبه في لعبه حتى يشغله عن مصالحه الأخروية.

وذهب أبو يوسف –وهو قول عند الشافعية وقول عند المالكية–: إلى إباحة اللعب بالشطرنج؛ لما فيه من شحذ الخواطر وتذكية الأفهام، ولأن الأصل الإباحة ولم يرد بتحريمه نص، ولا هو في معنى المنصوص عليه، وقيد المالكية قولهم بالإباحة بألا يلعبه مع الأوباش في الطريق، بل مع نظائره في الخلوة بلا إدمان وترك مهم ولهو عن عبادة.

ويخالف الشطرنج النرد في أمرين:

الأول: أن المعول في النرد ما يخرجه اللاعبان فهو يعتمد على الحزر والتخمين المؤدي إلى غاية من السفاهة والحمق فأشبه الأزلام. والمعول في الشطرنج على الحساب الدقيق والفكر الصحيح وعلى الحذق والتدبير فأشبه المسابقة بالسهام.

الثاني: أن في الشطرنج تدبير الحرب، فأشبه اللعب بالحراب والرمي بالنشاب

والمسابقة بالخيل. ونقل القول بالإباحة عن: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر ومحمد بن سيرين وعروة بن الزبير وابنه هشام وسليمان بن يسار والشعبي والحسن البصري وربيعة وعطاء".

وبعد أن ذكر ابن عثيمين أن الشطرنج فيه صور تماثيل، ولإلهاء عن ذكر الله قال: "فلهذه الأسباب كان لعبة الشطرنج حرامًا، هذا إذا سلمت مما ذكره السائل، وسلمت من الميسر وهو جعل عوض على المغلوب، فإن اقترنت بما ذكره السائل أو جُعل فيها ميسر وهو العوض على المغلوب صارت أخبث وأشر"[1].

ج- الورق. المسماة في عرف بلادنا بـ" البطة".

فأما إذا كان اللعب بها على عوض فهذا متفق على تحريمه؛ لأنه من الميسر، ومثله في الحرمة ما إذا صد اللعب بها عن عمل واجب كالصلاة.

فإذا خلا اللعب بها من أي محظور شرعي؛ فقد اختلف أهل العلم في حكم ذلك؛ فذهب بعضهم إلى التحريم، وذهب آخرون إلى الكراهة، وذهب سواهم إلى الإباحة.

فقد سئل بعض أهل العلم عن حكم اللعب بالورق فقالوا: "لا يخلو أمرها من حالين: إما أن يكون لعبها على عوض، أو لا يكون، فإن كان لعبها على عوض فلا شك في تحريمها، وأخذ العوض فيها من أكل أموال الناس بالباطل، وهو نوع من الميسر.. أما إذا لم يكن لعبها على عوض، فإن الغالب على لاعبيها أن يكونوا

---

(1) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (24/ 2).

بحال يستهينون على أنفسهم السباب والشتائم واللعن والكذب والأيمان الفاجرة، وربما جنى بعضهم على بعض، فضلاً عما يورثه تغلب بعضهم على بعض فيها من العداوة والبغضاء، وتنقص بعضهم بعضًا باللمز والتجهيل، وهذه النتائج تكفي لتبرير تحريمها والتحذير منها، ذلك أن الله تعالى ذكر أن علة تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام؛ كونها من عمل الشيطان، وأن عمله فيها إيقاع العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذه الأمور في الغالب تشملها مجالس لعبها. والله أعلم"[1].

وسئل آخرون من أهل العلم هذا السؤال: "لعب الورق لمدة لمرة واحدة في الأسبوع بحيث لا يوجد فيه تضييع للوقت، ولا يكون في وقت الصلاة، ولا يلهي عن أي أمر تعبدي، ويكون بين أشخاص لا يوجد بينهم أي شحناء، ولا يؤدي لأي مشكلة بينهم، أي: تجتنب فيه جميع المحاذير الشرعية. ما حكمه في هذه الحالة؟

فأجابوا: "فلا حرج في اللعب بالورق طالما اجتنبت فيه جميع المحاذير الشرعية، كالمذكورة في السؤال. ونضيف إليها: ألا يكون اللعب على عوض؛ فإنه يكون حينئذ من الميسر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة:90]، والأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يرد دليل على المنع، ومن ثم فالدليل على حل هذه اللعبة بضوابطها هو عدم وجود المانع"[2].

(1) فتاوى اللجنة الدائمة – 1 (15/ 231).

(2) فتاوى الشبكة الإسلامية (7/ 1141).

وأجابوا في موضع آخر بقولهم: "واللعب بالورق إن كان على مال فهو حرام وإلا فمكروه"[1].

وما قيل في الورق يطرد القول فيه في ألعاب أخرى وهي: الكيرم والبليياردو والضمنة، فما اشتمل على محرم فهو محرم، وما خلا من ذلك ففيه الثلاثة الآراء المتقدمة.

ويضاف إلى ما يحرم من ذلك: ما كان فيه غرامة المغلوب مالاً لصاحب اللعبة.

د-الألعاب الإلكترونية.

وهذه الألعاب من أكثر ما بلي به عصرنا: صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثًا؛ فقل أن يوجد جهاز جوال ليس فيه هذه الألعاب، فضلاً على وجودها في أجهزة أخرى كالحاسوب.

وحكمها من خلال ما سبق وغيره على النحو الآتي:

أ-ما كان على عوض لاشك في تحريمه.

ب-ما صد عن فعل واجب كالصلاة أو طاعة الوالدين فهو حرام.

ج-ما أدى إلى شيء محرم فهو محرم؛ كالشجار والخصام والقتال لاسيما بين الشباب.

---

(1) فتاوى الشبكة الإسلامية (6/ 1388).

د-بعض تلك الألعاب لا تخلو من الدعوة إلى الحرام؛ كالدعوة إلى الإلحاد والاعتداء على المقدسات، وكالدعوة إلى الفواحش، ونحو ذلك، فتكون بهذا حرامًا.

هـ-ما فيه ضرر على عقل الإنسان أو صحته فهو أيضًا محرم.

وقد أثبتت دراسات عديدة خطر الإدمان على الألعاب اليكترونية على المدمنين لاسيما الأطفال، وقد صدق تلك الدراسات وجودُ حالات مرضية كثيرة: عقلية وبدنية ونفسية.

و-ما خلا مما سبق ونحوه وكان بقدر يسير فلا نستطيع القول بتحريمه. والله أعلم.

تنبيه: ما قيل في هذه الصور بقسميها هو شامل للرجال والنساء.

ويزاد من الآفات التي تحصل في مجالس النساء: ما يتعلق بالمحظور من لباسهن وفيه، وهذا قد تقدم التفصيل فيه في آداب اللباس.

ثالثًا: ثمرات التمسك بآداب المجالس:

هناك ثمرات كثيرة، لكن سنكتفي بخمس منها:

1-الوصول إلى الخير.

عن عِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ)**[1].

(1) رواه البخاري (6117)، ومسلم(37).

2 –حصول الثواب والحسنات الكثيرة وعلو الدرجة.

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ حَسَنَاتٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: عِشْرُونَ حَسَنَةً. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: ثَلَاثُونَ حَسَنَةً)[1].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ)**[2].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: مَا عِنْدِي، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)**[3].

---

(1) رواه أحمد(19948)، وأبو داود(5195)، والترمذي(2689)، والبزار(3588)، والبيهقي في الشُّعب (8484)، والدارمي(2682)، والطبراني في الكبير(280)، **قال ابن حجر**: وإسناده قوي، فتح الباري لابن حجر (11/ 6). وصححه الألباني.

(2) رواه أحمد(27508)، والبخاري في الأدب المفرد(391)، وأبو داود(4919)، وابن حبان (5092)، والبزار(4109)، وصححه الألباني.

(3) رواه أحمد(21702)، والترمذي(3377)، وابن ماجه(3790)، والحاكم(1825)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، والبيهقي في الدعوات الكبير(20)، وصححه الألباني.

3 -رفعة الدرجات وإرضاء رب الأرض والسماوات.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا، عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

4 -الوصول إلى محبة الناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[2].

5 -دخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ)[3].

---

(1) رواه مسلم(1893).

(2) رواه مسلم(54).

(3) رواه أحمد(9696)، والبخاري في الأدب المفرد(289)، والترمذي(2004)، وابن حبان(476)، والبزار(9658)، والبيهقي في الشعب(5372)، وصححه الترمذي وابن حبان، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

رابعًا: أضرار التخلي عن الآداب في المجالس:

الإخلال بالآداب السابقة يؤدي إلى أضرار كثيرة: أضرار دينية وأضرار دنيوية، وأضرار على الشخص المخل بها وأضرار على غيره. سنقتصر من ذلك على خمس، **وهي:**

1- اكتساب الآثام والاتصاف بوصف الفسق لارتكاب أقوال أو أفعال محرمة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(سِبَابُ الْمُسْلِمِ، فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)**[1].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ)**[2].

2-استحقاق العقوبات الدنيوية.

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ -أي: ثقب- فِي بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِدْرًى -أي: مشط- يُرَجِّلُ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، طَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ الْإِذْنَ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)**[3].

---

(1) رواه البخاري(48)، ومسلم(64).

(2) رواه مسلم(61).

(3) رواه البخاري(5924)، مسلم(2156).

3 - الحرمان من شرف الشفاعة والشهادة يوم القيامة.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

4 - الإفلاس من الحسنات يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[2].

5 -دخول النار.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (...أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)[3].

(1) رواه مسلم(2598).

(2) رواه مسلم(2581).

(3) رواه أحمد(22016)، والترمذي(2616)، وابن ماجه(3972)، والبزار(2302)، والبيهقي =

خامسًا: نماذج مشرقة:

1- **عَن** ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) **وفي رواية أكثرهم**: (أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ)[1].

2- **وعَنْ** أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ"[2].

3- **وعن** الطُّفَيْلَ بْنَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ قَالَ: فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَّاطٍ وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ وَلَا مِسْكِينٍ وَلَا أَحَدٍ إِلَّا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَوْمًا فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ فَقُلْتُ: مَا تَصْنَعُ بِالسُّوقِ وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى الْبَيْعِ وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلَا تَسُومُ بِهَا وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ فَاجْلِسْ بِنَا هَاهُنَا نَتَحَدَّثُ. فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ، يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ -: إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ

في الشعب(2549)، وصححه الترمذي والألباني.

(1) رواه أحمد(4726)، والبخاري في الأدب المفرد(618)، الترمذي(3434)، وأبو داود(1516)، والنسائي في الكبرى(9851)، وابن ماجه(3814)، والبزار(5906)، وابن أبي شيبة(35073)، والبيهقي في الدعوات الكبير(164)، والطبراني في الأوسط(6267)، وابن حبان(927)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 110).

(2) رواه أحمد(12345)، والبخاري في الأدب المفرد(946)، والترمذي(2754)، والبزار(6814)، وابن أبي شيبة(25583)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

أَجْلِ السلام على من لقينا"[1].

4- **وعن** أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ)[2].

(1) رواه مالك في الموطأ(3533)، والبخاري في الأدب المفرد(1006)، والبيهقي في الشعب (8411)، وصححه الألباني.

(2) رواه البخاري(6289).

الأدب مع الأموات

لقد كرم الله تعالى بني آدم بوجوه كثيرة من الإكرام، وفضّلهم بصور عديدة من صور التفضيل والإنعام، وميزهم بذلك عن سائر الحيوان، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[الإسراء:70].

فالإنسان مخلوق مكرم حيًا وميتًا؛ ولهذا شرعت مواراة جثته في التراب؛ تكرمة له حتى ولو كان كافراً، قال تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[المائدة:31].

وقال: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[طه:55].

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ"(1).

ومتى مات الإنسان-ولاسيما المسلم- صارت هناك آداب يلتزم بها الأحياء معه؛ طاعة لله، وأداءً لحق الميت.

وهذا ما ستناوله في هذا الأدب على النحو الآتي:

---

(1) رواه البخاري (3976)، ومسلم(2875).

أولاً: صور من آداب الأحياء مع الأموات:

هناك صور عديدة للأدب مع الأموات، منها:

1 –تلقين المحتضَر: لا إله إلا الله.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[(1)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ)**[(2)].

قال النووي: "قوله ﷺ: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله؛ معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكروه لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه كما في الحديث: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة). والأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة؛ لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه، فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه، إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه"[(3)].

---

(1) رواه أحمد(22034)، وأبو داود(3116)، والبزار(2626)، والبيهقي في الشعب(8798)، والحاكم (1842)، والطبراني في الدعاء(1471)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1105).

(2) رواه مسلم(916)، وابن حبان(3004).

(3) شرح النووي على مسلم (6/ 219).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (أَكْثِرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، وَلَقِّنُوهَا مَوْتَاكُمْ)[1].

قال الألباني عند هذا الحديث: "فيه مشروعية تلقين المحتضر شهادة التوحيد؛ رجاء أن يقولها فيفلح. والمراد بـ(موتاكم) من حضره الموت؛ لأنه لا يزال في دار التكليف، ومن الممكن أن يستفيد من تلقينه فيتذكر الشهادة ويقولها، فيكون من أهل الجنة. وأما تلقينه بعد الموت، فمع أنه بدعة لم ترد في السنة فلا فائدة منه؛ لأنه خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء، ولأنه غير قابل للتذكر، ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾. وصورة التلقين: أن يؤمر بالشهادة، وما يذكر في بعض الكتب أنها تذكر عنده ولا يؤمر بها خلاف سنه النبي ﷺ كما حققته في "كتاب الجنائز "[2].

ونص قوله هناك: "وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها خلافًا لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: يا خال! قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ فقال: بل خال، فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي ﷺ: نعم ".أخرجه الامام أحمد (3/ 152، 154، 268) بإسناد صحيح على شرط مسلم. وأما قراءة سورة (يس) عنده، وتو جيهه نحو القبلة فلم يصح فيه حديث، بل كره سعيد بن المسيب توجيهه إليها، وقال: "أليس الميت امرأ مسلمًا!؟ "وعن زرعة بن عبد الرحمن أنه شهد سعيد بن المسيب في مرضه وعنده

(1) رواه الطبراني في الدعاء(1143)، وأبو يعلى(6147)، قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل، وهو ثقة". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 82).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 837).

أبو سلمة بن عبد الرحمن فغشي على سعيد، فأمر أبو سلمة أن يحول فراشه إلى الكعبة. فأفاق، فقال: حولتم فراشي!؟ فقالوا: نعم، فنظر إلى أبي سلمة فقال: أراه بعلمك؟ فقال: أنا أمرتهم. فأمر سعيد أن يعاد فراشه. أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف "(4/ 76) بسند صحيح عن زرعة"(1).

2- إِغْمَاضُ عَيْنَيْ الْمَيِّت والدعاء له عقب قبض روحه.

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ، فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ؛ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ)**(2).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: **(إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ)**(3).

"قولها: (فأغمضه) دليل على استحباب إغماض الميت، وأجمع المسلمون

---

(1) أحكام الجنائز (1/ 10).

(2) رواه أحمد(17136)، وابن ماجه(1455)، والطبراني في الأوسط(1015)، والبزار(3478)، **قال البوصيري**: "هذا إسناد حسن، قزعة بن سويد مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات" مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (2/ 23). وحسنه الألباني.

(3) رواه مسلم(920)

على ذلك، قالوا: والحكمة فيه: أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه"[1].

واستحب بعض العلماء شد لحييه بعد إغماضه؛ قال ابن قدامة: "ويستحب شد لحييه بعصابة عريضة، يربطها من فوق رأسه؛ لأن الميت إذا كان مفتوح العينين والفم، فلم يغمض حتى يبرد، بقي مفتوحًا، فيقبح منظره، ولا يؤمن دخول الهوام فيه والماء في وقت غسله"[2].

3-تغطية الميت بثوب عقب خروج روحه.

عن عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (سُجِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ مَاتَ بِثَوْبِ حِبَرَةٍ)[3].

"وفى هذا تسجيةُ الميِّتِ في الثياب، وتغطية وجهه، على ما مضى به العمل؛ لتغيَّر صفته بالموت، عما كانت عليه"[4].

4-الاسترجاع والدعاء بخير عند المحتضر أو حين وفاته.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**[البقرة: 156]، **اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**)، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى

(1) شرح النووي على مسلم (6/ 223).

(2) المغني لابن قدامة (2/ 336).

(3) رواه البخاري(4452)، ومسلم(942).

(4) إكمال المعلم بفوائد مسلم (3/ 396).

رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ[1].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**)، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: (**قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**)، قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ[2].

قال الشيرازي: "قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير)؛ يعني: لا تقولوا شرًا، ولا تقولوا: الويل لي، ووا ويلي، وما أشبه ذلك، بل اذكروا الله تعالى، واستغفروا للميت"[3].

5- ترك النِّيَاحَة وَلَطْم الْخُدُودِ وَشَقّ الْجُيُوب وحلق الشعور أو نتفها.

قال أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى: (وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ)[4].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ صُهَيْبٌ يَقُولُ: وَا

---

(1) رواه مسلم(918).

(2) رواه مسلم(919).

(3) المفاتيح في شرح المصابيح (2/ 421).

(4) رواه البخاري(1296)، ومسلم(104).

أَخَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ**)(1).

قال النووي: "قوله ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) وفي رواية: (ببعض بكاء أهله عليه) وفي رواية: (ببكاء الحي) وفي رواية: (يعذب في قبره بما نيح عليه) وفي رواية: (من يُبك عليه يُعذَّب) وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأنكرت عائشة، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبي ﷺ قال ذلك، واحتجت بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[الأنعام:164].قالت: وإنما قال النبي ﷺ في يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها، يعني: تعذب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء. واختلف العلماء في هذه الأحاديث: فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه. قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[الأنعام:164]. قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا مِتُّ فانْعَيْني بما أنا أهْلُه　　　وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ يا ابْنَةَ مَعْبَدِ"(2)

وليس المراد بالبكاء على الميت: نزول دمع العين؛ فإن هذا شيء جبلي عند شدة الحزن، ولا يلام المرء عليه، وإنما المراد بالبكاء النياحة، أو البكاء المصحوب

---

(1) رواه البخاري (1290).

(2) شرح النووي على مسلم (6/ 228).

بخمش الوجوه وتقطيع الملابس ورفع الصوت، قال ابن هبيرة: "البكاء على الميت من غير نوح، ولا خمش خد، ولا تخريق ثوب مباح، وقد بكى رسول الله ﷺ ابنه إبراهيم وقال: هذه رحمة، وقد بكى الصحابة على رسول الله ﷺ"[1].

6 – الدعوة إلى الاستغفار للميت عند الإعلام بموته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ، يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: (**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ**)[2].

وعن أبي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ فَقَالَ: (عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَانْطَلَقُوا، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا، فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ...)[3].

7 – الْمُسَارَعَةُ إِلَى قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّت.

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (1/ 110).

(2) رواه البخاري(1327)، ومسلم(951).

(3) رواه أحمد(22551)، والنسائي في الكبرى(8192)، وابن حبان(7048)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير، وهو ثقة" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6/ 156).

إذا كان على الميت دين – لله؛ كزكاة أو لعباد الله – وله مال فعلى أهله المبادرة بقضاء ذلك الدين إذا تيسر ذلك عليهم، وهو مقدم على الوصية وقسمة التركة.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالدَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ، وَأَنْتُمْ تُقِرُّونَ الْوَصِيَّةَ قَبْلَ الدَّيْنِ"[1].

قال ابن حجر: "قد نازع بعضهم في إطلاق كون الوصية مقدمة على الدين في الآية؛ لأنه ليس فيها صيغة ترتيب، بل المراد أن المواريث إنما تقع بعد قضاء الدين وانفاذ الوصية، وأتى بـ أو للإباحة وهي كقولك: جالس زيدًا أو عمرًا أي: لك مجالسة كل منهما اجتمعا أو افترقا، وإنما قدمت لمعنى اقتضى الاهتمام لتقديمها. واختلف في تعيين ذلك المعنى، وحاصل ما ذكره أهل العلم من مقتضيات التقديم ستة أمور..." ثم ذكرها[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**لَا تَزَالُ نَفْسُ ابْنِ آدَمَ مُعَلَّقَةً بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**)[3].

قال المباركفوري: "قوله: (نفس المؤمن معلقة) قال السيوطي: أي: محبوسة

---

(1) رواه الترمذي(2122)، **وقال عَقِبَه:** "وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ يُبْدَأُ بِالدَّيْنِ قَبْلَ الوَصِيَّةِ". وحسنه الألباني.

(2) فتح الباري لابن حجر (5/ 378).

(3) رواه أحمد(10599)، والترمذي(1079)،وابن ماجه(2413)، والحاكم(2220)، والبزار (8664)، وأبو يعلى(6026)، والبيهقي(5155)، **قال النووي:** "رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْن مَاجَه بِإِسْنَاد صَحِيح أَو حسن". خلاصة الأحكام (2/ 930).

عن مقامها الكريم. وقال العراقي: أي: أمرها موقوف لا حكم لها بنجاة ولا هلاك حتى ينظر هل يقضى ما عليها من الدين أم لا"[1].

وقال الشوكاني: "فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وهذا مقيد بمن له مال يقضى منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازمًا على القضاء فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله تعالى يقضي عنه، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه، وإن كان له مال ولم يقض منه الورثة"[2].

وقال ابن الأمير الصنعاني: "وهذا الحديث من الدلائل على أنه لا يزال الميت مشغولاً بدينه بعد موته، ففيه حث على التخلص عنه قبل الموت، وأنه أهم الحقوق، وإذا كان هذا في الدين المأخوذ برضا صاحبه فكيف بما أخذ غصبًا ونهبًا وسلبًا!"[3].

8- إحسان تغسيل الميت.

فمن الواجب الكفائي على الأحياء: تغسيل الميت.

والأدب معه في غسله يشمل الآتي:

أ- أن يغسل الرجال الرجال والنساء النساء، إلا الزوجين، فيجوز أن يغسل أحدهما الآخر.

ب- أن يغسله من يعرف الصفة الشرعية لغسل الميت.

---

(1) تحفة الأحوذي (4/ 164).

(2) نيل الأوطار (4/ 30).

(3) سبل السلام (1/ 469).

ج-أن لا يكون غسله على الملأ، وأن لا يحضر غسله إلا من يحتاج إليه المغسّل في عمله؛ لأن ذلك أستر للميت وأحفظ لحاله.

د-أن لا يجرده المغسل من جميع ثيابه، بل يبقي من الثياب ما يستر عورته من سرته إلى ركبته، فيشد على عورته بثياب، وعند الغسل يجعل على كفه خرقة وينظف ما تحتها.

هـ - ستر المغسل ما يراه من عيوب على جسد الميت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**[1].

و-ومما لا ينبغي فعله-وإن ذكره بعض الفقهاء-حلق عانة الميت؛ لأن هذا فيه كشف لعورته، وهذا لا يجوز.

وأما تقليم الأظافر، وحف الشارب، فهذا مما اختلف فيه الفقهاء، والأولى تركه؛ لأنه لم يرد فيه ما يدل عليه.

9-اتباع جنازته والإسراع بها سرعة دون الجري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)** قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: **(إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ**

---

(1) رواه مسلم(2699).

فَاتَّبِعْهُ)[1].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ)[2].

قال القاضي عياض: "وأكثر العلماء على أن معناه هنا: الإسراع بحملها إلى قبرها، وقيل: الإسراع لتجهيزها إذا تحقق موتها، والأول أظهر؛ لقوله آخر الحديث: (فشرٌّ تضعونه عن رقابكم)، ومعنى هذا الإسراع عند بعضهم: ترك التراخي في المشي بها، والتباطؤ والزهو في المشي، ويكره الإسراع الذى يشق على من يتبعها، ويُحرك الميت، وربما سبب خروج شيء منه"[3].

ومما يخالف الأدب في السير بالجنازة: المزاح والضحك ورفع الأصوات والجلبة، وهذا يخالف مقصود الاتعاظ بتشييع الجنازة.

قال النووي: "واعلم أن الصوابَ المختارَ: ما كان عليه السلفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: السكوتُ في حال السير مع الجنازة، فلا يُرفع صوت بقراءة، ولا ذكر، ولا غير ذلك، والحكمة فيه ظاهرة، وهي أنه أسكنُ لخاطره، وأجمعُ لفكره فيما يتعلق بالجنازة، وهو المطلوبُ في هذا الحال، فهذا هو الحقّ، ولا تغترّنّ بكثرة من يُخالفه، فقد قال أبو عليّ الفُضيل بن عِياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما معناه: الزمْ طرقَ الهدَى،

---

(1) رواه البخاري (1240)، ومسلم(2162).

(2) رواه البخاري (1315)، ومسلم(944).

(3) إكمال المعلم بفوائد مسلم (3/ 401).

ولا يضرُّكَ قلّةُ السالكين، وإياك وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين"[1].

10- خَلْعُ النِّعَالِ عند دخول المقابر إِلَّا لِعُذْر.

عَنْ بَشِيرِ ابْنِ الْخَصَاصِيَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَمْشِي فِي نَعْلَيْنِ بَيْنَ الْقُبُورِ، فَقَالَ: **(يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ، أَلْقِهِمَا)**[2].

"قوله: (يا صاحب السبتيتين) بكسر السين نسبة إلى السبت وهو: جلود البقر المدبوغة بالقرظ يتخذ منها النعال؛ لأنه سبت شعرها أي: حلق وأزيل وقيل: لأنها انسبتت بالدباغ أي: لانت وأريد بهما النعلان المتخذان من السبت، وأمره بالخلع احترامًا للمقابر عن المشي بينها بهما أو تقذر بهما"[3].

وقال ابن باز: "وهذا يدل على كراهة المشي بين القبور بالنعال، وإسناده جيد، لكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك: كالحر وغيره زالت الكراهة، أما حديث: (يسمع قرع نعالهم) فلا يلزم بأنه على القبور، فيكون خارجًا، أو يقال: ذلك عند الحاجة"[4].

---

(1) الأذكار للنووي(ص: 160).

(2) رواه أحمد(20784)، والبخاري في الأدب المفرد(775)، وأبو داود(1568)، والنسائي (2048)، وابن حبان (3170)، والطبراني (1230)، والبيهقي في الكبرى(7216)، والحاكم (1381)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". وصححه الألباني والأرناؤوط.

(3) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1/ 475).

(4) أحكام الجنائز، للقحطاني (ص: 319).

11 -البعد عن الجلوس على قبر.

عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**)[1].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رآني رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا عَلَى قَبْرٍ فَقَالَ: (**انْزِلْ مِنَ الْقَبْرِ، لَا تؤْذِ صَاحِبَ الْقَبْرِ وَلَا يُؤْذِيكَ**)[2].

"والعلة في ذلك: هو احترام قبر المسلم"[3].

و" لأنه استخفاف بالميت، واستصحاب حرمته بعد موته من الدين، ومن أقبح القبيح الاستهانة بأعظم قد أحياها رب العالمين دهرًا، وشرفها بعبادته، ووجهها لجواره في جنته"[4].

وقال ابن الأمير الصنعاني: "والدليل يقتضي تحريم القعود عليه والمرور فوقه؛ لأن قوله: (لا تؤذ صاحب القبر) نهي عن أذية المقبور من المؤمنين، وأذية المؤمن محرمة بنص القرآن ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾[الأحزاب:58]"[5].

---

(1) رواه مسلم (972).

(2) رواه أحمد (39)، والحاكم(6502)، والطحاوي في شرح معاني الآثار(2944)، وصححه الألباني والأرناؤوط. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (6/ 1116).

(3) البدر التمام شرح بلوغ المرام (4/ 231).

(4) فيض القدير (6/ 390).

(5) سبل السلام (1/ 511).

12-إحسان قبر الميت المسلم ودفنه فيه.

ويشمل ذلك الآتي:

أ-أن تُختار له مقبرة من مقابر المسلمين لا تتعرض للاعتداء عليها من قبل البشر ولا عوادي الزمان؛ كأن تكون في مجرى سيل.

ب-أن لا يُقبر بجانب كافر ولا يقبر كافر بجانبه.

ج-تعميق القبر وتوسيعه بقدر الحاجة.

د-أن يدخل الميت من مؤخرة القبر.

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: "أَوْصَى الْحَارِثُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْقَبْرَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيِ الْقَبْرِ، وَقَالَ: هَذَا مِنَ السُّنَّةِ"(1).

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: شَهِدَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جِنَازَةَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ، فَأَظْهَرُوا لَهُ الِاسْتِغْفَارَ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ أَنَسٌ، وَأَدْخَلُوهُ مِنْ قِبَلِ رِجْلِ الْقَبْرِ. **وفي رواية:** فَأَمَرَ بِالْمَيِّتِ فَسُلَّ مِنْ قِبَلِ رِجْلِ الْقَبْرِ"(2).

قال ابن قدامة: "وإن كان الأسهل عليهم أخذه من قبل القبلة، أو من رأس القبر، فلا حرج فيه؛ لأن استحباب أخذه من رجلي القبر، إنما كان طلبًا للسهولة عليهم، والرفق بهم، فإذا كان الأسهل غيره كان مستحبًا. قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: كل لا

---

(1) رواه أبو داود(3211)، والبيهقي في الكبرى(7052)، وقال عقبه: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ قَالَ هَذَا مِنَ السُّنَّةِ فَصَارَ كَالْمُسْنَدِ. وَقَدْ رُوِّينَا هَذَا الْقَوْلَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ".

(2) رواه أحمد(4080)، وصححه الأرناؤوط.

بأس به"[1].

هـ-الدعاء للميت بعد مواراته.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **(اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ)**[2].

13 – البعد عن التخلي في المقابر.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَمَا أُبَالِي أَوَسْطَ الْقُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي، أَوْ وَسْطَ السُّوقِ)**[3].

قوله: "(وما أبالي أوسط القبور) يريد أنهما في القبح سيان، فمن أتى بأحدهما فهو لا يبالي بأيهما أتى"[4].

و"لأن الموتى يجب أن يستحيا منهم كالأحياء؛ لأن أرواحهم على القبور"[5].

14 – ترك اتخاذ المقابر طرقًا ومراعي للماشية ومرمى للقمامة.

---

(1) المغني لابن قدامة (2/ 371).

(2) رواه أبو داود(3221)، والبزار(445)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار(7747)، وابن السني في عمل اليوم والليلة(585)، **قال النووي:** "رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَاد حسن" خلاصة الأحكام (2/ 1028).

(3) رواه ابن ماجه (1567)، وابن أبي شيبة(11774)، قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات" مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (2/ 41).

(4) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1/ 474).

(5) شرح الزرقاني على الموطأ (2/ 101).

15 - الابتعاد عن التعدي على المقابر ببناء أو اقتطاع جزء منها لطريق أو غير ذلك.

16 - الحذر من كسر عظام الميت.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ كَسْرَ عَظْمِ الْمُؤْمِنِ مَيْتًا مِثْلُ كَسْرِهِ حَيًّا**)[1]. يعني: في الاثم.

قال الألباني: "ويستفاد من الحديث:

1 - حرمة نبش قبر المسلم؛ لما فيه من تعريض عظامه للكسر؛ ولذلك كان بعض السلف يتحرج من أن يحفر له في مقبرة يكثر الدفن فيها، قال الامام الشافعي في (الأم) (1/ 245):

(أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحب أن أدفن بالبقيع؛ لأن أدفن في غيره أحب إلي، إنما هو أحد رجلين، إما ظالم، فلا أحب أن أكون في جواره، وإما صالح فلا أحب أن ينبش في عظامه، قال: وإن أخرجت عظام ميت أحببت أن تعاد فتدفن). وقال النووي في (المجموع) (5/ 303) ما مختصره: (ولا يجوز نبش القبر لغير سبب شرعي باتفاق الأصحاب، ويجوز بالأسباب الشرعية كنحو ما سبق (في المسألة 109)، ومختصره: أنه يجوز نبش القبر إذا بلى الميت، وصار ترابًا، وحينئذ يجوز دفن غيره فيه.

(1) رواه أحمد(24308)، وعبد الرزاق(17732)، وأبو داود(3207)، وابن ماجه(1616)، والدارقطني (3413)، والبيهقي في الكبرى(7079)، وابن حبان(3167)، **قال ابن حجر**: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ"" بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص: 165).

ويجوز زرع تلك الأرض وبناؤها، وسائر وجوه الانتفاع والتصرف فيها باتفاق الأصحاب، وهذا كله إذا لم يبق للميت أثر من عظم وغيره، ويختلف ذلك باختلاف البلاد والأرض. ويعتمد فيه قول أهل الخبرة بها)

قلت: ومنه تعلم تحريم ما ترتكبه بعض الحكومات الإسلامية من درس بعض المقابر الإسلامية ونبشها من أجل التنظيم العمراني، دون أي مبالاة بحرمتها، أو اهتمام بالنهي عن وطئها وكسر عظامها ونحو ذلك. ولا يتوهمن أحد، أن التنظيم المشار إليه يبرر مثل هذه المخالفات، كلا؛ فإنه ليس من الضروريات، وإنما هو من الكماليات التي لا يجوز بمثلها الاعتداء على الأموات، فعلى الأحياء أن ينظموا أمورهم، دون أن يؤذوا موتاهم...

2 - أنه لا حرمة لعظام غير المؤمنين؛ لإضافة العظم إلى المؤمن في قوله: (عظم المؤمن)، فأفاد أن عظم الكافر ليس كذلك، وقد أشار إلى هذا المعنى الحافظ في (الفتح) بقوله: (يستفاد منه أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت في حياته) ومن ذلك يعرف الجواب عن السؤال الذي يتردد على ألسنة كثير من الطلاب في كليات الطب، وهو: هل يجوز كسر العظام لفحصها وإجراء التحريات الطبية فيها؟ والجواب: لا يجوز ذلك في عظام المؤمن"[(1)].

17 - زيارة المقبور والدعاء له.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ

---

(1) أحكام الجنائز (1/ 235).

الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا)[1].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَلَبِسَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجَ. قَالَتْ: فَأَمَرْتُ بَرِيرَةَ جَارِيَتِي تَتْبَعُهُ، فَتَبِعَتْهُ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعُ فَوَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقِفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَسَبَقَتْهُ بَرِيرَةُ، فَأَخْبَرَتْنِي، فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، ثُمَّ إِنِّي ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **(إِنِّي بُعِثْتُ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ لِأُصَلِّيَ عليهم)**[2].

أي: لأدعو لهم.

18 –وجوب إحداد الزوجة على زوجها.

فإن هذا من حقه عليها، وفيه إظهار التفجع والحزن على فراقه بالموت بعد عشرة حياتية ممتدة في الغالب، فهي من براهين الوفاء وحسن العهد.

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الشَّأْمِ، دَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِصُفْرَةٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَمَسَحَتْ عَارِضَيْهَا، وَذِرَاعَيْهَا، وَقَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ عَنْ هَذَا لَغَنِيَّةً، لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)**[3].

19 – تنفيذ وصية الميت المشروعة وعدم تبديلها والتحايل فيها.

---

(1) رواه مسلم(1977).

(2) رواه ابن حبان(3748)، والنسائي(2038)، ومالك في الموطأ(282)، **قال الأرناؤوط**: "إسناده صحيح، ورجاله ثقات". وضعفه الألباني.

(3) رواه البخاري (1280)، ومسلم(1486).

أما إذا كانت غير مشروعة فلا تنفذ، وإذا كانت منحرفة عن العدل فتعاد إلى مساره.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:180-182].

والمعنى: "فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ وَحَرَّفَهَا، فَغَيَّرَ حُكْمَهَا وَزَادَ فِيهَا أَوْ نَقَصَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْكِتْمَانُ لَهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى؛ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ... ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أَيْ: قَدِ اطَّلَعَ عَلَى مَا أَوْصَى بِهِ الْمَيِّتُ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَلِكَ وَبِمَا بدّله الموصى إليهم"[1].

"فمن حضر مريضًا وهو يوصي عند إشرافه على الموت، فخاف أن يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو أن يعتمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له الأمر به؛ فلا حرج على من حَضره فسمع ذلك منه أنْ يصلح بينه وبين وَرَثته، بأن يأمره بالعدل في وصيته، وأن ينهاهم عن مَنعه مما أذن الله له فيه وأباحه له"[2].

20-اجتناب سب الأموات.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 363).

(2) تفسير الطبري (3/ 399).

أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا)[1].

فقوله: "(لا تسبوا الأموات) أي: المسلمين كما دل عليه بلام العهد، فالكفار سبهم قربة (فإنهم قد أفضوا) -بفتح الهمزة والضاد-: وصلوا (إلى ما قدموا) عملوا من خير وشر، والله هو المجازي إن شاء عفا وإن شاء عذب، فلا فائدة في سبهم، فيحرم كما قال النووي: سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية؛ كسب أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم وكجرح الرواة لابتناء أحكام الشرع على بيان حالاتهم، وقد أجمعوا على جواز جرح المجروح من الرواة حيًا وميتًا"[2].

وعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ)**[3].

"وأذية الحي محرمة فيحرم ما هو ذريعة إليها، وفيه جواز تعليل الحكم بعلتين؛ فإنه علل في الأول بعلة وهنا بغيره"[4].

ولا يدل هذا على جواز سب الأموات عند عدم تأذي الأحياء؛ كمن لا قرابة

---

(1) رواه البخاري (1393).

(2) فيض القدير (6/ 398).

(3) رواه أحمد(18209)، والترمذي(1982)، والطبراني في الكبير(7278)، وابن حبان (3022)، **قال الهيثمي:** "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 76).

(4) التنوير شرح الجامع الصغير (11/ 103).

له أو كانوا ولكن لا يبلغهم ذلك؛ لأن سب الأموات منهي عنه للعلة المتقدمة، ولكونه من الغيبة التي وردت الأحاديث بتحريمها، فإن كان سببًا لأذية الأحياء فيكون محرمًا من جهتين، وإلا كان محرمًا من جه"[1].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تُؤْذُوا مُسْلِمًا بِشَتْمِ كَافِرٍ)**[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، وَلَا تَقَعُوا فِيهِ)**[3].

وفي رواية: "عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ هَالِكٌ بِسُوءٍ فَقَالَ: **(لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ)**[4].

ثانيًا: ثمرات آداب الأحياء مع الأموات:

1- غفران الذنوب والأجر الجزيل.

عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ غَسَّلَ مُسْلِمًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ حَفَرَ لَهُ فَأَجَنَّهُ أَجْرَى عَلَيْهِ كَأَجْرِ مَسْكَنٍ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ إِلَى**

---

(1) نيل الأوطار (4/ 132).

(2) رواه البيهقي (7188)، والحاكم(1420) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "وصححه الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1207).

(3) رواه أبو داود(4899)، والترمذي(3895)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، والدارمي (2306)، والبيهقي في الشعب(8344)، وابن حبان(3019)، وصححه الألباني.

(4) السنن الكبرى للنسائي (2073).

يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ كَسَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ)[1].

2-الحصول على ثواب عظيم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ)[2].

وفي رواية مسلم: (مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا).

3-الستر في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)[3].

4-نيل رضوان الله تعالى ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

(1) رواه البيهقي في الكبرى(6655)، والطبراني في الكبير(929)، والحاكم(1340) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، **وقال الهيثمي:** "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/ 21). وصححه الألباني. صحيح الترغيب والترهيب (3/ 368).

(2) رواه البخاري (47)، ومسلم(945).

(3) رواه مسلم(2699).

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:155-157].

5-السلامة من الآثام.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:181].

والمعنى: "أي: غير الوصية من الأولياء والأوصياء وذلك التغيير يكون: إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق، أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها. وإنما ذكر الكناية في بدله مع أن الوصية مؤنثة لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة﴾ أي: وعظ والتقدير: فمن بدل قول الميت، أو ما أوصي به ﴿بَعْدَ ما سَمِعَهُ﴾ أي: من الموصي وتحققه فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ أي: إن إثم ذلك التبديل لا يعود إلّا على المبدل، والموصي والموصى له بريئان منه"[1].

ثالثًا: أضرار الإخلال بالأدب مع الأموات:

1-استحقاق العذاب الأليم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ)[2].

---

(1) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (1/ 109).

(2) رواه مسلم(971).

وفي رواية: (..خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَطَأَ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)[1].

وفي رواية: (لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ، أَوْ سَيْفٍ، أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ)[2].

2- حصول العذاب على الميت.

عَنِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ)[3].

وفي رواية مسلم[4]: (مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

و" هذا محمول على ما إذا أوصى به على دأب الجاهلية"[5].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ إِذَا قَالُوا: وَاجَبَلَاهْ، وَاسَيِّدَاهْ، وَاعَضُدَاهُ، وَاكَاسِيَاهُ، وَانَاصِرَاهُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَيُوَكَّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ أَنْتَ كَذَلِكَ؟، أَنْتَ كَذَلِكَ؟ أَنَاصِرُهَا أَنْتَ؟، أَكَاسِيهَا أَنْتَ؟، أَعَاضِدُهَا أَنْتَ!)[6].

---

(1) مسند أحمد(9048)، المعجم الكبير للطبراني(9605)، المصنف لابن أبي شيبة(11774)، وصححها الأرناؤوط.

(2) سنن ابن ماجه(1567) وصححها الألباني.

(3) رواه البخاري (1291).

(4) (933).

(5) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (3/ 315).

(6) رواه الترمذي(1003)، وابن ماجه(1594)، وحسنه البوصيري والألباني. مصباح الزجاجة =

3 -استحقاق اللعن من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ ﷺ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ)[1].

4 -المخالفة لهدي الإسلام.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)[2].

قال ابن العطار: "أي: ليس من هدينا وسنننا وطريقتنا، وقال سفيان الثوري: يُجرى على ظاهره من غير تأويل؛ لأن إجراءه كذلك أبلغ في الانزجار عما يذكر في الأحاديث التي صيغتها: ليس منا من قال أو فعل كذا، وقال المتأخرون من العلماء: بل هي مؤولة على من فعلَ المزجورَ عنه معتقدًا حلَّه؛ فإنه يكفر بذلك، فيكون قوله: (ليس منا)؛ أي: ليس من أهل ديننا، وإن فعله غير معتقد حله، كان مؤولًا على: ليس من طريقتنا وسنننا، ولا يكفر، بل يكون عاصيًا"[3].

رابعًا: نماذج مشرقة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ

في زوائد ابن ماجه (2/ 49).

(1) رواه ابن ماجه(1585)، وابن حبان(3156)، وابن أبي شيبة(11343)، وصححه الألباني. صحيح الترغيب والترهيب (3/ 384).

(2) رواه البخاري (1294)، ومسلم(103).

(3) العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لابن العطار (2/ 790).

اللهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: (**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ، اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**)[1].

(1) رواه مسلم(974).

الأدب مع الحيوان البهيم

ليس هناك دين أحسن من دين الإسلام الذي جاء به سيد الأنام، نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ إنه دين أعطى كل ذي حق حقه بمعيار العدل والحكمة، حتى انتهى في توزيع الحقوق إلى إعطاء الحيوان البهيم حقوقًا ليس لها مثيل في أي تشريع أو قانون بشري أو منظمة حقوقية.

وإذا كان لدى غير المسلمين كالغربيين عناية بالحيوان؛ فإن تلك العناية لا تشمل كل حيوان، ولا تكمل لديهم جميع صور الرفق به التي جاء بها ديننا الحنيف، ولا ترجع تلك العناية إلى تشريع إلهي يلزم اتباعه بما جاء به في هذا الإطار، وإنما هو شعور إنساني وأخلاقي وقانوني محدود دعا إلى ذلك الرفق؛ ولذلك هناك صور كثيرة من العدوان على الحيوان في بلاد الغرب لا حساب عليها من دين أو قانون لديهم.

أما الحيوان في دين الإسلام فله شأن آخر في العناية به، ويظهر ذلك في الآتي:

1 -أن ديننا يعلمنا أن الحيوان نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان سخره لخدمته، والانتفاع به، مما يدعو إلى شكر الله عليه، ولزوم الأدب الشرعي معه.

ولهذا نجد عدداً من الآيات تجيء في مساق تعديد منافع الحيوان لتلفت نظر المكلفين لشكر الله على هذه النعمة، قال تعالى: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ**

وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:5-8]. وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾[يس:70-73].

وقال جل وعلا عن الكلب المعلَّم -ومثله الصقور ونحوها-:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[المائدة:4].

2-أن القرآن ذكر أن الحيوان يشاركنا في المخلوقية، مما يلزم الإحسان إليه.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام:38].

قال ابن عاشور: "وَفِي الْآيَةِ تَنْبِيهٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الرِّفْقِ بِالْحَيَوَانِ؛ فَإِنَّ الْإِخْبَارَ بِأَنَّهَا أُمَمٌ أَمْثَالُنَا تَنْبِيهٌ عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي الْمَخْلُوقِيَّةِ وَصِفَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ كُلِّهَا. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إِلْقَاء لِلْحَذَرِ مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِمَا نَهَى الشَّرْعُ عَنْهُ مِنْ تَعْذِيبِهَا. وَإِذَا كَانَ يُقْتَصُّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ -وَهِيَ غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ- فَالِاقْتِصَاصُ مِنَ الْإِنْسَانِ لَهَا أَوْلَى بِالْعَدْلِ"[1].

---

(1) التحرير والتنوير (7/ 218).

3 –أن الحيوان داخل في صفة الرفق التي دعا الإسلام إلى التحلي بها.

ففي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ)[1].

وفي رواية لمسلم: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[2].

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ)[3].

4 –تسمية سور قرآنية بأسماء بعض الحيوانات؛ مثل سورة: البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل.

5 –ذكر الله تعالى أسماء حيوانات كثيرة في القرآن.

فقد ذكر من ذلك: البقر، والإبل، والغنم، والخيل، والحمير، والنحل، والنمل، وأنواعًا من الطير.

وأشار إشارة عامة إلى خلقه ما لا يحده البشر فقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8].

---

(1) رواه البخاري (6256)، ومسلم(2165).

(2) صحيح مسلم(2593).

(3) رواه أحمد(27553)، والبخاري في الأدب المفرد(464)، والترمذي(2013)، والبيهقي في شعب الإيمان(7637)، وابن أبي شيبة(25305)، وصححه الألباني.

قال الرازي: "لِأَنَّ أَنْوَاعَهَا وَأَصْنَافَهَا وَأَقْسَامَهَا كَثِيرَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْحَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، وَلَوْ خَاضَ الْإِنْسَانُ فِي شَرْحِ عَجَائِبِ أَحْوَالِهَا لَكَانَ الْمَذْكُورُ بَعْدَ كَتْبِه الْمُجَلَّدَاتِ الْكَثِيرَةِ كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ، فَكَانَ أَحْسَنُ الْأَحْوَالِ ذِكْرَهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ"(1).

6-أن الإسلام أثنى على بعض الحيوانات؛ لما فيها من خير للإنسان.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ، وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(2).

ولفظ الصحيحين: (الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ)(3).

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ**)(4).

7-أن الإسلام جعل الرفق به عبادة، والإساءة إليه ظلمًا ومعصية.

(1) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (19/ 178).

(2) رواه ابن ماجه (2305)، وأبو يعلى (6828)، وابن أبي شيبة في مسنده(705)، والطبراني في الكبير(404)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(226)، قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (3/ 41).

(3) صحيح البخاري (2852)، صحيح مسلم(1873).

(4) رواه أحمد(21679)، وأبو داود(5101)، والطبراني في الكبير(5210)، والبيهقي في الشعب (4810)، وقال النووي: "إسناده صحيح"، الأذكار للنووي (ص: 364). وصححه الألباني.

كما سيأتي معنا في حديث قصة الذي سقى كلبًا، وحديث قصة المرأة التي عُذبت في هرة، وغيرهما.

8 –أن الله تعالى جعل للناس فيها عبرة، وضرب بها الأمثال للناس.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[المؤمنون:21].

"يَقُولُ تَعَالَى: وَإِنَّ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الْأَنْعامِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ لَعِبْرَةً أَيْ: لَآيَةً وَدَلَالَةً عَلَى حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه"(1).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف:176].

"ضرب الله تعالى المثل لهذا الخسيس الذي آتاه آياته فانسلخ منها بالكلب، ولم تكن حقارة الكلب مانعة من ضربه تعالى المثل به، وكذلك ضرب المثل بالذباب في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج:73]، وكذلك ضرب المثل ببيت العنكبوت في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:41]، وكذلك ضرب المثل

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 498).

بالحمار في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5]"(1).

وهذا الاعتناء الذي لاحظناه يدعو المسلم إلى أن يتعبد لله تعالى بآداب متنوعة مع الحيوان البهيم، **كما سنوضحه على النحو الآتي:**

أولاً: صور من الآداب مع الحيوان البهيم:

الأدب العام هنا هو: الإحسان إلى جميع الحيوان بما يستطاع من وجوه الإحسان؛ فإن ذلك أمر الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90].

" فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع، حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"(2).

والإحسان إلى جميع الحيوانات مطلوب، ولكنه يتأكد في مع الحيوان المملوك المستخدم في منافع الإنسان؛ كون القيام عليه ولاية ومسؤولية تحتاج إلى وفاء وأمانة.

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 44).

(2) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 447).

وأما تفصيل هذا الإحسان وغيره مما يدخل في الأدب مع الحيوان البهيم فعلى ما يأتي:

1 –إحسان ذبح الحيوان.

ومما يدخل في إحسان ذبحه:

أ–تحديد الشفرة، فلا تكون كالّة تؤدي إلى تعذيب المذبوح بإبطاء ذبحه.

ب–أن يكون تحديد الشفرة بعيداً عن سمع المذبوح أو بصره.

ج–أن لا تذبح حيوانات أخرى أمامه ثم يذبح هو عقبها.

د–عدم جره جراً إلى الذبح.

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**)(1).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟، هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا)(2).

---

(1) رواه مسلم(1955).

(2) رواه البيهقي في الكبرى(19141)، والطبراني في الأوسط(3590) والكبير(11916)، والضياء في المختارة(174)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 33).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: (أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَدِّ الشِّفَارِ، وَأَنْ تُوَارَى عَنْ الْبَهَائِمِ، وَقَالَ: إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ)[1].

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ" أَنَّ رَجُلًا حَدَّ شَفْرَةً وَأَخَذَ شَاةً لِيَذْبَحَهَا، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِالدِّرَّةِ وَقَالَ: أَتُعَذِّبُ الرُّوحَ؟ أَلَا فَعَلْتَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهَا"[2].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رَأَى رَجُلًا يَجُرُّ شَاةً لِيَذْبَحَهَا، فَضَرَبَهُ بِالدِّرَّةِ، وَقَالَ: (سُقْهَا -لَا أُمَّ لَكَ- إِلَى الْمَوْتِ سَوْقًا جَمِيلًا)[3].

قال في مناهج التحصيل: "وأما فضائلها: فمنها: جبذ الشاة بالرفق عند الذبح، وأن لا يُريها السكين، وألا يذبحها وأخرى تنظر إليها، وأن يضجعها على شقها الأيسر؛ لأنه أمكن للذبح، فإن أضجعها على شقها الأيمن عامدًا، أُكلت، وكره له ما فعل إلا أن يكون أعسر فيجوز ذلك له؛ لأن ذلك أشد تأتيًا وآكد تمكنًا"[4].

---

(1) رواه أحمد (5864)، وابن ماجه (3172)، البيهقي في الكبرى(19139)، والطبراني في الكبير (13144)، **قال البوصيري:** "إسناد حديث ابن عمر ضعيف؛ لأن مدار الإسنادين على عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وله شاهد من حديث شداد بن أوس رواه مسلم في صحيحه وأصحاب السنن الأربعة"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (3/ 233)، **وقال أحمد شاكر:** "إسناده صحيح"، مسند أحمد ت شاكر (5/ 272). وقال الألباني: "فالسند صحيح" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (7/ 357).

(2) رواه مالك في الموطأ (2165)، والبيهقي في الكبرى(19142).

(3) رواه البيهقي (19143).

(4) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها (3/ 227).

2 –الإحسان إلى الحيوان في مقوده، بأن يختار له صاحبه مقوداً لا يؤذيه، وأن يعقد طرفيه عقداً رفيقًا بما لا يؤدي إلى خنقه به.

عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا أَنْ: (**لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**)[1].

وأمرُ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقطع القلائد من رقاب الإبل؛ له حكمٌ: منها: ما قاله ابن حجر: "قال ابن عبد البر: إذا اعتقد الذي قلدها أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القدر، وذلك لا يجوز اعتقاده. ثانيها: النهي عن ذلك لئلا تختنق الدابة بها عند شدة الركض، ويحكى ذلك عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وكلام أبي عبيد يرجحه..."[2].

3 – الإحسان إلى الحيوان في مسكنه المناسب له الذي يمنع عنه المطر والسباع وشدة البرد.

4 – إحسان قتل المؤذي من الحيوانات.

فإذا كان الله قد أباح قتل بعض الحيوان لأذاه الإنسانَ أو مالَه؛ فإنه أمره أن يحسن طريقة قتله بما لا يؤدي إلى تعذيبه، وقد سبق في الحديث: (**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**).

---

(1) رواه البخاري(3005)، ومسلم(2115).

(2) فتح الباري لابن حجر (6/ 142).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الثَّانِيَةِ)**[2].

وفي رواية: **(مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ)**[3].

وعلة هذا التفاوت: الإحسان في قتل الوزغة، وخشية هروبها، وهذا ما ذكره العلماء:

قال العظيم آبادي: "قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي أَمَالِيهِ: الضَّرْبَةُ الْأُولَى مُعَلَّلٌ إِمَّا لِأَنَّهُ حِينَ قَتَلَ أَحْسَنَ فَيَنْدَرِجُ تَحْتَ قَوْلِهِ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)** أَوْ يَكُونُ مُعَلَّلًا بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرِ فَيَنْدَرِجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾"[4].

---

(1) رواه أبو داود(2675) **قال النووي:** "رواه أَبُو داود بإسناد صحيح" رياض الصالحين (ص: 451).

(2) رواه مسلم(2240).

(3) صحيح مسلم (4/ 1758).

(4) عون المعبود وحاشية ابن القيم (14/ 116).

وقال النووي: "وأمر النبي ﷺ بقتله وحث عليه ورغب فيه؛ لكونه من المؤذيات، وأما سبب تكثير الثواب في قتله بأول ضربة ثم ما يليها فالمقصود به: الحث على المبادرة بقتله والاعتناء به، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله"(1).

وقال ابن عيسى في شرح رسالة أبي زيد القيرواني: "(ولا بأس إن شاء الله بقتل النمل إذا آذت ولم يقدر على تركها، ولو لم تقتل كان أحب إلينا إن كان يقدر على تركها): مفهوم كلام الشيخ: أنها إذا لم تؤذ فإنها لا تقتل كقول الخطابي: لا تقتل النملة الحمراء الطويلة القوائم؛ لأنه لا تحصل منها إذاية. وما ذكر الشيخ هو معنى قول مالك"(2).

وقال ابن عاشور: "وَأَمَّا عُقُوبَةُ الْحَيَوَانِ فَإِنَّمَا تَكُونُ عِنْدَ تَجَاوُزِهِ الْمُعْتَادَ فِي أَحْوَالِهِ. قَالَ الْقَرَافِيُّ فِي "تَنْقِيحِ الْفُصُولِ" فِي آخِرِ فُصُولِهِ: سُئِلَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَنْ قَتْلِ الْهِرِّ الْمَوْذِي هَلْ يَجُوزُ؟ فَكَتَبَ وَأَنَا حَاضِرٌ: إِذَا خَرَجَتْ أَذِيَّتُهُ عَنْ عَادَةِ الْقِطَطِ وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ قُتِلَ اهـ. قَالَ الْقَرَافِيُّ: فَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْأَوَّلِ عَمَّا هُوَ فِي طَبْعِ الْهِرِّ مِنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِذَا تُرِكَ، فَإِذَا أَكَلَهُ لَمْ يُقْتَلْ؛ لِأَنَّهُ طَبْعُهُ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الثَّانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْقِلَّةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ قَتْلَهُ. قَالَ الْقَرَافِيُّ: وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِذَا آذَتِ الْهِرَّةُ وَقَصَدَ قَتْلَهَا لَا تُعَذَّبُ وَلَا تُخْنَقُ، بَلْ تُذْبَحُ بِمُوسَى حَادَّةٍ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: (**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا**

(1) شرح النووي على مسلم (14/ 236).

(2) شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة (2/ 491).

الْقِتْلَةَ)... أَمَّا الْعِقَابُ الْخَفِيفُ لِلْحَيَوَانِ لِتَرْبِيَتِهِ وَتَأْدِيبِهِ كَضَرْبِ الْخَيْلِ لِتَعْلِيمِ السَّيْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ مَأْذُونٌ فِيهِ لِمَصْلَحَةِ السَّيْرِ، وَكَذَلِكَ السَّبَقُ بَيْنَ الْخَيْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِتْعَابِهَا لِمَصْلَحَةِ السَّيْرِ عَلَيْهَا فِي الْجُيُوشِ"[1].

5-إعطاء الحيوان ما يكفيه من الطعام والشراب، واختيار المراعي المناسبة له.

عَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَاجَةٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ. ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَقَالَ: أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟، فَابْتُغِيَ فَلَمْ يُوجَدْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ؛ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً)**[2].

وقوله: (قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ) أَيْ: مِنَ الْجُوعِ[3].

وقوله: "**المعجمة**: التي لا تقدر علي النطق؛ فإنها لا تطيق أن تفصح عن حالها، وتتضرع إلى صاحبها من جوعها وعطشها. وفيه دليل علي وجوب علف الدواب، وأن الحاكم يجبر المالك عليه.

وقوله: (فاركبوها صالحة) ترغيب إلى تعهدها بالعلف؛ لتكون مهيئة لائقة لما تريدون منها، فإن أردتم أن تركبوها فاركبوها وهي صالحة للركوب قوية على

(1) التحرير والتنوير (19/ 246).

(2) رواه أحمد(17625)، وأبو داود(2548)، وابن خزيمة(2545)، **قال النووي**: "رواه أَبُو داود بإسناد صحيح" رياض الصالحين (ص: 289).

(3) عون المعبود وحاشية ابن القيم (7/ 158).

المشي، وإن أردتم أن تتركوها للأكل فتعهدوها؛ لتكون سمينة صالحة للأكل"(1).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ)**(2).

"**ومعنى الحديث**: الحث على الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، فإن سافروا في الخصب قللوا السير واتركوها ترعى في بعض النهار، وفي أثناء السير، فتأخذ حظها من الأرض بما ترعاه منها. وإن سافروا في القحط عجلوا السير؛ ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها، ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر؛ لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهب نقيها، وربما كلت ووقفت، وقد جاء في أول هذا الحديث في رواية مالك في الموطأ: أن الله رفيق يحب الرفق"(3).

ورَأَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَاعِيَ غَنَمٍ فِي مَكَانٍ قَبِيحٍ، وَقَدْ رَأَى ابْنُ عُمَرَ مَكَانًا أَمْثَلَ مِنْهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "وَيْحَكَ يَا رَاعِي حَوِّلْهَا؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(كُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)**"(4).

6- البعد عن تحميل ما يحمل من الحيوان فوق طاقته.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ [النحل:8]:" في هذه الآية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الأثقال عليها،

(1) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (7/ 2387).

(2) رواه مسلم(1926).

(3) شرح النووي على مسلم (13/ 69).

(4) رواه أحمد (5869)، والبخاري في الأدب المفرد(416)، والطبراني في المعجم الكبير (13284)، والبيهقي في شعب الإيمان(10552)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

ولكن على قدر ما تحتمله من غير إسراف في الحمل مع الرفق في السير. وقد أمر النبي ﷺ بالرفق بها والإراحة لها ومراعاة التفقد لعلفها وسقيها"[1].

قَالَ الْمُسَيَّبُ بْنُ دَارِمٍ: "رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ضَرَبَ جَمَّالا وَقَالَ: لِمَ تَحْمِلُ عَلَى بَعِيرِكَ مَا لا يُطِيقُ؟"[2].

قال الماوردي: "وإذا كان من أرباب المواشي من يستعملها فيما لا يطيق الدوام عليه أنكره المحتسب عليه ومنعه منه، وإن لم يكن فيه مستعدٍ إليه، فإن ادَّعى المالك احتمال البهيمة لما يستعملها فيه جاز للمحتسب أن ينظر فيه؛ لأنه وإن افتقر إلى اجتهاد فهو عرفي يرجع فيه إلى عرف الناس وعاداتهم، وليس باجتهاد شرعي، والمحتسب لا يمنع من اجتهاد العرف. وإن امتنع من اجتهاد الشرع"[3].

7 – تجنب إدئابه وإرهاقه بالعمل والمشقة عليه به.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِن النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِن الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: (**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**)، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ،

---

(1) تفسير القرطبي (10/ 73).

(2) الطبقات الكبرى (7/ 91).

(3) الأحكام السلطانية للماوردي (ص: 372).

فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: (**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟؛ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**)(1).

8 – الابتعاد عن العبث به مما يؤذيه.

ومن صور ذلك:

أ–قتله أو ذبحه من غير غرض صحيح وفائدة.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ مِنهَا طَلَّقَهَا، وَذَهَبَ بِمَهْرِهَا، وَرَجُلٌ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا فَذَهَبَ بِأُجْرَتِهِ، وَآخَرُ يَقْتُلُ دَابَّةً عَبَثًا**)(2).

ب– حبسه للقتل وتصييره هدفاً يُرمى.

عن هِشَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ جَدِّي أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: (نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ)(3).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُنَاسٍ وَهُمْ يَرْمُونَ كَبْشًا بِالنَّبْلِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: (**لَا تَمْثُلُوا بِالْبَهَائِمِ**)(4).

---

(1) رواه أحمد(1745)، وأبو داود(2549)، وأبو يعلى(6787)، والحاكم(2485)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(2) رواه البيهقي في الكبرى(14395)، والحاكم (2743) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي.

(3) رواه البخاري (5513)، ومسلم(1956).

(4) رواه النسائي(4440)، وأبو يعلى(6790)، والطبراني في الكبير(187)، والضياء في المختارة =

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: (مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ، مَنْ فَعَلَ هَذَا. إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)[1].

قال الشوكاني: "قوله: (أن تصبر البهائم) -بضم أوله-: أي: تحبس لترمى حتى تموت، وأصل الصبر: الحبس، قال النووي: قال العلماء: صبر البهائم: أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى: (لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا) أي: لا تتخذوا الحيوان الحي غرضًا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها. وهذا النهي للتحريم، ويدل على ذلك: ما ورد من لعن من فعل ذلك كما في حديث ابن عمر، ولأن الأصل في تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال التحريم"[2].

9-الابتعاد عن تعذيبه.

ومن تعذيبه: شدة ضربه أو وسمه في الوجه أو التمثيل به.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: **(لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ)**[3].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْعَبَّاسُ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى بَعِيرٍ قَدْ

---

(184)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1241).

(1) رواه البخاري (1958)، ومسلم(1958).

(2) نيل الأوطار (8/ 99).

(3) رواه مسلم(2117).

وَسَمَهُ فِي وَجْهِهِ بِالنَّارِ فَقَالَ: (**مَا هَذَا الْمِيسَمُ يَا عَبَّاسُ؟**، فَقَالَ: مِيسَمٌ كُنَّا نَسِمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: (**لَا تَسِمُوا بِالْحَرِيقِ**)[1].

10 –البعد عن ضربه في وجهه.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ)[2].

وفي رواية: (**أَمَا بَلَغَكُمْ أَنِّي قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وَسَمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا؟**)[3].

قال النووي: "وأما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد؛ لأنه مجمع المحاسن، مع أنه لطيف؛ لأنه يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه، وربما آذى بعض الحواس، وأما الوسم في الوجه فمنهي عنه بالإجماع؛ للحديث ولما ذكرناه؛ فأما الآدمي فوسمه حرام؛ لكرامته، ولأنه لا حاجة إليه، فلا يجوز تعذيبه، وأما غير الآدمي فقال جماعة من أصحابنا: يكره، وقال البغوي من أصحابنا: لا يجوز، فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر؛ لأن النبي ﷺ لعن فاعله، واللعن يقتضي التحريم. وأما وسم غير الوجه من غير الآدمي فجائز بلا خلاف عندنا، لكن

(1) رواه الطبراني في الكبير(11983). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 614).

(2) رواه مسلم(2116).

(3) سنن أبي داود(2564).

يستحب في نعم الزكاة والجزية، ولا يستحب في غيرها، ولا ينهى عنه، قال أهل اللغة: الوسم أثر كية، يقال: بعير موسوم، وقد وسمه يسمه وسمًا وسمة، والميسم: الشيء الذي يوسم به، وهو بكسر الميم وفتح السين"[1].

غير أنه يجوز الوسم في الجاعرتين -وهما ناحيتا الوركين- وفي الأُذنين؛ لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسُولَ اللهِ ﷺ رأى حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، قَالَ: (**فَوَاللهِ لَا أَسِمُهُ إِلَّا فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الْوَجْهِ، فَأَمَرَ بِحِمَارٍ لَهُ فَكُوِيَ فِي جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الْجَاعِرَتَيْنِ**)[2].

وحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَخٍ لِي يُحَنِّكُهُ، وَهُوَ فِي مِرْبَدٍ لَهُ، (فَرَأَيْتُهُ يَسِمُ شَاةً - حَسِبْتُهُ قَالَ - فِي آذَانِهَا)[3].

قال ابن الملقن: "وأما الوسم في غير الوجه للعلامة والمنفعة بذلك فلا بأس به، إذا كان يسيرًا غير شائن؛ ألا ترى أنه يجوز في الضحايا وغيرها"[4].

11- ترك اتخاذ ظهور الدواب مكانًا لكثرة الكلام عليها وهي واقفة، إلا لحاجة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (**إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ،**

(1) شرح النووي على مسلم (14/ 97).
(2) رواه مسلم(2118).
(3) رواه البخاري (5542).
(4) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (26/ 553).

وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ)[1].

ودليل الجواز للحاجة: فِعْل رسول الله ﷺ في الحج عندما جعل الناس يسألونه على ناقته وهو يجيبهم[2].

قال الخطابي: "قلت قد ثبت عن النبي ﷺ أنه خطب على راحلته واقفًا عليها، فدل ذلك على أن الوقوف على ظهورها إذا كان لأربٍ أو بلوغ وطر لا يدرك مع النزول إلى الأرض مباح جائز، وأن النهي إنما انصرف في ذلك إلى الوقوف عليها لا لمعنى يوجبه لكن بأن يستوطنه الإنسان، ويتخذه مقعداً فيتعب الدابة ويضر بها من غير طائل"[3].

12 –البعد عن التحريش بين البهائم وإغراء بعضها على قتال بعض؛ فإن في هذا تعذيبًا لها.

كالتحريش بين الثيران، والتحريش بين الكباش، ومثل ذلك بين الديكة، وكذا الكلاب.

فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا "أنه كره أن يحرش بين البهائم"[4].

(1) رواه أبو داود(2567)، والبيهقي (10572)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(38)، وصححه الألباني.

(2) رواه البخاري(83)، ومسلم(1306).

(3) معالم السنن (2/ 253).

(4) الأدب المفرد (ص: 700)، قال الألباني: "حسن لغيره موقوفًا".

13 -ترك لعن الحيوان.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **(خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ)** قَالَ عِمْرَانُ: **فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ)**[1].

قال النووي: "إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها ونهي غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبته ﷺ وغير ذلك من التصرفات التي كانت جائزة قبل هذا فهي باقية على الجواز؛ لأن الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة، فبقي الباقي كما كان"[2].

14 -ترك ركوب ما لا يُركب، والبعد عن الحمل على ما ليس من عادته الحمل؛ كالبقر وغيرها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: **(بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ...)**[3].

"**قوله:** (إِنَّا لم نُخْلَقْ لهذا، إنما خُلِقنا لحراثة الأرضِ) دليل على أن وضعَ

---

(1) رواه مسلم(2595).

(2) شرح النووي على مسلم (16/ 147).

(3) رواه البخاري (3471)، ومسلم(2388).

الأحمال على البقر وركوبَها غيرُ مرضيٍّ، وما نَطَقَ وخَرَقَ العادةَ إلا ليعلِّم أنه خُلِقَ لهذا لا لذلك، فلما صدَّقه الرسولُ صار قولُه قولًا قاطعًا يدلُّ على ذلك"[1].

وقال القرطبي: "فدل هذا الحديث على أن البقر لا يحمل عليها ولا تركب، وإنما هي للحرث وللأكل والنسل"[2].

15- البعد عن قطع جزء من الحيوان المأكول وهو حي من أجل أكله؛ لأن في ذلك -بالنسبة للحيوان- تعذيبًا له.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَجُبُّونَ أَسْنِمَةَ الْإِبِلِ، وَيَقْطَعُونَ أَلْيَاتَ الْغَنَمِ فَيَأْكُلُونَهَا، وَيَحْمِلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهُوَ مَيِّتٌ)[3].

16- الابتعاد عن قتل ما لا أذية من قِبَله.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النَّحْلَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالصُّرَدِ وَالْهُدْهُدِ وَالضِّفْدَعِ)[4].

---

(1) المفاتيح في شرح المصابيح (6/ 302).

(2) تفسير القرطبي (10/ 72).

(3) رواه أحمد(21903)، والترمذي(1480)، وأبو داود(2858)،وابن ماجه(3216)، وأبو يعلى (1450)، والطبراني في الكبير(3304)، والبيهقي(77)،والحاكم(7150) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(4) رواه أحمد(3066)، وأبو داود(5267)، وابن ماجه(3224)، والدارمي(2042)، والبزار (5289)، وابن حبان(5646)، والبيهقي في الكبرى(10070)، وصححه ابن حبان والألباني والأرناؤوط.

"**قَالَ الْخَطَّابِيُّ**: إنما جَاءَ فِي قَتْل الَّنمل عَنْ نوعٍ مِنْهُ خاصٍّ، وَهُوَ الكِبَار ذَوات الأرجُل الطِّوال؛ لِأَنَّهَا قَليلةُ الأذى وَالضَّرَرِ. وَأَمَّا النَّحْلَةُ فلِمَا فِيهَا مِنَ المَنْفَعَة وَهُوَ العَسَلُ والشَّمع. وَأَمَّا الهُدهُد والصُّرَد فَلِتَحْرِيمِ لحْمهما؛ لأنَّ الحَيَوَانَ إِذَا نُهِيَ عَنْ قَتْله وَلَمْ يكن ذَلِكَ لاحْتِرَامِه، أوْ لضَرر فِيهِ كَانَ لِتَحْرِيمِ لَحْمِه؛ ألاَ تَرَى أَنَّهُ نُهِي عَنْ قتْل الحَيوان لِغَير مأكَلةٍ. وَيُقَالُ: إنَّ الهُدهُد مُنْتِن الرِّيح، فَصَارَ فِي مَعْنى الجَلاَّلَة. والصُّرَد تتشَاءمَ بِهِ العربُ وتَتطيَّر بصَوتِه وشخْصِه. وَقِيلَ: إِنَّمَا كَرِهُوه مِنَ اسْمِهِ، مِنَ التَّصْرِيد وَهُوَ التَّقْلِيل"[1].

وقال عبد الوهاب المالكي: "ويكره قتل الضفادع؛ للنهي عنه، ولأنه لا أذية فيه"[2].

ثانيًا: ثمرات الأدب مع الحيوان البهيم:

القيام بالأدب مع الحيوان يثمر ثمرات كثيرة، منها:

1- شكر الله لمن أحسن إلى الحيوان وغفران الله ذنوبه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا:**

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 21).

(2) المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: 1734).

يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[1].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)[2].

2–نيل رحمة الله تعالى.

عَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ)[3].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ رَحِمَ وَلَو ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[4].

3–الظفر بالثواب من الله تعالى.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الضَّالَّةُ تَرِدُ عَلَى حَوْضِي، فَهَلْ فِيهَا أَجْرٌ إِنْ سَقَيْتُهَا؟، قَالَ: (اسْقِهَا؛ فَإِنَّ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرًا)[5].

---

(1) رواه البخاري (6009)، ومسلم(2244).

(2) رواه البخاري (3467)، ومسلم(2245).

(3)رواه البخاري في الأدب المفرد(373)، والبزار(3319)، **قال الهيثمي**: "رجاله ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 33).

(4) رواه البخاري في الأدب المفرد(381)، والطبراني في الكبير (7915)، والبيهقي في الشعب (10559)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 33)..

(5) رواه ابن حبان(542)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(116)، وصححه الألباني في التعليقات =

وعن عَمْرَو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَنْزِعُ فِي حَوْضِي، حَتَّى إِذَا مَلَأْتُهُ لِأَهْلِي وَرَدَ عَلَيَّ الْبَعِيرُ لِغَيْرِي فَسَقَيْتُهُ، فَهَلْ لِي فِي ذَلِكَ مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ)**[1].

ثالثًا: أضرار سوء الأدب مع الحيوان البهيم:

فمن ذلك:

1- تعمد الإساءة إلى الحيوان سبيل إلى اكتساب الآثام.

عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ)**[2].

وإذا كان الإثم عظيماً في تجويع الحيوان النافع فهو أيضاً إثم كبير حتى مع الحيوان غير النافع إذا حبسه الإنسان-كما يحصل الآن في حدائق الحيوان أو بعض البيوت- فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **(عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)**[3].

الحسان على صحيح ابن حبان (2/ 37).

(1) رواه أحمد(7075)، **قال الهيثمي**: "رواه أحمد، ورجاله ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/ 131).

(2) رواه مسلم (996).

(3) رواه البخاري(2365)، ومسلم(2242).

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلاَةَ الكُسُوفِ، فَقَالَ: (**دَنَتْ مِنِّي النَّارُ، حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ– حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ– قَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا**)[1].

قال النووي: "وفي الحديث دليل لتحريم قتل الهرة، وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب. وأما دخولها النار بسببها فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة، وإنما دخلت النار بسبب الهرة، وذكر القاضي أنه يجوز أنها كافرة عذبت بكفرها وزيد في عذابها بسبب الهرة، واستحقت ذلك لكونها ليست مؤمنة تغفر صغائرها باجتناب الكبائر، هذا كلام القاضي، والصواب ما قدمناه أنها كانت مسلمة، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث، وهذه المعصية ليست صغيرة، بل صارت بإصرارها كبيرة، وليس في الحديث أنها تخلد في النار، وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكه. والله أعلم"[2].

2–العذاب يوم القيامة.

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مَثَّلَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[3].

3–استحقاق لعن الله ورسوله.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ حِمَارٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ كُوِيَ فِي

---

(1) رواه البخاري(2364).

(2) شرح النووي على مسلم (14/ 240).

(3) رواه أحمد (5661)، والطبراني في الأوسط(7297)، **قال الهيثمي:** "رواه أحمد والطبراني في الأوسط"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6/ 249).

وَجْهِهِ، تَفُورُ منْخِرَاهُ مِنْ دَمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَـذَا) ثُـمَّ نَهَى عَنِ الْكَيِّ فِي الْوَجْهِ، وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ)**[1].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: (مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنِ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا. إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)[2].

قال ابن الأمير: "الحديث نهي عن جعل الحيوان هدفًا يرمى إليه، والنهي للتحريم؛ لأنه أصله، ويؤيده قوة حديث: «لعن الله من فعل هذا لما مر ﷺ وطائر قد نصب وهم يرمونه» . ووجه حكمة النهي: أن فيه إيلامًا للحيوان، وتضييعًا لماليته، وتفويتًا لذكاته إن كان مما يذكى، ولمنفعته إن كان غير مذكى"[3].

4- حصول العقوبة في الدنيا.

قال القفطي: "وكان الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ مقطوع الرجل، قد جعل له رجلاً من خشب يستعين بها في المشي، ولما دخل بغداذ سأله الدامغانيّ الفقيه الحنفي عن سبب قطعها، فقال: دعاء الوالدة؛ وذلك أنني في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيط في رجله، وانفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته، فانقطعت

---

(1) رواه أحمد(14459)، والبخاري في الأدب المفرد(175)، وأبو يعلى(2148)، وابن حبان (5626)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(2) رواه البخاري (1958)، ومسلم(1958).

(3) سبل السلام (2/ 524).

رجله في الخيط، فتألمت أمّي لذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطع رجله، فلما وصلتُ إلى سن الطّلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت الرجل، وعملت عملاً أوجب قطعها"(1).

رابعًا: نماذج مشرقة:

1 – **عَنْ** عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ، فَجَعَلَتْ تَرِفُّ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا؛ رَحْمَةً لَهَا**)(2).

وفي رواية: (**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟** فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ارْدُدْ؛ رَحْمَةً لَهَا**)(3).

2 – كَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَلٌ يُقَالُ لَهُ: دَمُّونٌ، فَكَانَ إِذَا أَعَارَهُ قَالَ: هُوَ يَحْمِلُ كَذَا وَكَذَا، فَلَا تَحْمِلُوا عَلَيْهِ إِلَّا كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ انْقِضَاءِ هَلَاكِهِ، قَالَ: "دَمُّونُ، لَا تُخَاصِمْنِي عِنْدَ رَبِّي؛ فَإِنِّي كُنْتُ لَا أُحَمِّلُكَ إِلَّا طَاقَتَكَ"(4).

---

(1) إنباه الرواة على أنباه النحاة (3/ 268).

(2) رواه أحمد(3835)، والبخاري في الأدب المفرد(382)، وأبو داود(2675)، والطبراني في الكبير (10375) والأوسط(4143)، والحاكم (7599) **وقال:** "هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

(3) الأدب المفرد (ص: 139).

(4) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (1/ 414).

3- **كان** عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يفت الخبز للنمل، ويقول: إنهن جارات، ولهن حق[1].

4- **عَنْ** أَبِي عُثْمَانَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: كَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ غُلَامٌ يَعْمَلُ عَلَى بَغْلٍ لَهُ، يَأْتِيهِ بِدِرْهَمٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَجَاءَهُ يَوْمًا بِدِرْهَمٍ وَنِصْفٍ، فَقَالَ: «مَا بَدَا لَكَ؟» فَقَالَ: نَفَقَتِ السُّوقُ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّكَ أَتْعَبْتَ الْبَغْلَ، أَرِحْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ"[2].

5- **قال أبو بكر مُحَمَّد بن عَليّ بن عمر الْخَطِيب:** كَانَ يمشي بعض أَصْحَاب أبي إِسْحَاق الشِّيرَازِيّ مَعَه فِي طَرِيق، فَعرض لَهما كلب، فَقَالَ ذَلِك الْفَقِيه للكلب: اخْسَأْ. فنهاه الشَّيْخ أَبُو إِسْحَاق عَن ذَلِك، وَقَالَ: لم طردته عَن الطَّرِيق؟ أما عرفت أَن الطَّرِيق بيني وَبَينه مُشْتَرك؟[3].

.

(1) تهذيب الأسماء واللغات (1/ 328).

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (5/ 260).

(3) الوافي بالوفيات (6/ 44).

فهرس المحتويات

آداب الإسلام

الجزء الثاني

د. عبدالله بن عبده العواضي

